

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_234970

UNIVERSAL
LIBRARY

كتاب الفوائد

﴿ المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ﴾

تأليف الامام الحجة شمس الدين أبي عبد الله محمد
المعروف بابن قسم الجوزية الحنبلي
المتوفى سنة ٧٥١ تغمده
الله برحمته آمين



عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني

﴿ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٧ هجرية ﴾

على نفقة

(محمد أمين الخانجي المكتبي وشركاه بمصر والاستانة)

مكتبة دار الكتب
بمصر

(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ صلي الله على محمد وعلى آله وسلم ﴾

الحمد لله الذي كشف عن قلوب أهل العلم ظلمات الجهل المدلهمه وطهرها من أدناس الرّين وأجناس الرّيب وملاها إيماناً وحكمه وأمدّها بنور الإلهام وضياء الأفهام فعلمت علمه وأحكمت حكمه وجلّ عن بصائرنا غشاوة الغباوة فلم يرهقها قتر ولا ظلمه وخص هذه الأمة من ذلك بالقسم الأسنى والقدح الأعلى فلذلك كانوا خير أمة وفتح عليهم من حقائق العلوم وخوارق الفهوم ما لا رقت إليه من سواهم هم ولا تحركت إليه من أحد سواهم عزّمه فنظروا في علوم الأوائل فحرروها ضوابط وقسمه وتفردوا بفنون وفضائل لم تشم نسمة غيرهم منها طيب نسمة منها الفصاحة التي سالت من النضاجة والعجمه والبيان الذي سماه قد أوضحه وأبان اسمه وعلم الأصول والفروع اللذان فيهما ضروب الحكمه وبدائع علوم الكتاب والسنة اللذين هما مسقط كل رحمة ومهبط كل نعمه الى غير ذلك من اللطائف العريية وأوزان القريض الذي أجادوا نظمه ورصفوا رقه وغرائب أساليب النثر الذي قوّموا قدحه وسدّدوا سهمه فلذلك نصبهم الله هداةً وجعلهم أئمة (أحمد) حمد من أكمل احسانه لديه وأتمه وأشكره شكر من خصه بالطفاه وعمه وأصلى على نبيه الذي ضرب عليه سرادق الكفاية والعصمه وكشف به بدر الجمالة وكشف به عنا كل غمه صلي الله عليه وعلى آله اللبوث في كل مجمه والغبوث في كل أزمه ورضى عن أصحابه

الغوث عند كل شدة واللامعة عند كل ملأمة (و بعد) فإن الله تفضل على هذه الامة
أن جعلهم عدولا خيارا وجعلهم شهداء في أرضه شهداء على الناس يوم ترى الناس
سكارى وبعث اليهم أقربهم اليه محبة وإيثارا وأعظمهم لديه شرفا ومقدارا وأنزل
عليه كتابه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد وحسبهم بذلك علواً ونخارا وجعله نوراً وسراطاً مستقيماً وحث على تعلمه
وعلمه ليعلم باحسانه ويؤتي من لذه أجرأ عظيماً وأقامه حجة على من ضل ومحجة لمن
اهتدى وأودعه حكمة وموعظة وهدى ونصبه دليلاً على الحق لا يضعف ولا يهين
وسبيلاً يصدر عنه كل رشد واليه ينتهى وطريقاً تجلّ باسلاك نفائس الاعمال أهل
سلوكها وبرهاناً واضحاً يزجرهم عن خلل انحلال عقائدهم وشكوكها وأودعه من
الاعجاز ما لا يحصر بحصر حاصر ولا بعدة عاد من الامر والنهى والوعد والوعيد والحكم
والامثال والمواعظ وقصص القرون السالفة كاستجاب الرس وقوم عاد فكم في لفظه
من ايجاز يسفه حلم من يقول بلفظه وكم في معناه مغن للجاذ في حفظه أبدعت في
أنواع البديع كلماته وأغربت في أجناس التجنيس سورة وآياته ورمت أبواب الفصاحة
بالمجود والى فصاحته وجزالاته وأخرست ألسنتهم الذريرة فأعينهم معارضته وإزالته
فأقروا له بعد تسفيه أحلامهم وتقريرهم وتعجيزهم بالحلاوة والطلاوة وعلموا أنه
ليس من كلام البشر ولكن غلبت عليهم الشقاوة هذا مع أنهم لم يتدبروا أكثر
معانيه بل قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه طابوا الغلب وظنوا أنهم غالبون
وأوسعوا الطلب فولوا وهم خائبون يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره
ولو كره الكافرون أنزله بلسان العرب ليكون حجة عليهم ونسخ به جميع الكتب
فكان إنزاله أشد نازلة لديهم وجعل أعظم معجزاته دوام آياته متلوا باللسنة
باقيا مع بقاء الازمنة محفوظة في الصدور منتقلة في الصحائف والمصاحف من لدن
الرسول محروسة من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان والذهول قرآنا لا يأسأ منه
تاليه مع تكراره وتواليه ولا يملأه وإعياه بل تتوفر على توقيده دواعيه في كل
حين تظهر فيه من قضايا التنزيل وخفايا التأويل من نتائج أفكار الخلف غير

ما جادت به فطن الساف كل حرف منه تتفجر به ينابيع من الحكمة وكل كلمة
تظهر منها سحاب الرضوان والرحمة وكل آية تحتوى على بحار من الاعجاز زواجر
وكل سورة تكاد تنطق بعلوم الاوائل والاواخر لم نجد له في الكتب السالفة نظيرا
ولم تمتد اليه كف معارض منازل كان أو مُغيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على
أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فإرام أحد
معارضته الا عرضت له عوارض الى والاسكن ولا قصد مباراته إلا رمى بهُجر القول
وان كان من أرباب اللسن وعوض من كلامه الفصيح باللفظ الركيك والمعنى القبيح قام
إعجازه بتعجيزهم وتحققوا أنه ليس من تسجيهم ولا ترجيزهم وصرقهم الإباء عن
ترك دين آبائهم الى الدنية وصرقهم الحمية حمية الجاهلية عجزوا عن الاتيان بسورة
أو آية وانتهوا من عنادهم في التكذيب به الى غايه فأعقبهم نفاقا في قلوبهم وجعلهم
لمن بعدهم آية فهو الصراط المستقيم والذكر العظيم والكتاب الحكيم والنور
المبين والجل المتين والعروة الوثقى والآية العظمى وكلمات الله والذكرى والدرجة
العليا وهو شفاء الغليل ودواء العليل والبرهان والدليل والبشير والنذير والبصائر
والمثنائى والقصص والتذكرة والأنباء والآيات المبصرة والحكم والبلاغ والتبصرة
والبيان والتبيان والرحمة والبشرى والامان والروح والحديث والتنزيل والميزان
وحق اليقين والنبأ العظيم والمحفوظ والكتاب الكريم والقول الفصل والهادى والناطق
والحق والغيب والمكنون والقول الثقيل والحسرة والعجب والصحف المطهرة والكتب
القبيجة والخير والكتاب العزيز والكتاب لا ريب فيه والحكم والمتشابهة والعصمة
والامام والأنس عند الوحشة والفرع والأمن عند الخوف والجزع والضياء يوم القتر
والظلمة والكشف يوم الكرب والغمة من حكم به عدل ومن عدل عنه هوت
قدمه فزل ومن استعصم به عُصِمَ ومن استنظر منه الرحمة رحم

(ولما) كان جامعاً لهذه المعاني المتفرقة محتويًا على بدائع المبانى المشيدة والفنون
المتأنقة وضروب من المقاصد الخفية والجلية وانواع من خفايا أسرار العوالم العلوية
والسفلية أنزله على خير رسول قلبه منبع الحكم وسمعه مقر صريف القلم وعقله

قد استوى على سوقه واستتم لسانه عن الذلل والخطأ في منعة وعصم وبصره وبصيرته عنهما ما اختفى هدى ولا اكتتم فبلغه من التبليغ مرامه وبين حلاله وحرامه وعين فيه مراد الله من خلقه وأحكامه وعرف فسه ونسه وأظهر عاقبه وما خصه وأبدى ناسخه ومنسوخه ومحكمه وفهم متشابهه ومبهمه وجلا غوامضه وخفائيه وأوضح قصصه وقضايه وأظهر عن أمثاله التي ليست لها أمثال وأعلم بخفي إشاراته التي هي أدق من السحر الحلال وأرق من العذب الزلال وأنبا بكنائيه التي هي أجمل من التصريح وصرح بحقيقته التي تسبق اليها الازدهان من غير تعريض ولا تلويح وأوجز مجازه الذي بغير تدبر لا تجوزه العقول ولو شاء لجعله هو والحقيقة بيان الى غير ذلك من العلوم الظاهرة والفنون الباهرة (خلا) ما تضمنه من العلوم الباطنه والمعاني التي هي الى الآن في كائنها كائنه التي لم يُطلع الله عليها من خلقه أحدا والخفايا التي لم يُظهر عليها إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رسدا فجزاء الله أحسن جزاء عنا وبلغه أفضل سلام منا وصلى الله عليه وعلى آله ما طاع نجم وبدا وما اخضل نجم برذاذ وندا ورضى الله عن أصحابه ليوث غابه وغيوث سحابه

(فكتاب الله تعالى) أشرف ما صُرفت اليه الهمم وأعظم ما جال فيه فكر ومود به قلم لأنه منبع كل علم وحكمة ومربيع كل هدى ورحمة وهو أجل ماتنسك به المتنسكون وأقوى ماتمسك به المتمسكون من استمسك به فقد علقت يده بجبل متين ومن سلك سبيله فقد سار على طريق قويم وهدى الى صراط مستقيم

(وقد) أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة وأجناس البلاغة وأنواع الجزالة وفنون البيان وغوامض اللسان وحسن الترتيب والتركيب وعجيب السرد وغريب الأسلوب وعذوبة المساغ وحسن البلاغ وبهجة الرونق وطلاوة المنطق ما أذهل عقول العقلاء وأخرس ألسنة الفضلاء وألنى بلاغة البلغاء من العذب وطاشت به حلومهم وتلاشت دونه علومهم وكلت ألسنتهم الذرية وأقصرت خطبهم المسهية وقصائدهم المغربية وأراجيزهم المعربة وأسجاعهم

المطربة فعلموا أن معارضة مما ليس في مقدورهم ولا وسعهم ولا دخلا في
تقصيدهم ولا سجعهم وأن ذلك مسلوب ومصرف عن مفردهم وجمعهم وتركوا
الطعن فيه عند تقصيد رملهم وأذعنوا للاستماع له والعجز عنه بعد تأنيهم
وجاحهم مع قدحه في أربابهم وقدحه لأبائهم وتسفيهه لأحلامهم وتبطله
لأنصائهم وأزلامهم فأمسك ذووا الاحلام منهم عن الغو فيه والاعتدا وأقبلوا على
تدبره فهدى الله به من هدى ولم يقم على الطعن فيه وترك التدبر لمعانيه إلا من
غلبت عليه الشقاوة وختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فالتدبوا
لمعارضته ومباراته وممانته ومجاراته فأوقعه غيّه في عيّه ولكنّه وسقط في سقطات
لسانه بعد بلاغته ولسنه وصار بعد أن كان فارس الفصاحة والبيان ومالك قصبات
السبق في الرهان يضحك من لفظه من سمعه ويحط من قدره من رفعه وذهبت
من لفظه تلك الجزالة وأعظم الله من ضروب الجزاء والخذية الجزالة كل ذلك
ليظهر لنا عظم قدر كلامه العظيم وأى رونق ووهجة للمحدث إذا قرن بالقديم فمن
جحد منهم انما فعل ذلك عناداً وحسداً لا بآئه أن يقدم عليه أحداً

(روى) أن أبا جهل بن هشام هو والاخذ بن قيس والوليد بن المغيرة اجتمعوا
ليلة يسمعون القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى به في بيته الى أن
أصبحوا فلما انصرفوا جمعهم الطريق فتلاوموا على ذلك وقالوا انه اذا رأىكم سفهاؤكم
تفعلون ذلك فعلموه واستمعوا الى ما يقوله واستمالهم وآمنوا به فلما كان في الليلة الثانية
عادوا وأخذ كل منهم موضعه فلما أصبحوا جمعهم الطريق فاشتد نكيرهم وتعاهدوا وتحالفوا
أن لا يعبدوا فلما تعالى النهار جاء الوليد بن المغيرة الى الاخذ بن قيس فقال ماتقول
فيما سمعت من محمد فقال ماذا أقول قال بنو عبد المطلب فينا الحجابة قلنا نعم قالوا فينا
السّدانة قلنا نعم قالوا فينا السّقيّة قلنا نعم يقولون فينا نبي ينزل عليه الوحي والله لا
آمنت به أبداً (وروى) أن الوليد بن المغيرة سمع من النبي صلى الله عليه وسلم (إن
الله يأمر بالعدل والاحسان) الآية فقال والله ان له حلاوة وان عليه لطلاوة وان
أسفله لمعدق وان أعلاه لمشم ما تقول هذا شيء (قال أيضاً) لما احقمت قد ش عند

حضور الموسم ان وفود العرب ترد فاجعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا
نقول كاهن قال والله ماهو بكاهن ولاهو بزمرته ولا سجعه قالوا مجنون قال ماهو
بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر فقال ماهو شاعر قد عرفنا الشعر
كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه قالوا فنقول ساحر قال ماهو
بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا أعرف
انه لا يصدق وان أقرب القول إنه ساحر وأنه سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء
وأخيه والمرء وزوجته والمرء وعشيرته فنفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس
فأنزل الله تعالى في الوليد (ذرني ومن خلقت وحيداً) الآيات

(وانما) يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب فعرف علم اللغة وعلم العربية وعلم
البيان ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقاولاتها في مواطن افتخارها ورسائلها وأراجيزها
واسجاعها فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس
التجنيس وبدائع البديع ومحاسن الحكم والأمثال فاذا علم ذلك ونظر في هذا الكتاب
العزير ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان فقد أوتى فيه
العجب العجائب والقول الفصل الباب والبلاغة الناصعة التي تحير الالباب وتغلق دونهما
الابواب فكان خطابه للعرب بلسانهم ليعوم به الحجة عليهم ومحاراته لهم في ميدان
الفصاحة ليسبل رداء عجزهم عليهم ويثبت أنه ليس من خطابهم لديهم فمجزت عن محاراته
فصحائهم وكلت عن النطق بمثله السنة بلغتهم وبرز في رونق الجمال والجلال في أعدل
ميزان من المناسبة والاعتدال ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ
القلوب هبة والنفوس خشية وتستلذه الاسماع وتميل اليه بالحنين الطباع سواء كانت فاهمة
لمعانيه أو غير فاهمة عالمة بما يحتويه أو غير عالمة كافرة بما جاء به أو مؤمنة . . وسنورد في
كتابنا هذا أصولاً مؤصلة وفوائد مفصلة من علم البيان وما ورد نظيره في القرآن ما تنقف
عليه ويعجبك عند النظر اليه

(قال المصنف رضى الله عنه) وهذه الجملة التي تأصلت وتحصلت والفوائد التي بعد
إجمالها فصلت نقلتها من كتب ذوي الأتقان علماء علم البيان التي وقفت عليها وترقت همه

اطلاعى اليها من كتب المتقدمين والمتأخرين وهى كتاب البديع لابن المعتز . وكتاب الحالى والعاطل للحاتمي . وكتاب المحاضرة له . وكتاب الصناعتين للعسكري . وكتاب الامع للعجمي . وكتاب المثل السائر لابن الأثير . وكتاب الجامع الكبير لابن الأثير أيضاً . وكتاب البديع لأسامة بن منقذ . وكتاب العمدة للزنجاني . وكتاب نظم القرآن له أيضاً . وكتاب نهاية التأميل فى كشف أسرار التنزيل لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصارى . وكتاب التفريع فى علم البديع لزيد الدين عبد العظيم بن أبى الاصبع . وكل كتاب من هذه الكتب أخذ من كتب شتى مع ما أضفت اليها من فوائد مستعذبة وفرائد حسنة المساق مستنيرة نقلتها عن الأمانة الاعلام الأكاير ونقلتها عنهم من السننهم لا من بطون الدفاتر وما أضفت الى ذلك مما تفضل الله به ومنح من مهمل أبنته ومجمل فصائه وشارد قيده وحصائه ليكمل بهذا الكتاب النفع ويأتى على نهاية من حسن الوصف وبديع الجمع واحياء لعلم البيان المطلع على نكت نظم القرآن الذى قد عفت آثاره وقلت أنصاره وتقاعدت الهمم عن تحصيله وضعفت العزائم عن معرفة فروعه فضلاً عن أصوله فما علم من علوم الاسلامية رعى بالهجر والنسيان مارمى به علم البيان ولو أداموا النظر فيه والتامح لمعانيه لاطلعوا من الكتاب العزيز على خفايا تهش لها القلوب ودقائق تسفر لهم عن وجوه المطلوب ومن لم يعرف هذا العلم كان عن فهم معاني الكتاب العزيز بمعزل ولم يقدّر بعض حقوق المنزل والمنزل ومن وقف على هذه الأصول التى أصلتها والفصول التى فصلتها ظهر له مصداق هذه الدعوى وأخذ من التوصل الى معرفة هذا العلم بالسبب الأقوى وحسن عنده موقعه وعظم فى نفسه محله وموضعه وخالطت قلبه بشاشة رواقه وجليلت فى عينه نضارة نظائره وحسن موقفه

(وكلام العرب) فى خطبها وأشعارها ونثرها ونظامها منقسم الى ثلاثة أقسام ورد منها فى الكتاب العزيز قسمان وقسم لم يرد منه فيه شئ وسأبين ذلك ان شاء الله تعالى



❖ القسم الأول ❖

(وهو ينقسم الى أربعة وثمانين قسما)

(القسم الاول) في الكلام على الفصاحة والبلاغة . والكلام عليهما من

وجوه . الاول في أحدهما . الثاني في اشتقاقهما . الثالث في التفرقة بينهما

(أما الأول في أحدهما) فقد قال علماء هذا الشأن إنَّ حدَّ البلاغة بلوغ الرجل بعبارة كنه ما في نفسه مع الاحتراز من الإيجاز المخل والتطويل الممل . . وقال قوم البلاغة اتصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ . . وقيل البلاغة الإيجاز مع الإفهام والتصرف من غير انجبار . . قال خالد بن صفوان أبلغ الكلام ما قلَّت ألفاظه وكثرت معانيه وخير الكلام ما شَوَّق أوله الى سماع آخره . . وقال غيره انما يستحق الكلام اسم البلاغة اذا سبق لفظه معناه الى قلبك (وأما) الفصاحة فهي خلوص الكلام من التعقيد .

(الثاني في اشتقاقهما) قال علماء هذا الشأن إنَّ اشتقاق البلاغة من البلوغ الى الشئ وهو الوصول اليه . ويجوز عندى أن يكون الكلام البليغ الذى بلغ من جودة الألفاظ وعذوبة المعانى الى غاية لا يبالغ الى مثاها إلا مثله (وأما) الفصاحة فقالوا اشتقاقها من الفصيح وهو اللبن الذى أخذت منه الرغوة وذهب لبأؤه يقال فصح الرجل اذا صار كذلك وأفصح الشاة اذا فصَّح لبنها

(الثالث في الفرق بينهما) قال قوم من أرباب علم البيان الفصاحة والبلاغة متعاقبان على معنى واحد . . وقال قوم البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الألفاظ . يقال معنىً بليغ ولفظ فصيح (وليست) الفصاحة والبلاغة مختصين بالألفاظ العربية وانما يطلقان على كل ما لفظه غريب وفهمه قريب (واذا) تقرر هذا فقد احتوى الكتاب العزيز (٢ - فوائد)

على جل من ذلك أفرغت في قالب الجمال وأترعت لها كؤوس الاحسان والإجمال وأنت على مسطمتها وأجارتها واستوفت نصاب ملكها لازمة علم البيان وأدلتها وأنا أذكرها نونا ونوعا وقسما قسما محلا ببراينها وشواهد سافرا عن نصارة وجوه نظائره وفوائده بعد استيفاء الكلام على الحقيقة والمجاز إذ الكلام لا يخلو عنهما أو عن أحدهما (فتبدأ) بالكلام على الحقيقة . والكلام فيها من ثلاثة أوجه . الأول اشتقاقها . الثاني حدها . الثالث أقسامها (أما الأول) فالحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة وفي اشتقاقها قولان . أحدهما أنها مشتقة من حقق الشيء بحقيقته إذا أثبتته . والآخر أنها من حققت الشيء أحقه إذا كنت منه على يقين (وأما الثاني) فلها حدان . الأول في المفردات . والثاني في الجمل . . فأما حدها في المفردات فهي كل كلمة أريد بها ما وقعت به في وضع واضع وقوعا لا يسند فيه إلى غيره كالأسد للحيوان المخصوص المعروف . . الثاني حدها في الجمل فهو كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه مثاله خالق الله العالم وأنشأ العالم - فأنشأ - واقعة موقع - خلق - (وأما الثالث) فأقسامها ثلاثة . حقيقة لغوية . وحقيقة شرعية . وحقيقة عرفية . . وهي على قسمين عامة وخاصة . فالعامة كاستعمال لفظ الدابة في الحمار وخاصة نحو استعمال لفظ الجوهر في المنحيز الذي لا يتقسم

(وأما المجاز) فالكلام عليه أيضاً من خمسة أوجه . الأول في المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله . الثاني في حده . الثالث في اشتقاقه . الرابع في علة النقل . الخامس في أقسامه (أما الأول) فإن المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله مباح إلى الاتساع في الكلام وكثرة معاني الالفاظ ليكثر الالتذاذ بها فإن كل معنى للنفس به لذة ولها إلى فهمه ارتياح وصبوة وكلما دق المعنى رق مشروبه عندها وراق في الكلام انحراطه ولذ للقلب ارتشافه وعظم به اغتباطه ولهذا كان المجاز عندهم منهلاً موروداً عذب الارتشاف وسبيلاً مسلوكة لهم على سلوكه انعكاف ولذلك كثر في كلامهم حتى صار أكثر استعمالاً من الحقائق وخالط بشاشة قلوبهم حتى أتوا منه بكل معنى رائع ولفظ فائق واشتد باعهم في إصابة أغراضه فاتوا فيه بالخوارق

وزينوا به خطبهم وأشعارهم حتى صارت الحقائق دثارهم وصار شعارهم (وأما الثاني) فحده على قسمين • حدث في المفردات • وحدث في الجمل • • أما حده في المفردات فهو كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها • • وقيل حده استعمال اللفظ الحقيقي فيما وضع له دالا عليه ثانياً لتسويته علاقة بين مدلول الحقيقة والمجاز • • وأما حده في الجمل فهو كل جملة أخرجت الحكم المقاد بهاعن موضوعه بضرب من التأويل (وأما الثالث) فاشتقاقه من جاز الشيء يجوزُه إذا تعداء وعدل عنه • فاللفظ إذا عدل به عما يوجهه أصل الوضع فهو مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلي أو جاوز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً (وأما الرابع) فالمراد الذي وقع به النقل شيئان • أحدهما أن يكون المنقول عن معنى وضع اللفظ بأزائه أولاً من غير مناسبة ولا علاقة كالاعلام المنقولة وبهذا يتميز عن المشترك • الثاني أن يكون ذلك النقل لمناسبة بينهما أو علاقة ولا أجل ذلك لا توصف به الأعلام المنقولة لأنها مجازات مثل تسمية الرجل بالحجر فإنه ليس هذا النقل لتعلق بين حقيقة الحجر وبين ذلك الشخص وأما إذا تحقق الشرطان فإنه يسمى مجازاً وذلك مثل تسمية النعمة أو القوة باليد لما بينهما من التعلق فإن النعمة إنما تعطى باليد والقوة إنما تظهر بكمالها في اليد • • ومن ذلك أيضاً تسمية المزادة بالراوية وهي اسم للبعير الذي يحمل عليه في الأصل ومثل ما بين النبت والغيث والسماء والمطر حيث قالوا رعيننا الغيث يريدون النبت الذي الغيث سبب نشوء عادة وقالوا أصابتنا السماء يريدون أصابنا المطر • • وقال قوم المجاز لا يصح إلا بنسبة مع علاقة بين مدلول الحقيقة والمجاز وتلك النسبة متنوعة فإذا قوى التعلق بين محلي الحقيقة والمجاز فهو الظاهر الواضح وإذا ضعف التعلق إلى حد لم تستعمل العرب مثله ولا نظير له في المجاز فهو مجاز التعقيد ولا يحمل عليه شيء في الكتاب والسنة ولا يوجد مثله في كلام فصيح • وقد تقع علاقة بين الضعيفة والقوية فمن العلماء من يتجاوز بها لقربها بالنسبة إلى العلاقة الضعيفة ومنهم من لا يتجاوز بها لانحطاطها عن العلاقة القوية وهذا مذكور في الكتب المختصة بأصول الفقه (الخامس) أقسامه وهي كثيرة • الأول مجاز التعبير بلفظ المتماق به عن المتعلق وأقسامه كثيرة • • وقد انتهت عدة

ما احتوى عليه الكتاب العزيز الى أربعة وعشرين قسماً (الاول) التجوز بلفظ العلم عن المعلوم كقوله تعالى «ولا يُحيطون بشيء من علمه» أراد بشيء من معلومه • وكقوله تعالى «ذلك مبلغهم من العلم» أى من المعلوم • وكذلك قوله تعالى «فما اختلفوا حتى جاءهم العلم» أى المعلوم (الثانى) التجوز بلفظ المعلوم عن العلم وسيأتى بيانه وأمثله (الثالث) التجوز بلفظ المقدور عن القدرة مثل قولهم رأينا قدرة الله أى مقدور الله • ومنه قوله تعالى «صنع الله الذى أتقن كل شيء» أى مصنوعه (الرابع) التجوز بلفظ الارادة عن المراد كقوله تعالى «يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله» والمعنى ويفرقون بين الله ورسله بدليل أنه قُوبِلَ بقولهم ولم يفرقوا بين أحد منهم ولم يقل ويريدون أن يفرقوا بين أحد منهم (الخامس) التجوز بلفظ المراد عن الارادة كقوله تعالى «وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط» معناه وإن أردت الحكم فاحكم بينهم بالعدل وفيه مجاز من وجهين • أحدهما التعبير بالحكم عن ارادته • والآخر التعبير بالماضى عن المستقبل (السادس) اطلاق اسم الفعل على الجزء الأول منه وعلى الجزء الاخير منه ومثاله قوله تعالى «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» أراد بالرمى المنفى آخر أجزاء الرمي التى وصل التراب به الى أعينهم وبالرمى المثبت شروعه فى الرمي وأخذه فيه فيكون المعنى وما أوصات التراب الى أعينهم إذ شرعت فى الرمي وأخذت فيه • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم صلى بى جبريل عليه السلام الظهر حين زالت الشمس أى شرع فى الصلاة وأخذ فيها وصلى بى الظهر فى اليوم الثانى حين صار ظل الشيء مثله أراد بذلك آخر أجزاء الصلاة وهو السلام • • وهذا من مجاز التعبير بلفظ الكل عن البعض وكذلك نظائره ويصح هنا ما بين الارادة والمراد من النسبة والتعلق ويجوز أن يكون المصحح كون المراد مسبباً عن الارادة فيكون تجوزاً باسم المسبب عن السبب بخلاف التعبير بالمعلوم عن العلم فإنه ليس مسبباً عنه ولا مؤثراً فيه (السابع) التجوز بلفظ الامل عن المأمول وذلك فى قوله تعالى «والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً» أى وخير مأمولاً (الثامن) التجوز بلفظ الوعد والوعيد عن الموعود من ثواب وعقاب وهو فى القرآن كثير • من ذلك قوله تعالى «أفمن

وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ » ومثله « إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا » أى موعوده
 (التاسع) إطلاق العهد والعقد على الملتزم منهما وهو فى القرآن كثير . من ذلك
 قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » وقوله تعالى « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ »
 وقوله تعالى « وَأَوْفُوا بِعَهْدِي » عبّر بهذه العهود كلها عن موجبها ومقتضاها وهو
 الذى التزم بها (العاشر) إطلاق اسم البشرى على المبشر به وهو فى القرآن كثير .
 من ذلك قوله تعالى « بُشِّرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ » وقال أبو على التقدير بشراكم اليوم
 دخول جنات أو خلود جنات لأن البشرى مصدر والجنات جرم فلا يخبر بالجرم عن المعنى
 وقال الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام ملاحجة الى هذا التعسف لأن البشرى
 ليست عين الدخول ولا عين الخلود كما انها ليست عين الجنات ولا بد من تأويله على كلا
 القولين بما ذكرناه وإلا كان خافاً لأن البشرى قول ولا يجوز أن يخبر عن القول بأنه
 جرم ولا بأنه دخول ولا خلود (الحادى عشر) إطلاق اسم القول على المقول فيه
 وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ، وَمِنْهُ
 قَوْلُهُ « سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا » أى عن مدلول قولهم . ومنه قوله
 تعالى « وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا » معناه وجب عليهم العذاب المقول فيه . ومنه
 قوله تعالى « فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا » أى من مقولهم وهو الأدرة (الثانى عشر) إطلاق اسم
 النبأ عن النبأ عنه وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ
 مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » ومنه قوله تعالى « قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ » وإن أريد به القرآن
 فهو من باب إطلاق اسم البعض على الكل لأن القرآن كله ليس هو نبأ . ومنه قوله
 تعالى « وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ » (الثالث عشر) إطلاق الاسم على المسمى وهو فى
 القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِى إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا »
 معناه ما تعبدون من دونه إلامسميات . ومنه قوله تعالى « سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى »
 أى سبِّح ربك الأعلى ولذلك نُقل عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا اذا قرأوها
 قالوا سبحان ربى الأعلى . وقال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى سجودكم . ومنه قوله
 صلى الله عليه وسلم بسم الله الذى لا يضرُّ مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

ومن جعل الاسم هو المسمى في قوله « بسم الله الرحمن الرحيم » كان التقدير فيه أقرأ بالله أى بمعونته وبتوقيقه ومن جعله التسمية كان التقدير أتبرك بذكر اسم الله وبهذا يُرد على من قدّر ابتدائي أو بدأتُ باسم الله إذ لا وجه للتبريك على بعض الفعل دون سائر ولا لنسبة ابتداء الفعل الى التوفيق دون سائر لأن الحاجة داعية الى التبرك والتوفيق في جميع الفعل دون انتهائه وابتدائه (الرابع عشر) اطلاق اسم الكلمة على المتكلم به ومنه في القرآن كثير من ذلك قوله تعالى « ولا مبدل لكلمات الله » أى لا مبدل لعذاب الله أو لا مبدل لمقتضى عذاب الله ومنه قوله تعالى « ان الله يشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم » تجوز بالكلمة عن المسيح لكونه تكون بها من غير أب بدليل قوله تعالى « وجهي في الدنيا والآخرة ومن المقربين » ولا تنصف الكلمة بذلك وأما قوله اسمه المسيح فإن الضمير فيه عائد الى مدلول الكلمة والمراد بالاسم المسمى فاللفظ المسمى المبشر به المسيح بن مريم (الخامس عشر) اطلاق اسم اليمين على المحلوف وهو في القرآن في موضعين أحدهما قوله تعالى « ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم » أى ولا تجعلوا قسم الله أو يمين الله مانعاً لما تحلفون عليه من البر والتقوى بالصالح بين الناس^(١) (السادس عشر) اطلاق اسم الحكم على المحكوم به وذلك قوله تعالى « ان ربك يقضى بينهم بحكمه » أى بما يحكم به لكل واحد منهم من ثواب وعقاب فتجوز بالحكم عن متعلقه وهو المحكوم به وكذلك التعبير بلفظ القضاء عن المقضى به في قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من سوء القضاء أى من سوء ما قضيت به إذ لا تصح الاستعاذة من قضاء الله لانه صفة قديمة له لا يمكن تبديلها ولا تغييرها ومثله « فاصبر لحكم ربك » أى فاصبر لما حكم به عليك وكذلك قول الداعى اللهم رضى بقضائك أى بما قضيته لى أو على من غير معصية فان المعاصى مقضية أيضاً وقد أمرنا الله تعالى بكراتها فمثّل أمر الله تعالى فى كراتها وان وقعت (السابع عشر) التجوز بلفظ العزم على المعزوم عليه وهو كثير في القرآن ومنه قوله تعالى « ولن

صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور ، أى ان ذلك الصبر والغفر مما يعزم عليه من الأمور ومنه قوله تعالى « ولا تعزموا عقدة النكاح » تجوز بالعزم عن المعزوم عليه لتعلقه به ومعناه ولا تعقدوا عقدة النكاح أو يكون التقدير ولا تعزموا على تنجيز عقدة النكاح (الثامن عشر) التجوز بلفظ الهوى عن المهوى وهو فى القرآن العظيم فى موضعين أحدهما قوله تعالى « ونهى النفس عن الهوى » معناه ونهى النفس عما تهواه من المعاصى ولا يصح نهيا عن هواها وهو ميلها لأنه تكليف ما لا يطاق الا ان تقدر حذف مضاف معناه ونهى النفس عن اتباع الهوى فيكون من مجاز الحذف . ومنه قوله تعالى « أرايت من اتخذ إلهه هواه » يحتمل أن يريد به بهواه لانهم كانوا يعبدون الصنم فان استحسنوا غيره عبدوه وتركوا الأول ويحتمل أن يكون المراد به مجاز التشبيه فان الانسان اذا طواع هواه فيما يأتيه ويتركه فقد نزل الهوى منزلة المعبود المطاع (التاسع عشر) اطلاق اسم الخشية على الخشى وهو فى القرآن العزيز فى قوله تعالى « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون » معناه هم من عقوبة ربهم خائفون (العشرون) اطلاق اسم الحب على المحبوب وذلك قوله تعالى « انى أحببت حب الخير عن ذكر ربي » معناه أحببت محبوب الخير عن ذكر ربي (الحادى والعشرون) اطلاق اسم الظن على المظنون وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة » معناه أى شئ مظنونهم أهو الهلاك أو النجاة . الثانى قوله تعالى « وما خالقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا » معناه ذلك الخلق الباطل مظنون الذين كفروا . وأما قوله تعالى « اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم » فيجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره اجتنبوا كثيراً من اتباع الظن ان اتباع الظن ذنب ويجوز أن يكون تجوز بالظن عن المظنون وهو أمره باجتنب فعل وقع منهم (الثانى والعشرون) اطلاق اسم اليقين على المتيقن وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » معناه واعبد ربك حتى يأتيك الموت المتيقن لكل أحد . ومنه قوله تعالى « وكنا نكذب بيوم الدين

حق أنا اليقين» معناه حتى إنا الموت المتيقن لكل أحد (الثالث والعشرون) اطلاق اسم الشهوة على المشتهى وهو في القرآن العظيم في موضعين . أحدهما قوله تعالى « زين للناس حب الشهوات » أى حب المشتهيات بدليل أنه قال « من النساء والبنين » الثانى قوله « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا » معناه ان الذين يشتهون الفاحشة فى أعراض الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة ولذلك أوجب عليهم فى الدنيا الحد وفى الآخرة العذاب ولا يتعلق الحد بمجرد حب الاشاعة (الرابع والعشرون) اطلاق اسم الحاجة على المحتاج اليه وهو فى القرآن العظيم كثير . فمن ذلك قوله تعالى « ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شئ إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها » معناه ما كان دخولهم يدفع عنهم من قضاء الله وقدره شيئاً ولكن طاب حاجة فى نفس يعقوب قضاها ويحتمل ولكن حاجة فى نفس يعقوب قضا متعلقها لأن الحاجة الحقيقية التى هى الافتقاد لاتقضى وإنما يقضى متعلقها الذى هو المحتاج اليه . ومنه « ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » معناه ولا يجدون فى قلوبهم شئ يحتاجون اليه مما أعطيه لهم أجرون . وهذه الأقسام كلها من مجاز التعبير بلفظ المتعلق عن المتعلق به أو من مجاز التعبير بلفظ المتعلق به عن المتعلق ومنصوح المجاز فيه ما بينهما من النسبة

﴿ القسم الثانى ﴾

اطلاق اسم السبب على المسبب وهو أربعة أقسام

(القسم الاول) قوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » سمي عقوبة الاعتداء اعتداء لانه المسبب عن الاعتداء . ومنه قوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » تجاوز بلفظ الجناية عن القصاص فانه مسبب عنها والتقدير جزاء جنائية قبيحة عقوبة قبيحة مثلها فى القبح وان عبرت بالسيئة عما ساء أى أحرزن لم يكن من هذا الباب لأن الاساءة تحزن فى الحقيقة كالجناية . ومنه قوله تعالى « ومكروا ومكر الله » تجاوز

بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سبب لها . . . ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم خفية وهذا متحقق من الله تعالى لاستدراجهم بما أجرى عليهم من نعمه مع ما أعد لهم من نعمة (الثاني) اطلاق اسم الكتابة على الحفظ فان الكتابة سبب لحفظ المكتوب وهو في القرآن العظيم في موضعين . أحدهما قوله تعالى « سنكتب ما قالوا » أي سنحفظه ولا ننساه حتى نجازيهم به . والآخر قوله تعالى « سنكتب ما قالوا وقتلوا الانبياء » أي نحفظه عليهم فان الملائكة قد كتبوا ذلك لما قالوا وقتلوا الانبياء فاستعمل اللفظ المستعمل في حفظه دون كتابته (وأما) قوله تعالى « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان » فانه تجوز بالكتابة عن الثبوت والدوام فان الكتابة مستمرة بفية في العادة (وأما) قوله تعالى « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم » ففيه مذهبان . أحدهما أنه من مجاز الحذف تقديره إن المنافقين يخادعون رسول الله والله خادعهم فيكون خداعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة . وأما خدع الله إياهم فيجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب ويجوز أن يكون من مجاز التشبيه معناه أنه عالمهم معاملة الخداع بما أخفاه عنهم من إرادة إضرارهم وإهلاكهم ويجوز أن يكون حقيقة بما ذكرناه في المكر ويتأتى أن يكون مخادعهم لله من مجاز التشبيه بمعنى أنهم يعاملونه معاملة الخداع ويكون خدعهم من مجاز المعاملة ويجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب فيكون من مجاز المجاز فان مخادعهم مجازية تجوز بها عن شبهها وكان اطلاق اللفظ من مجاز التشبيه (الثالث) اطلاق اسم السمع على القبول وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « ما كانوا يستطيعون السمع » معناه ما كانوا يستطيعون قبول ذلك والعمل به لأن قبول الشيء مرتب على استماعه ومسبب عنه ويجوز أن يكون نفي السمع لانتفاء فائدته فيصير كقولهم أنهم لا إيمان لهم أي لا وفاء إيمان لهم . . . ومنه قول الشاعر

وإن حلفت لا ينقض النأي عهداً فليس لمخضوب البنان يمين

معناه ليس لمخضوب البنان وفاء يمين (الرابع) اطلاق اسم الإيمان على ما نشأ عنه من الطاعة وهو في القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « وما كان الله ليضيع إيمانكم » (٣ - فوائد)

معناه ما كان الله ليضيع أجر صلاتكم الى الصخرة قبل النسخ . ومنه قوله تعالى « أَفْتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ » معناه أَفْتَعْمَلُونَ بِبَعْضِ التَّوْرَةِ وهو فداء الأسارى فتجوز بالايان عن العمل بما يوافق الكتاب لأنه مسبب عن الايمان وتركون العمل ببعض وهو قتل اخوانكم واخراجهم من ديارهم . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق . جعل القول وامطة الأذى عن الطريق ايمانا لأنها مسبيان عن الايمان

القسم الثالث

اطلاق اسم المسبب على السبب وهو ثمانية أقسام

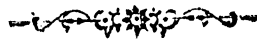
(القسم الأول) اطلاق اسم العقوبة على الاساءة والجنابة . ومنه قوله تعالى « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » معناه وإن أردتم معاقبة مسيء فعاقبوه بمثل ما بدأكم به من الاساءة فقوله - وإن عاقبتم - من مجاز التعبير بلفظ الفعل عن ارادته وقوله - بمثل ما عوقبتم به - من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن السبب وقوله - فعاقبوا - حقيقة اكتشفها المجازان . وكذلك قوله « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم نبى عاياه لينصرنه الله » فعاقب حقيقة وعوقب به من مجاز تسمية السبب باسم المسبب . ومن هذا النوع قول العرب كما تدين تدان معناه كما تفعل تجزى لأن الدين هو الجزاء فتجوز به عن الجنابة لأنه مسبب عنها . . . وكذلك قول الشاعر

ولم يبق سوى العذوا
ن دناهم كما دانوا

معناه جزيناهم بما فعلوا فدناهم حقيقة ودانوا مجاز (القسم الثانى) اطلاق الأكل على الأخذ لما كان الأكل مسيئاً عن الأخذ . ومنه قوله تعالى « ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » معناه لا تأخذوا أموالكم بالسبب الباطل كالقمار ونحوه (القسم الثالث) اطلاق اسم الغلبة على المقاتلة التى هى مسبب عنها . ومنه قوله تعالى « إن يكن منكم

عشرون صابرون يَغْلِبُوا مَائَتِينَ » عبر بلفظ الغلبة عن المقاتلة لأن الغلبة مسببة عن المقاتلة (الرابع) اطلاق اسم الرجز على عبادة الأصنام . ومنه قوله تعالى «والرَّجَزُ جَزٌ فاجْرُ ، تجوز بالرجز وهو العذاب الشديد عن عبادة الأصنام لأن العذاب مسبب عنها (وأما) قوله تعالى « وَيَذْهَبَ عَنْكُم رَجَزُ الشَّيْطَانِ » فهو من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن سبب سببه لأن وساوس الشيطان سبب لمعصية الرحمن ومعصية الرحمن سبب لعذاب الديان فبان أن الوسوسة سبب للمعصية والمعصية سبب للعذاب ويجوز أن نجعل الوسوسة نفسها رَجَزاً لمشققتها على أهل الإيمان وكما اشتدت مشقته على النفوس فهو رجز . . قال أبو عبيد الرجز والرجس هما العذاب الشديد . وكذلك ما أشبهه (الخامس) اطلاق اسم المغفرة على التوبة . ومنه قوله تعالى « واللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِأَذْنِهِ ، تجوز باسم المغفرة عن التوبة (السادس) اطلاق اسم الكبرياء على الملك لأنها مسببة عن الملك . ومنه قوله تعالى « وَتَكُونُ لَكُمْ أَعْيُنٌ عَلَى الْأَرْضِ » (السابع) اطلاق اسم القوة على السلاح لأن القوة على القتال تكون عنها . ومنه قوله تعالى « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ » لأن القوة على قتالهم مسببة عن الأسلحة فسميها باسم مسببها أو يكون ذلك من مجاز الحذف تقديره وأعدوا لهم ما استطعتم من أسباب قوة أو من أدوات قوة (الثامن) اطلاق اسم الاعطاء والإيتاء على الالتزام فمن ذلك قوله تعالى « فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَأَلْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ » معناه إذا سألتم ما التزمتموه بالمعروف لما كان التسليم مسبباً عن الالتزام عبر به عنه . ومن ذلك قوله تعالى « وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْكَحُوهنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ » أى إذا التزمتم لهن مهورهن . . ويحتمل أن يكون من مجاز الحذف تقديره إذا آتيت أهلهن مهورهن ولا يدل قوله فانكحوهن باذن أهلهن على صحة النكاح بغيرولى لأنه لم يذكر المأذون له ويجوز أن يكون المراد الوكيل ويجوز ويحتمل أن تكون المرأة وحمله على الوكيل أولى لأن الغالب فى الأنكحة أنه يتولى ذلك الرجال دون النساء فيجب الحمل على الغالب لأن مباشرة المرأة النكاح فى غاية الدور فلا يجوز حمل الكلام عليه اذ لا يوجد مثل هذا نظير فى كلام العرب من أنهم أرادوا بيان شئ والارشاد الى مصلحة فيبينونه بأن

أحواله مع الاستغناء عنه ويهملوا الأغلب مع مسبب الحاجة اليه



— القسم الرابع —

اطلاق اسم الفعل على غير فاعله لما كان سبباً له وهو أربعة أقسام

(الأول) نسبة الفعل الى من كان سبباً له . من ذلك قوله تعالى « قل هو من عند أنفسكم » وهو من عند الله على الحقيقة ولكنه نسب ما أصابهم من قتل اخوتهم الى سببه . ومنه قوله تعالى « فلا أنفسهم يمهّدون » والماهد هو الله على الحقيقة ولكنه نسب اليهم تمهيد المرقد لتسببهم اليه بالعمل الصالح (الثاني) اطلاق نسبة الفعل على سبب سببه وهو في القرآن كثير . ومنه قوله تعالى « ربّنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار » نسبوا ضلّي النار الى سبب سببه لأن الكبراء أمروهم وهم امثلوه والمقدّم على الحقيقة هو الله تعالى وسبب كفرهم أمر رؤسائهم ايهم بالكفر . ومنه « فأخرجهم مما كانوا فيه » ومنه قوله تعالى « كما أخرج أبويكم من الجنة » ومنه « فلا يُخرجنّكما من الجنة فتشقى » المخرج والنازع على الحقيقة هو الله تعالى (الثالث) نسبة الفعل الى الأمر به وهو في القرآن كثير . منه قوله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » ومنه « الزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحد منهما » ومنه قوله تعالى « فاجلدوهم ثمانين جلدة » فان كان هذا أمراً للولاية فهو أمراً بالامر باقامة الحدود وان كان أمراً لمستوفي الحقوق أو مباشرها فهو حقيقة (فأما) قوله رَجَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزاً والغامدية . وقوله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . فكل ذلك من باب نسبة الفعل الى الأمر به . ومن ذلك قوله تعالى « ونادى فرعون في قومه » أي أمر من ينادى في قومه (الرابع) نسبة الفعل الى الآذن فيه وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « وأخذنّ منكم مشاقاً غليظاً » الآخذ على الحقيقة هو الوليّ والمرأة الآذنة فيه وهذا أخذ محازى

ونسبته اليهن مجازية أيضاً كما ذكرناه . . وقد اختلف في الميثاق ف قيل انه العقد وقيل انه قول الولي زوّجتك على ما أمر الله به من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . ومنه قوله تعالى « فلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ » وقوله تعالى « فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ » نسب النكاح اليهن لاذنهن فيه وهذا على قول من قال ان المرأة العاقلة البالغة الثيب لا تنكح نفسها . وأما على قول من قال انها تنكح نفسها فهو حقيقة فيهن مجاز فيما سواهن

القسم الخامس

الاخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم وفي خطابهم بما يتعلق ببعضهم وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « ثم اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ » معناه ثم اتَّخَذَ الْعِجْلَ بَعْضُ أَسْلَافِكُمْ فَإِنْ جَمِيعُ الْخَلْفِ وَالسَّالِفِ لَمْ يَتَّخِذُوا الْعِجْلَ إِلَّا وَأَنْتُمْ وَجَدْتُمْ مِنْ بَعْضِهِمْ فُصَارَ هَذَا كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ

فَإِنْ تَقْتُلُونَا نَقْتُلْكُمْ وَإِنْ تَقْصِدُوا لِيَدِي نَقْصِدْ

معناه فَإِنْ قَتَلْتُمْ بَعْضَنَا نَقْتُلْكُمْ إِذْ لَا يَتَوَوَّرُ أَنْ يَقْتُلُوهُمْ بَعْدَ اسْتِيعَابِ جَمِيعِهِمْ بِالْقَتْلِ وَهَذَا الْبَابُ كُلُّهُ مِنْ مَجَازِ الْحَذْفِ وَلَهُ قَاعِدَةٌ يَتَفَرَّعُ عَلَيْهَا وَهِيَ أَنَّ كَانَ الْبَعْضُ وَاحِداً كَانَ التَّقْدِيرُ وَإِذَا فَعَلَ أَحَدُكُمْ . ومثاله قوله تعالى « وَإِذَا قَتَلْتُمْ نَفْساً » وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ كَانَ التَّقْدِيرُ وَإِذَا فَعَلَ بَعْضُكُمْ . ومثاله قوله تعالى « وَإِذَا قَتَلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً » وَكَانَ الْقَائِلُونَ لَذَلِكَ سَبْعِينَ وَمِنْ زَعَمَ أَنَّهُ نَسَبَ الْفِعْلَ إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ رَضُوا بِهِ لَا يَسْتَقِيمُ قَوْلُهُ لِأَنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَّفِقُوا عَلَى الرِّضَى فِي قَتْلِ النَّفْسِ وَلَا بِاتِّخَاذِ الْعِجْلِ وَلَا بِقَوْلِهِمْ - لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً - وَلَا بِقَوْلِهِمْ « لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ » وَأَيْضاً فَإِنْ نُسِبَ الْفِعْلُ إِلَى الرَّاضِي بِهِ مَجَازاً وَإِلَى فَاعِلِهِ حَقِيقَةً فَإِذَا حُمِلَ - عَلَى - عَلَيْهِمَا كَانَ حَمَلاً عَلَى حَقِيقَةٍ غَالِبَةٍ وَمَجَازٍ مَغْلُوبٍ وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ

القسم السادس

إطلاق اسم البعض على الكل وهو سبعة عشر قسماً

(الـأـل) التعبير بالقيام عن الصلاة . ومن ذلك قوله تعالى « قم الليل إلا قليلاً » أو صلّ الليل إلا قليلاً . وقوله تعالى « لا تقم فيه أبداً » أى لا تصل فيه أبداً (الثانى) التعبير بالركوع عن الصلاة وهو فى قوله تعالى « واركع مع الراكعين » أى صلى مع المصلين . وقوله تعالى « وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون » أى وإذا قيل لهم صلوا لا يصلون (الثالث) التعبير عنها بالسجود . وذلك فى قوله تعالى « ومن الليل فاسجد له » أى فصلّ له . ومنه قوله تعالى « فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » أى فإذا صلوا فليكونوا من ورائكم . ومنه قوله تعالى « يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » أى وهم يصلون لأن التلاوة منتهى عنها فى السجود الحقيقى فلا يضح المدح فيما نهى عنه (الرابع) التعبير عنها بالقراءة فى قوله تعالى « وقرآن الفجر » وفى قوله « فاقراءوا ما نيسر من القرآن » (الخامس) التعبير عنها بالتسبيح فى قوله « وسبحه ليلاً طويلاً » وفى قوله « وسبح بحمد ربك قبل طُلوع الشمس وقبل الغروب » وفى قوله « وسبحوه بُكْرَةً وَأَصِيلاً » وأمثاله فى القرآن كثير (السادس) التعبير عنها بالذكر فى قوله « واذكّر اسم ربك بُكْرَةً وَأَصِيلاً » وفى قوله « فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون » معناه فإذا أمنتم فصلوا لله (السابع) التعبير عنها بالاستغفار فى قوله « وهم يستغفرون » وحمله بعضهم على الحقيقة (الثامن) التعبير بالذقن عن الوجه فى قوله تعالى « يخشعون للأذقان سجداً » وفى قوله « يخشعون للأذقان يبيكون » أى للوجوه (التاسع) التعبير بالأنف عن الوجه فى قوله تعالى « سنسمه على الخرطوم » (العاشر) التعبير بالرقبة عن الجملة فى قوله تعالى « فتحرير رقبة » وفى قوله « وفى الرقاب » وفى قوله « فظلت أعناقهم لها خاضعين » فإن هذه الأفعال لا تختص بالرقاب بل تعم الأجساد وكذلك ما أشبهه

(الحادى عشر) التعبير باليدين عن الجملة وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى
 « ذلك بما قدمت يداك » (الثانى عشر) التعبير باليمين عن الجملة . ومنه قوله تعالى
 « لاخذنا منه باليمين » (الثالث عشر) التعبير بالعضد عن الجملة فى قوله تعالى « سنشدُّ
 عضدك باخيك » (الرابع عشر) التعبير بالأصابع عن الكف والارجل كقوله
 تعالى « فاضربوا منهم فوق الأعناق واضربوا منهم كلَّ بَنان » (الخامس عشر)
 التعبير بالوجه عن الجسد . ومنه قوله عز وجل « وُجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ الى ربها ناظرة »
 ومنه قوله تعالى « وُجوهٌ يومئذٍ عاملةٌ ناصبةٌ تصلى ناراً حاميةً » عبر بالوجوه عن
 الأجساد لان العمل والنصب صفتان للأجساد (السادس عشر) التعبير بالمسجد الحرام
 عن الحرم كله فى قوله تعالى « انما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد
 عامهم هذا . (ويجوز) أن يكون من مجاز الحذف تقديره فلا يقربوا حرم المسجد
 الحرام (السابع عشر) التعبير بمكة عن الحرم كله فى قوله عليه الصلاة والسلام ان الله
 حرم مكة يوم خالق السموات والأرض لا يُنفرُ صيدها ولا يعصد شجرها . ومعاًوم أن البلد
 نفسه لا صيد فيه مباح ولا شجر أيضاً (وأما) قوله تعالى « ثم محالها » فانه تجوز
 بالبيت العتيق عن الحرم كله إذ لا يجوز النحر فيما أتصل بالبيت من المسجد المحيط
 (ويجوز) أن يكون من مجاز الحذف تقديره ثم محالها الى حرم البيت العتيق

- القسم السابع -

اطلاق اسم الكل على البعض وهو أحد عشر قسماً

(الأول) قوله تعالى « واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم » ومعلوم انه لم ير جلتهم وانما
 دائر وجوههم وما يبدأ منهم (الثانى) قوله تعالى « فأجلدوهم ثمانين جلدة » (الثالث)
 قوله تعالى « فأمسحوا برؤوسكم » على قول من قال استيعاب مسح الرأس ليس بواجب
 (الرابع) قوله تعالى « يجعلون أصابعهم فى آذانهم » وانما جعلوا بعض أناملهم (الخامس)

قوله تعالى « ادخلوا مصر » ومعلوم أنهم لم يستوعبوها (السادس) قولهم « خرجت من المسجد » ومثله في القرآن كثير (السابع) وصف البعض بوصف الكل وهو في قوله تعالى « يعلم خائنة الأعين » (الثامن) قوله تعالى « لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة » الخطأ صفة لكل فوصفت به الناصية (وأما) قوله - كاذبة - فالكاذب على الحقيقة هو اللسان ونسبة الكذب الى الانسان من مجاز وصفه بصفة بعضه وتجاوز عن هذا المجاز بان وصفت به الناصية فيكون مجازاً عن مجاز (التاسع) نسبة الظن الى الوجوه في قوله تعالى « تظن أن يفعل بها فاقرة » فان الظن وصف للقلوب على الحقيقة ويضاف الى الأجساد على التجوز فيكون مجازاً عن مجاز (العاشر) وصف الوجوه بالخشوع فان محل الخشوع القلوب ثم توصف به الجملة ثم توصف الوجوه بصفة الجملة (الحادى عشر) وصفها بالرضى في قوله تعالى « لسعيا راضية » وصف لها بصفة القلوب وهذا كله من محاز القلوب

- القسم الثامن -

في التجوز بوصف الكل بصفة البعض وهو أربعة أقسام

(الأول) من ذلك قوله تعالى « انا منكم و جاؤن » والوجل الخوف ومحله القلب ويدل عليه قوله تعالى « وبشر المحبتين الذين اذا ذكر الله وجات قلوبهم » (الثانى) قوله تعالى « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً » والرعب انما يملأ القلوب فنسب الى الأجساد ووصف القلوب بالامتلاء مجازاً أيضاً (الثالث) قولك زيد عالم وجاهل وراغب وخائف وآمن ومتفكر وشاك ومتذكر وعاقل ولين وقاس وقانع فهذه كلها من أوصاف القلوب وقد وصفت بها الجملة (الرابع) قوله تعالى « كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون بشيراً ونذيراً » وصف القرآن بالبشارة والنذارة وكلاهما بعض من أبعاضه لاشتراكه على الأمر والنهى والحدود والحلال والحرام وسائر الأحكام ونسبة البشارة والنذارة اليه مجازية أيضاً

— القسم التاسع —

اطلاق اسم الفعل على مقاربه ومساوقه وهو قسمان

(الأول) قوله تعالى «واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف» معناه
واذا طلقتم النساء فمقاربن انقضاء عددهن وشارفته فأمسكوهن بمعروف (الثاني) قوله
تعالى «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً» معناه والذين يقاربون الوفاة وترك
الأزواج ويشارفونها .. وكذلك ما أشبهه



— القسم العاشر —

اطلاق اسم الشيء على ما كان عليه وهو قسمان

(الأول) من ذلك قوله تعالى «وآتوا اليتامى أموالهم» معناه الذين كانوا يتامى إذ
لا يُتَمَّ بعد البلوغ (الثاني) قوله تعالى «ولا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن» معناه
الذين كانوا أزواجهن لأنها نزلت في معقل بن يسار وأخته لما حلف أنه لا يزوجهما
من زوجها عبدالله بن رواحة

— القسم الحادي عشر —

اطلاق اسم الشيء بما يؤل إليه وهو قسمان

(الأول) من ذلك قوله تعالى «كتب عليكم القصاص في القتلى» أي فيمن يقتل
من القتلى (الثاني) قوله تعالى «إني أراني أعصر خمراً» أي أعصر عباً .. ومن
ذلك قوله تعالى «ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً»

— القسم الثاني عشر —

اطلاق اسم المتوهم على المحقق وهو خمسة أقسام

(الأول) من ذلك قوله تعالى «يرونهم مثلهم رأى العين» أى فى ظنكم وحسابكم
(والثانى) قوله تعالى «وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون» أى فى ظن الناظر اليهم
وحسابه (الثالث) قوله تعالى «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» ولم
يصر كالعرجون القديم الا فى الحساب والظن ورأى العين . . . وكذلك تقديره منازل انما
هى منازل من رأى العين فان القمر فى الفلك الأول والمنازل فى الفلك الثامن ولا يتصور
نزوله فى شئ منها وانما يقع ذلك فى نظر الناظرين وحساب الظانين (الرابع) قوله
تعالى «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون»
أى يسبحون فى رأى العين فان الناظر الى الفلك يعتقد ساكناً والكواكب جارية
فيه وليس كذلك (الخامس) قوله تعالى «فكان قاب قوسين أو أدنى» أى كان قاب
قوسين أو أدنى فى ظن رائيه وحسابه

— القسم الثالث عشر —

اطلاق اسم الشئ على الشئ الذى يظنه
المعتقد والأمر على خلافه وهو ستة أقسام

(الأول) من ذلك قوله تعالى «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً» ذكر
ذلك بالنسبة الى ظنهم وزعمهم إذ ليس له ضد ولا نقيض (الثانى) قوله تعالى «أين شركائى»
وليس هذا اثباتاً للشركاء بل هو ينزل على قول الخصم معناه أين شركائى بزعمكم وقوله
صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه «من عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته لشريكى» معناه
تركته لشريكى بزعمه (الثالث) قوله تعالى «ان رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون»

لم يقرّ فرعون برسالة موسى عليه السلام بل المعنى بزعمه أنه رسول (الرابع) قوله عز وجل « يا أيها الذي نزل عليه الذّكرُ إنك لمجنون » ليس هذا إقراراً بتنزيل الذّكر وإنما المعنى يا أيها الذي نزل عليه الذّكر بزعمه (الخامس) قوله تعالى (١)

— القسم الرابع عشر —

التضمين وهو أن يُضمن اسماً معنى اسمٍ لافادة معنى الاسمين فتعديده تعديته في بعض المواطن وهو أربعة أقسام

(الأول) قوله تعالى « حقيقٌ على أن لا أقولَ على الله إلا الحق » ضمن حقيقاً معنى حريصٍ ليفيد أنه محقق يقول الحق وحريص عليه (الثاني) من التضمين أيضاً أن تُضمّن فعلاً معنى فعلٍ آخر لافادة معنى الفعلين وتعديده أيضاً تعديته في بعض المواطن وهو في القرآن كثير . منه قوله تعالى « لا تُشركُ بي شيئاً » ضمن لا تشرك معنى لا تعدل - والعدل - التسوية أى لا تسوى بالله شيئاً في العبادة والمحبة فانهم عبدوا الأصنام كعبادة الله وحُبُّوها كحب الله ولذلك قال الذين في النار « تالله إن كنا لفي ضلال مبينٍ إذْ نُسوِّبكم ربَّ العالمين » وما سَوَّوْهم به إلا في العبادة والمحبة دون أوصاف الكمال ونعوت الجمال والجلال (الثالث) قوله عز وجل « إن كادَتْ لَتُبْدَى به لو لا أن ربَّنَا على قلوبها » ضمن لتبدي به معنى لتخبر به أو لتعلم ليفيد الاظهار معنى الاخبار لأن الخبر قد يقع سراً غير ظاهر (الرابع) قوله تعالى « عيناَ يشربُ بها عبادُ الله » ضمن يشرب معنى يروى أو معنى يلتذ ليفيد الشرب والرى أو الشرب والالتذاذ جميعاً

القسم الخامس عشر

في مجاز الزوم وهو ثمانية تحت كل قسم أقسام قد بينها فيه

(الأول) التعبير بالاذن عن المشيئة لأن الغالب أن الاذن في الشيء لا يقع الا بمشيئة الآذن واختياره الملازمة الغالبة مصححة للمجاز . ومن ذلك قوله تعالى « وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله » أى إلا بمشيئة الله . ويجوز أن يراد في هذا بالاذن أمر التكوين والمعنى وما كان لنفس أن تموت الا بقول الله موتى . وانظيره « فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم » لحذف تقديره فقال لهم الله موتوا فماتوا لدلالة قوله - ثم أحياهم - عليه . ومثله « وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله » ومنه « وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى باذن الله » أى بمشيئة الله أو بأمر التكوين فان ملازمة المشيئة للأمر غالباً كملازمة مشيئة المرید غالباً (الثانى) التعبير بالاذن عن التيسير والتسهيل وهو في قوله تعالى « والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه » أى بتسهيله وتيسيره اذ لا يحسن أن يقال دعوته باذنى ولا قت وقعت باذنى هذا قول الزمخشري . . ويجوز أن يراد بالاذن ههنا الأمر أى يدعوكم الى الجنة والمغفرة بأمره (الثالث) تسمية المسافر بابن السبيل . وذلك في قوله تعالى « وابن السبيل » لملازمته السبيل وهو الطريق كما يلزم الولد أمه . ومنه قيل للطير ابن الماء لملازمته الماء (الرابع) نفي الشيء لانتفاء ثمرته وفائدته للزومها عنه غالباً في مثل قوله تعالى « كيف يكون للمشركين عهد » أى وفاء عهد وإتمام عهد فنفي العهد لانتفاء ثمرته وهو الوفاء والاتمام . ومنه قوله تعالى « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفرانهم لا أيمان لهم » نفي الايمان بعد انبائها لانتفاء ثمرتها وفائدتها وهو البر والوفاء . . ويجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره انهم لا وفاء أيمان لهم (الخامس) اطلاق اسم الريب على الشك لملازمة الشك القاق والاضطراب فان حقيقة الريب قلق النفس بدليل قوله « نربص بكم ريب المنون » أى مقلقات الدهور . وبدليل قوله عليه الصلاة والسلام في الظنى الحاقف لا يريبه أحد وقوله صلى الله عليه وسلم ان فاطمة بضعة

منى يربنى ما يربىها .. ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى
* أمن المنون ورئبها تتوجع *

(السادس) التعبير بالمسافة عن الزنا لان السفح صب المنى وهو ملازم للجماع غالباً لكنه خص بالزنا إذ لا غرض فيه سوى صب المنى بخلاف النكاح فان مقصوده الولد والتعاضد والتناصر بالأختان والأصهار والاولاد والأحفاد. ومثاله قوله تعالى «محصنين غير مسافحين» أى غير مزانين. وقوله تعالى «محصنات غير مسافحات» أى غير مزانيات (السابع) اطلاق اسم المحل على الحال فيه لما بينهما من الملازمة الغالبة كالتعبير باليد عن القدرة والاستيلاء وبالعين عن الادراك وبالصدر عن القلب وبالقلب عن العقل وبالفواه عن الألسن وبالألسن عن اللغات وبالقرية عن قاطنيتها وبالساحة عن نازلها وبالنادى والندى عن أهلها وبالغائط وهو المكان المنخفض عما يخرج من الانسان لانهم كانوا فى الغالب يقضون الحاجة فى الأما كن المنخفضة تسترا عن الناس (أما) التعبير باليد عن القدرة فهو فى القرآن كثير من ذلك قوله تعالى «يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الاسرى» وقوله تعالى «تبارك الذى بيده الملك» وأما التعبير بالعين عن الادراك فهو فى قوله تعالى «أم لهم أعين يُبصرون بها» أى يبصرون بادراكها أو بنورها (وأما) التعبير بالصدر عن القلب فهو فى القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى «فلا يكن فى صدرك حرج منه» أى فى قلبك. ومنه قوله تعالى «وما تخفى صدورهم أكبر» (وأما) بالقلب عن العقل فهو فى القرآن فى موضعين. أحدهما قوله تعالى «إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب» والثانى فى قوله تعالى «لهم قلوب لا يفقهون بها» أى لهم عقول لا يفقهون بها. ويحوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره لهم قلوب لا يفقهون بعقولها كما فى قوله «ولهم آذان لا يسمعون بها» أى لا يسمعون بأسماعها أو بادراكها (وأما) التعبير بالفواه عن الألسن فهو فى قوله تعالى «من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» أى بألسنتهم لان القول انما يكون باللسان ومنه قوله تعالى «يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم» (وأما) التعبير بالألسن عن اللغات فهو فى القرآن كثير من ذلك قوله تعالى «فانما يسرناه بلسانك» أى بلفظك ومنه قوله

تعالى « بلسان عربي مبين » أى بكلام عربي مبين (وأما) التعبير بالساحة عن نازلها
ففى قوله تعالى « فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين » معناه فاذا نزل بهم (وأما)
التعبير بالقرية عن قاطنيتها فى قوله تعالى « واسئل القرية التى كنا فيها » (وأما)
التعبير بالنادى عن أهله فى قوله تعالى « فليدع ناديه » (وأما) التعبير بالندى عن
أهله فى قوله « أى الفريقين خيرٌ مقاماً وأحسنُ ندياً » أى أحسن أهل مجلس
(وأما) التعبير بالغائط وهو المكان المنخفض عما يخرج من الانسان فى قوله تعالى
« أو جاء أحدكم من الغائط » . . ومن مجاز الملازمة وهو التعبير بالارادة عن المقاربة لان
من أراد شيئاً قربت مواقمته إياه غالباً وهو فى قوله تعالى « فوجدنا فيها جداراً
يريد أن ينقض فاقمته » أى قارب الانقضاض . ومنه قول الشاعر

يُرِيدُ الرَّمْحُ صَدْرَ أَبِي رِيَّاحٍ وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ

(ومنه) التعبير بترك الكلام عن الغضب لان الهجران وترك الكلام يلزمان الغضب
غالباً وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « ولا يكلمهم الله يوم
القيامة ولا يزكهم » والآخر قوله تعالى « ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة »
(ومنه) التجوز بالاباس عن العـلم لان الایاس من تقيض المعلوم ملازم للعلم غير
منقلب عنه . من ذلك قوله تعالى « أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس
جميعاً » (ومنه) التعبير بالدخول عن الوطء لان الغالب من الرجل اذا دخل
بامرأته انه يطأها ليلة عرسها . ومثاله قوله تعالى « وربائبكم اللاتي فى حجوركم من
نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم » ومنه وصف
الزمان بصفة مايشتمل عليه ويقع فيه وهو فى القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى
« فذلك يومئذ يومٌ عسيرٌ » وصفه بالعسر والعسرُ صفةٌ للأحوال الواقعة فى ذلك اليوم
ومنه قوله تعالى « فياخذكم عذابٌ يومٍ عظيمٌ » وصف اليوم بالعظم وهو صفةٌ للعذاب
الواقع فيه . وأما قوله تعالى « فياخذكم عذاب يوم عقيم » فانه مجاز تشبيه شبه اليوم فى
انقطاع خيره بانقطاع ولادة العقيم . ومنه قوله تعالى « وقال هذا يومٌ عَصِيبٌ »
وصفه بكونه عصيباً وهو صفةٌ للشر الذى يقع فيه

❦ القسم السادس عشر ❦

التجوز بالمجاز عن المجاز

وهو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة الى مجاز آخر فيتجوز بالمجاز الأول عن الثاني بملاقة بينه وبين الثاني . مثال ذلك قوله تعالى « ولكن لا تواعدوهن سرّاً » فانه مجاز عن مجاز فان الوطاء تجوز عنه بالسّر لانه لا يقع غالباً الا في السر فلما لازم السر في الغالب سمي سرّاً وتجوز بالسّر عن العقد لانه سبب فيه فلمصحح للمجاز الأول الملازمة والمصحح للمجاز الثاني التعبير باسم المسبب الذي هو السر عن العقد الذي هو سبب كما سمي عقد النكاح نكاحاً لكونه سبباً في النكاح وكذلك سمي العقد سرّاً لانه سبب في السر الذي هو النكاح فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف المصحح فغنى قوله . ولكن لا تواعدوهن سرّاً . لا تواعدوهن عقد نكاح وكذلك قوله « ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله » قال مجاهد ومن يكفر بلا إله الا الله فقد حبط عمله فان حمل قوله على ظاهره كان هذا من مجاز المجاز لأن قول لا إله الا الله مجاز عن تصديق الثلب بمدلول هذا اللفظ والتعبير بلا إله الا الله عن الوحدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه والأول من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان

❦ القسم السابع عشر ❦

التجوز في الاسماء وهو على سبعة أقسام

(الأول) اطلاق اسم الأسد على الشجاع (الثاني) التجوز بالبحر عن الجواد (الثالث) اطلاق اسم الفوز والحياة على الايمان والعرفان (الرابع) اطلاق اسم الظلمة والموت على الجهل والضلال (الخامس) اطلاق اسم السراج والنور على الهادي (السادس) اطلاق اسم الخطب على النجمة بانارتها نار الحقد والغضب (السابع) اطلاق اسم الانسان على تمثاله وكذلك الحيوان والبلدان وقد تقدم جميع أمثلة ذلك إلا الخطب المعبر به عن النجمة فانه في قوله تعالى « حمالة الخطب »

﴿ القسم الثامن عشر ﴾

التجوز في الافعال وهو على عشرة أقسام وتحت كل قسم منها أقسام

(الأول) التجوز بالماضي عن المستقبل تشبيهاً له في التحقيق والعرب تفعل ذلك لفائدة وهو أن الفعل الماضي اذا أخبر به عن المضارع الذي لم يوجد بعد كان أبلغ وأكثر وأعظم موقعاً وأنغم بياناً لان الفعل الماضي يعطى من المعنى أنه قد كان وجد وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدوثها . ومنه قوله تعالى « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله وكل أتوه داخرين » فانه إنما قال - ففزع - بلفظ الماضي بعد قوله - ينفخ - وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل بكونه مقطوعاً به . ومن هذا الجنس قوله تعالى « وبرزوا لله جميعاً » فبرزوا بمعنى يبرزون يوم القيامة وإنما جرى به بلفظ الماضي لان ما أخبر الله به لصدقه وصحته فانه قد كان ووجد . ومثل ذلك قوله عز اسمه « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » فأتى هنا بمعنى يأتي وإنما حسن فيه لفظ الماضي لصدق إثبات الأمر ودخوله في جملة ما لا بد من حدوثه ووقوعه فصار يأتي بمنزلة أتى ومضى . وكذا قوله تعالى « ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً » فانه إنما قال - وحشرناهم - ماضياً بعد - نسير . وترى - وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الأحوال كانه قال وحشرناهم قبل ذلك وهو في القرآن العظيم كثير . قال الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام في كتابه المعروف بالمجاز أكثر ما يكون هذا في الشروط وأجوبتها وقد يجيء في غيرها . مثاله في غير الشرط قوله تعالى « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » ومنه « ونادى أصحاب الاعراف » ومنه « ونادى الجنة أصحاب النار » ومنه « ونادوا يامالك » ومنه « وقال قرينه هذا ما لدي »

عتيدته» ومنه «وقالوا الجلودهم» . ومنه «إنا أعتدنا للظالمين ناراً» . ومنه «وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا» وأمثاله فى القرآن كثيرٌ (وأما) مثاله فى الشرط فقوله تعالى «وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا» معناه وإن تكونوا فى ريب . ومنه «وإن تبتم فهو خيرٌ لكم» معناه وإن تتوبوا فهو خير لكم . ومنه «فإن كنت فى شك مما نزلنا إليك» معناه فإن شك فى شك . ومنه «إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا» معناه إن تكونوا مؤمنين بالله فعليه توكلوا (وأما) فى جواب الشرط فقوله تعالى «الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة» . ومنه «ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفرةً لظلوا من بعده يكفرون» قال الخليل معناه ليظنّ . ومنه «وإن عدتم عدنا» معناه وإنه تعودوا الى قتال محمد عدنا الى نصره والشرط لا يكون إلا مستقبلاً والمرتب على المستقبل مستقبلٌ لاحالة وهذا من مجاز التشبيه شبه المستقبل فى الحقيقة وثبوته بالماضى الذى دخل فى الوجود بحيث لا يمكن رفعه (الذنى) التعبير بالمستقبل عن الماضى وهو فى القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى «واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان» . ومنه «فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون» معناه وفريقاً قتلتهم . . . ويجوز أن يكون القول فى هاتين الآيتين حكاية حال ماضية مثله فى قوله تعالى «تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا» وكما فى قوله تعالى «ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل» . ومنه قوله تعالى «وكانوا يصرون على الحث العظيم» ومنه «وقد كانوا يدعون الى السجود» ومنه «وإذ تقول للذى أنعم الله عليه» معناه وإذ قات وهو فى القرآن كثيرٌ (وانما) قصدت العرب بالاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل لأن الاخبار بالفعل المضارع إذا أتى به فى حالة الاخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضى وذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التى يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى والفرق بينه وبين القسم الذى قبله هو أن الفعل الماضى يخبر به عن المضارع اذا كان الفعل المضارع من الاشياء الهائلة التى لم توجد والأمور المتعاطفة التى لم تحدث فتجعل عند ذلك فيما قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه وحدثه وأما الفعل المضارع اذا أخبر به عن الماضى فإن الغرض بذلك تعيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه

يعاينها ويشاهدها (الثالث) التجوز بلفظ الخبر عن الأمر وهو في القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى « والوالداتُ يرضعنُ أولادهنَّ حولين كاملين » ومنه قوله تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » . ومنه قوله تعالى « تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » معناه آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ولذلك أجيب بالجزم في قوله « يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جناتٍ » ولا يصح أن يكون جواباً للاستفهام في قوله - هل أدلكم - لأن المغفرة وإدخال الجنات لا يترتب على مجرد الدلالة وهذا من مجاز التشبيه شبه الطلب في تأكيد بغير الصادق الذي لا بد من وقوعه وإذا شبه بالخبر الماضي كان تأكيداً وكذلك الدعاء والأمر والنهي بالخبر الماضي إذا أريد تأكيد ما عبر عنها بالخبر المستقبل فإن بلغت في التأكيد تجاوزت عنها بالخبر الماضي (الرابع) التجوز بلفظ الخبر عن الدعاء وهو في القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » معناه اللهم أغفر لهم . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخى لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد . ومن ذلك تسميت العاطس يرحمك الله وفي إجابته يهديكم الله ويصالح بالكم . . المعنى اللهم ارحمهم اللهم اهدهم (الخامس) التجوز بلفظ الخبر عن النهي وهو في القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى « وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله » معناه ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله . ومنه قوله تعالى « لا تعبدون إلا الله » معناه لا تعبدوا إلا الله . ومنه قوله تعالى « لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » (السادس) التجوز بلفظ الأمر عن الخبر تأكيداً للخبر لأن الأمر للإيجاب فيشبه الخبر به في إيجابه وهو في القرآن في موضعين قوله تعالى « قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً » تقديره قل من كان في الضلالة يمدد له الرحمن مداً أو مد له الرحمن مداً . الثاني « اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم » (السابع) التجوز بجواب الشرط عن الأمر وهو في القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » معناه عند الجمهور فليغلبوا مائتين . ومنه « وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً » معناه فليغلبوا ألفاً

ومنه « فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين » معناه فليغلبوا مائتين « وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » معناه فليغلبوا ألفين والمراد به التأكيد لانه خبر تجوز به عن الطلب (الثامن) التجوز بلفظ النهى عن أشياء ليست مرادةً بالنهى وانما المراد بها ما يقاربها أو يلازمها أو تكون مسببة عنه وهو فى القرآن العظيم كثير . فمن ذلك قوله تعالى « وَذَرُوا الْبَيْعَ » نهى عن البيع فى اللفظ وهو مباح وأراد ما يلزم عنه من ترك الواجب . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ » النهى عن الموت نفسه لا يصح لانه ينافى التكليف لكنه تجوز به عما يقارنه من الكفر فكأنه قال ولا تكفروا عند موتكم . ومنه « قولهم لا أرينك ها هنا » معناه لا تحضرن فأراك فتجوز برؤيته عن سببها وهو الحضور . ومنه نهيه صلى الله عليه وسلم عن البيع على بيع الأخ ليس النهى عن نفس البيع لأنه مجتمعٌ بشرائط الصحة انما النهى عن أذية الأخ المقترنة بالبيع . ومنه النهى عن الخطبة على خطبة الأخ ليس النهى عن الخطبة نفسها وانما النهى عما يلزمها من تأذى الخاطب (التاسع) التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيه والمراد به من يصح نهيه وهو فى القرآن كثير . فمنه قوله تعالى « وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ » النهى فى اللفظ للعينين والمراد بذلك ذو العينين أى لا تنظر الى غيرهم . ومنه « لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » النهى فى اللفظ للأموال والأولاد وفى المعنى لذوى الأموال والأولاد . ومنه « لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد » النهى فى اللفظ للتقلب والمراد به النهى عن الاغترار بالتقلب . ومنه قوله « فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا » النهى فى اللفظ للحياة الدنيا والمراد به نهى المخاطبين عن الاغترار بها . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ » النهى فى اللفظ للأموال والأولاد وفى المعنى نهى المخاطبين عن الاعجاب بهما . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ » النهى للرافة فى اللفظ وللمخاطبين فى المعنى . ومنه قوله تعالى « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » النهى لضمير الفتنة فى اللفظ وللمخاطبين فى المعنى لا تعرضن لا صابة الفتنة اياكم لسبب تقريرها وترك تكبرها والتقدير واتقوا تقدير فتنة لا تصيبن عقوبتها أو شؤمها أو وبالها الذين ظلموا

منكم خاصة (العاشر) التجوز بنهى من يصح نهيهِ والنهى فى الحقيقة غيره وهو فى القرآن العظيم كثير • منه قوله تعالى « وَلَا يَصِدَّنْكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ » معناه ولا تصدن عن آيات الله بسبب صدم إياك • ومنه « فَلَا يَصِدَّنْكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا » معناه فلا تصدن عنها • ومنه قوله تعالى « وَلَا يَسْتَخْفِنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ » معناه ولا تخفن

القسم التاسع عشر

التجوز بالحروف بعضها عن بعض وهو عشرة أقسام

(الاول) - هل - يُتَجَوَزُ بها عن الأمر والنهى والتقدير وهو فى القرآن العظيم كثير • • أما التجوز بها عن الأمر فى مواضع • منها قوله تعالى « فَبَلَّغْ أَتَمَّ مَسَامُونِ » معناه أسلموا • ومنه قوله تعالى « فَبَلَّغْ أَتَمَّ مُنْتَهَوْنَ » معناه فاتهموا • • أما التجوز بها فى النفى فهو فى مواضع • منها قوله تعالى « فَبَلَّغْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ » وقوله تعالى « فَبَلَّغْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ » معناه فاترى لهم من باقية فلا يهلك إلا القوم الفاسقون • وقوله تعالى « هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ » معناه ما ينظرون إلا أن يأتىهم الله فى ظلال ومثل هذا فى القرآن كثير • وأما قوله تعالى « هَلْ مِنْ مَزِيدٍ » فقليل انه نفى الاستزادة معناه لا مزيد فى وقيل انه طلب لها معناه زدنى • • وأما التجوز بها فى التقرير فهو فى القرآن العظيم فى آيتين • احدهما قوله تعالى « هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا » الثانية فى قوله تعالى « هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ » (الثانى) - همزة الاستفهام - ويتجوز بها عن النفى وعن الأمر والایجاب والتقرير والتوبيخ • • أما التجوز بها عن النفى فى القرآن العظيم منه كثير • • من ذلك قوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » معناه لست مكره الناس حتى يكونوا مؤمنين • وقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تَقْذِرُ مَنْ فِي النَّارِ » معناه لست منقذ من فى النار • وقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى » معناه لست مسمع

الأصمّ ولا هادى الأعمى ومثله فى القرآن كثير . . وأما التجوز بها فى الإيجاب فهو فى القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « أليس الله بكافٍ عبده » معناه الوعد بكفاية العباد . وقوله « أليس الله بعزيزٍ ذى انتقامٍ » وقوله تعالى « أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » . . ومنها قول جرير
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونٌ رَاحَ

وقول الآخر

أَلَسْتُ أَرَى النِّجْمَ الَّذِى هُوَ طَالِعٌ عَلَيْهَا وَهَذَا لِلْمَحِينِ نَافِعٌ
وأما التجوز بها فى التقرير فهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّى إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ » وقوله تعالى « أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ » وقوله تعالى « أَلَمْ نَكْرِهْ حَرَّمَ أُمِّ الْاَنْثِيَيْنِ » . . وأما التجوز بها فى التوبيخ فهو فى القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ » وقوله تعالى « أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » وقوله تعالى « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ » وقوله تعالى « أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ » (الثالث) التجوز - بنى - وله حقيقة تتحقق فى قسمين . أحدهما اختواء جرم على جرم كقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » وقوله تعالى « وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ » الثانى اختواء جرم على معنى كقوله تعالى « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » وقوله تعالى « وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ » وكقوله « إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ » وأمثاله فى القرآن كثير . . وأما التجوز بها فهو أنواع . الأول أن يجعل المعنى ظرفاً لتعلقه بمعنى آخر وذلك قوله تعالى « وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وهو طاعته واجتناب معصيته أو القتال فى سبيله ظرفاً لتعلق الجهاد والجهاد قائم بالمجاهد . ومن ذلك قوله تعالى « لَا رَيْبَ فِيهِ » ومن ذلك قوله تعالى « وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لِرَيْبٍ فِيهَا » جعل الساعه والكتاب ظرفين لتعلق الريب لا لنفس الريب فان الريب حال فى المرتاب . ومنه قوله تعالى « وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ » أى فى توريتهن جعل التوريت محلاً لتعلق الاستفتاء ثم قال « قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ » أى فى توريتهن فجعل التوريت

محلا لتعلق بيان الفتيا وهو قول المفتي • ومنه قوله تعالى « فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه » جعل الحق محلا لتعلق الاختلاف والاختلاف قائم بالمتخلفين
• ومنه قوله تعالى « فادّارأتم فيها » أى فادّارأتم فى قتلها فجعل القتل محلا لتعلق الدرع
• ومنه قوله تعالى « فذلِكُنَّ الذى لُتُنْتِى فيه » جعل حبه أو مرادته طرفا لتعلق لومهن
لا لنفس اللوم فان لومهن قائم بهن • • الثانى التجوز بها عن الباء التى للسبب وهى فى
القرآن العظيم كثير • فمن ذلك قوله تعالى « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به »
أى بسبب ما أخطأتم • ومنه قوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله » أى بسبب نصرة
سبيل • وكذلك الحب بنى الله والبغض فى الله أى بسبب تعظيم الله وله نظائر كثيرة
ولما كان المسبب متعلقا بالسبب جعل السبب طرفا لتعلق المسبب • • الثالث من التجوز
به وهو أن يجعل الجرم محلا لتعلق المعنى وهو فى القرآن المجيد كثير • من ذلك قوله
تعالى « ويتفكرون فى خلق السموات والأرض » جعل الأجرام محلا لتعلق الفكر
لا لنفس الفكر فان الفكر قائم بالتفكر • ومنه قوله تعالى « أو لم ينظروا فى ملكوت
السموات والأرض وما خلق الله من شئ » جعل السموات والأرض والخلق كلها
محلا لتعلق النظر لا لنفس النظر فان الناظر قائم بالنظر حال فيه • ومنه قوله تعالى
« أو لم يتفكروا فى أنفسهم » (الرابع) من التجوز به أن يجعل المعنى محلا للجرم
وهو عكس الأول فتجوز به عن كثرة ما جعل طرفا مجازا لما كان الحاوى أعظم من
الحوى شبه به ما توالى أو كثر من المعانى ومنه فى القرآن شئ كثير • من ذلك قوله
تعالى « إنا لنراك فى ضلال مبين » ومنه « صُمُّ بُكْمٌ فى الظلمات » أى صم وبكم فى
الضلالات • ومنه قوله تعالى « فهم فى ربهم يترددون » ومنه قوله تعالى « ألا إنهم
فى صرية من لقاء ربهم » وأما قوله تعالى « إن المتقين فى جنات ونعيم » فى جنات ونهر •
فى جنات وعيون وفواكه • فمن جمع بين الحقيقة والمجاز جعل - فى - بالنسبة الى
الجنان طرفا حقيقيا وبالنسبة الى العيون والنهر والنعيم طرفا مجازيا ومن لم يجمع بينهما
يقدر أن المتقين فى جنات وفى نعيم وفى عيون وفى نهر فيكون فى الثانية مجازا محضاً
مشعراً بكثرة النعيم والانهار والعيون والفواكه ويدع الأولى على حقيقتها ولك أن

تجعل الجميع مجازاً على حذف لذات تقديره ان المتقين فى لذات جنات ونعيم وفى لذات جنات وعيون وفى لذات جنات ونهر وفى لذات وفواكه أو تقدر ان المتقين فى نعيم جنات وعيون وفواكه أو ما أشبهه ولا تقدر مثل هذا فى قوله - فى جنات ونعيم - اذ يبقى التقدير وفى نعيم نعيم وهو سمج لا يقدر مثله فى كتاب الله • وأما قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ » فظاهره عند من جمع بين الحقيقة والمجاز لحكمه فممن يعقل على السجود المعهود وفيما لا يعقل على الانقياد للقدرة والارادة • وأما قوله تعالى « أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى « أَفَى اللَّهِ شَكٌّ » فَالتَّقْدِيرُ فِيهِ أَفَى وَحِدَانِيَّةُ اللَّهِ شَكٌّ فَهُوَ مَنْ جَعَلَ الْمَعْنَى ظَرْفًا لِمُتَعَلِّقِ الْمَعْنَى • وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى « وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ » وَقَوْلُهُ « كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » فَلَيْسَ الظَّرْفُ هُنَا مُتَعَلِّقٌ بِجَوْهَرٍ وَلَا عَرَضٍ وَأَمَّا هَذَا مِنْ مَجَازِ التَّشْبِيهِ عَنِ بَكُونِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَنْ عِلْمِهِ بِمَا فِيهِنَّ لِأَنَّهُ مِنْ حَضَرٍ مَكَانًا لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَا فِيهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ - كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ - فَهُوَ يَشْبَهُ « إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ » وَكَقَوْلِهِمْ أَنَا فِي شُغْلِكَ وَحَاجَتِكَ وَلَا يَخْفَى وَجْهَ التَّشْبِيهِ فِيهِ! (الخامس) التَّجَوُّزُ - بَعْلَى - وَحَقِيقَتُهَا اسْتِعْلَاءُ جَرْمٍ عَلَى جَرْمٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى « وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ » وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى « لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ » وَأَمَّا مَجَازُهَا فَعَلَى قَسَمَيْنِ • أَحَدُهُمَا التَّجَوُّزُ عَنِ الثَّبُوتِ وَالِاسْتِقْرَارِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى « أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ » وَقَوْلُهُ تَعَالَى « قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي » وَقَوْلُهُ « وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى » وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » وَهَذَا أَيْضًا مِنْ مَجَازِ التَّشْبِيهِ شَبَّهِ التَّمَكُّنَ مِنَ الْهُدَى وَالْأَخْلَاقِ الْعَظِيمَةِ الشَّرِيفَةِ وَالثَّبُوتِ عَلَيْهَا مَنْ عَلَا عَلَى دَابَّةٍ يَصْرِفُهَا كَيْفَ شَاءَ • • • الثَّانِي أَنْ يَجْعَلَ الْمَعْنَى عَلَى الْجَرْمِ تَجَوُّزًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى « رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ » وَكَقَوْلِهِ « أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ » وَالْغَرَضُ بِذَلِكَ كَثْرَةُ الصَّلَاةِ وَالرَّحْمَةِ لِأَنَّ مَا عَلَاكَ وَجَلَّلَكَ فَقَدْ أَحَاطَ بِكَ • وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى « وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنْ وَالسَّلَوى » فَهُوَ مِنْ نَزُولِ جَرْمٍ عَلَى جَرْمٍ وَلَا يَدْفَعُ فِيهِ مَنْ حَذَفَ تَقْدِيرَهُ وَأَنْزَلْنَا عَلَى أَشْجَارِكُمْ أَوْ عَلَى مَحَاتِكُمْ • وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى « نَخْرَجُ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ » مَعْنَاهُ

نُخْرِجُ عَلَى نَادَى قَوْمِهِ أَوْ عَلَى مَحَلِّ قَوْمِهِ • وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى « اَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ » فَمَعْنَاهُ
اَخْرِجْ عَلَى مَجْلِسِهِنَّ أَوْ مَكَانِهِنَّ • وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى « كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ
وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا » فَمَعْنَاهُ كَلَّمَا دَخَلَ مَكَانَهَا أَوْ مِحْرَابَهَا (السادس) - عن - وهى حقيقة فى
مُجَاوِزَةِ جَرَمٍ عَنِ جَرَمٍ وَتَعْدِيَتِهِ عَنْهُ ثُمَّ يَسْتَعْمَلُ فِي الْمَعْنَى عَلَى طَرِيقِ التَّشْبِيهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى
« وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا » شَبَّهَ انْصِرَافَ الْبَصِيرَةِ عَنْ تَأَمُّلِ ذِكْرِهِ
بِانْصِرَافِ الْمُجَاوِزِ عَمَّا يُجَاوِزُهُ • وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ » إِنْ حُمِلَ عَلَى تَرْكِ الْقِتَالِ
كَانَ الْمَعْنَى فَانْصَرَفَ عَنْ قِتَالِهِمْ وَإِنْ حُمِلَ عَلَى غَيْرِهِ فَمَعْنَاهُ تَجَاوَزَ عَنْ أَذْيَتِهِمْ وَفِي الْحَدِيثِ
تَجَاوَزَ عَمَّا تَعْلَمُ الْمَعْنَى تَرْكَ الْمُواخَذَةِ لِأَنَّ الْمُتَجَاوِزَ عَنِ الشَّيْءِ تَارِكٌ لَهُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِنْ اللَّهُ تَجَاوَزَ لَأُمْتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا (السابع) حرف - من - وهى حقيقة فى ابْتِدَاءِ
غَايَةِ الْأَمْكَنَةِ وَيَتَجَوَّزُ بِهَا عَنْ ابْتِدَاءِ الْغَايَةِ فِي الْأَزْمَنَةِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى « لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى
التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ » فَاسْتَعْمَلَهَا غَايَةَ فِي الْأَزْمَنَةِ لِشَبْهِهَا بِالْأَمَّا كُنْ
وَكَذَلِكَ تَجَوَّزُ بِهَا عَنِ التَّعْلِيلِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى « إِنَّمَا خَطَايَاهُمْ أَغْرَقُوا » أَيْ مِنْ
أَجْلِ خَطَايَاهُمْ أَغْرَقُوا لِأَنَّ ابْتِدَاءَ غَايَةِ الْمَعْلُولِ صَادِرٌ عَنْ عِلَّةٍ فَشَبَّهَ ذَلِكَ بِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ
بِالْمَكَانِ (الثامن) حرف - ثم - وَيَسْتَعْمَلُ حَقِيقَةً فِي تَرَاخِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ثُمَّ يَتَجَوَّزُ بِهَا
فِي تَرَاخِي بَعْضِ الرُّتَبِ عَنْ بَعْضٍ بِالتَّبَاعِدِ الْمَعْنَوِيِّ فَشَبَّهَ التَّرَاخِي الْمَعْنَوِيَّ بِالتَّرَاخِي الزَّمَانِيِّ
وَالْمَكَانِيِّ وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ كَثِيرٌ • فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا »
فَجَاءَ - ثُمَّ - لِلتَّرَاخِي الَّذِي بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَإِنَّ الْإِيمَانَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِ
الْإِنْسَانِ فَهُوَ مُتَرَاخٍ فِي الْفَضْلِ عَنِ فَكِّ الرِّقَابِ وَإِطْعَامِ السَّعْيَانِ فَهُوَ مُؤَخَّرٌ فِي اللَّفْظِ
مُقَدَّمٌ فِي الْفَضِيلَةِ وَالرُّتْبَةِ عَلَى تَبَاعُدِ تَرَاخِيهِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَمَّا سُئِلَ أَى الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ قَالَ ثُمَّ مَاذَا
قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَدُلُّ أَنْ - ثُمَّ - هَاهُنَا لِلتَّرَاخِي الرُّتَبِ لَا لِلتَّرَاخِي الزَّمَانِيِّ لِأَنَّ الْإِيمَانَ
شَرْطٌ فِي اعْتِبَارِ فَكِّ الرِّقَابِ وَإِطْعَامِ السَّعْيَانِ فَلَا يُجَوِّزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ الْمَشْرُوطُ عَلَى شَرْطِ

••• وَمِنْهُ قَالَ الشَّاعِرُ

* إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ *

جاء بهم لتراخ بين السؤددين من الفضل • ومنه قوله تعالى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » على قول بعضهم قال جئ بهم لنفاوت ما بين نعمة التصوير ونعمة السجود لآدم قال فان اسجد الملائكة له أكمل أحسان وأتم انعام من التصوير • وقدر بعضهم ولقد خلقنا طينتكُم ثم صورناكم في ظهر أبيكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم • وقال بعضهم نسبة الخلق والتصوير الينا من مجاز نسبة ما يتعلق بالواحد الى جماعة • ومثاله قوله عز وجل « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين » نسب المعاهدة الى الجماعة والمراد بها معاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومثل قوله تعالى « أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ » نسب النكث الى الكل وانما نكث بعضهم • ومثله قوله تعالى « وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله » ولم تقل اليهود كلها ذلك وكذلك النصارى لأن بعضهم قال ذلك وبعضهم قال هو الله وبعضهم قال هو ثالث ثلاثة وقال بعضهم هو عبد الله ورسوله فنسب الى الفريقين ما وجد من بعضهم • ومثله قول امرئ القيس

* فَاِنْ تَقْتُلُونَا نَقْتُلْكُمْ *

(وأما) من يقول إن - ثم - تستعمل في تراخي بعض الاخبار عن بعض فلا يستقيم في هذه الآية ولا في قول الشاعر

* إِنْ مِنْ سَادِثٍ سَادَ أَبَوْه *

لأننا نعلم أن الله تعالى ما راخى بين الاخبار في قوله - ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم - وكذلك قول الشاعر - إن من سادثم ساد أبوه - يعلم أنه لم يقل - إن من سادثم - وقف زماناً طويلاً متراخياً ثم قال - ساد أبوه - وان استعمالها في تراخي الأخبار بعيد في استعمال العرب لان التراخي الموجود في كلامهم انما يقع في مداولات الألفاظ لا بين أنفس الألفاظ وهذا انما يصح استعماله في مقالات للاخبار فيها تعاقب إن ثبت أنه قول من يعتمد على قوله في هذا الشأن (التاسع) حرف - انباء - قال سيبويه هي اللصاق والاختلاط والاصاق أضرب • أحدها حقيق وهو الصاق جرم بجرم كقولك ألصقت القوس بالغراء والخشبة بالجدار • والثاني مجاز الصاق المعنى بجرم

كقولك لطفت بزيد ورأفتُ بعمرو فكأنك ألصقت اللطف والرأفة به لتعلقهما به وكقولك مررت بزيد ولا بد فيه من حذف تقديره مررت بمكان زيد أو بمحل زيد وهو من مجازات التشبيه كأنك ألصقت المرور بالمكان . الثالث الصاق المعنى بالمعنى كقوله تعالى « أن النفسَ بالنفس والعينَ بالعين » أى النفس مقتولة بقتل النفس والعين مفعوءة بفقاء العين أتى بالباء ليكون المسبب وهو القصاص منسوباً الى الجناية نسبة التشبيه وهو جار فى جميع الأسباب (العاشر) حرفان وهما - اهل . وعسى - وهما مجاز تشبيه أو تسبب وحقيقتهما الترجى والتوقع فالله سبحانه تعالى وتنزه أن يوصف بحقيقتهما بل يصح حملهما على مجاز التشبيه والتسبب . أما مجاز التشبيه فلأن معاملته بالأمر والنهى والوعد والوعيد مشبه بمعاملة مَلِكٍ عَامِلٍ عبيده بذلك على رجاء إجابتهم فان كل من سمع الملك يأمر وينهى ويعد ويوعد يرجو اجابة المأمول واثابته لاسيما اذا كان ذلك الملك كريماً صدوقاً لا يخلف الميعاد . وأما مجاز التسبب فلأن رجاء الاجابة وما يترتب عليها من الفلاح مسبب عن لين الخطاب وحسن الترغيب والترهيب فكذلك أمر الرب ونهيه مع وعده وإيعاده يوجبان لكل من سمعهما خوفاً ورجاء لا يوجد مثلهما فى حق غيره . ويحقق ذلك أن الكلام المنفرد لا يتوقع منه اجابة ولا إنابة والكلام اللين المرغوب يتوقع كل من سمعه الاجابة والانابة فلذلك قيل لموسى وهرون عليهما السلام « فقولاً له قولاً لنا لعلهُ يَتَذَكَّرُ أو يخشى » لما كان القول اللين سبباً للتذكر والخشية أمرهما به لتقوم عليه الحجة فهذا الرجاء المتعلق بكلامه . وأما الرجاء المتعلق بأفعاله فكما فى قوله سبحانه « والله أخرَجكم من بُطونِ أمَّهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ لعلكم تشكرون » لما ذكر هذه النعم الجسام التى لا يتصور وجودها من غيره أردفها بقوله - لعلكم تشكرون - من جهة أن الشكر مرجو من النعم عليه متوقع منه ولا سيما عند هذه النعم لانه عاملهم بهذه النعم معاملة الراجى كما عاملهم بالفتن معاملة الفاتن فوصفه نفسه بكونه راجياً كوصفه نفسه بكونه فاتناً وكذلك نظائره

- القسم العشرون -

من أقسام المجاز الاستعارة وهي على أربعة أقسام . وقيل على قسمين
وقيل على سبعة أقسام . وقد بينها في الوجه الثالث من الكلام عليها

اعلم وفقنا الله وإياك أن اللفظ اذا استعمل فيما وُضع له فهو حقيقة . وان استعمل
في غير ما وضع له فان لم يكن لمناسبة بينه وبين ما وُضع له فهو الموكّل^(١) وان كان لمناسبة
بينهما فان حسن فيه أدوات التشبيه فهو مجاز التشبيه وان لم يحسن فيه اظهار أدوات
التشبيه فهو الاستعارة . . . واذا تقرر هذا فالكلام في الاستعارة على وجوه . الأول
هل هي من أنواع المجاز أم لا . . . الثاني في حدها . . . الثالث في أقسامها . . . الرابع
في اشتقاقها . . . الخامس فيما تنهياً به الاستعارة وما لا تنهياً . . . السادس في الاستعارة
التخييلية . . . السابع في الاستعارة المجردة . . . الثامن في الاستعارة المرشحة . . . التاسع
في الاستعارة الحسنة . . . العاشر في الاستعارة القبيحة . . . الحادي عشر في بيان ما يُظن
أنه استعارة وليس باستعارة . . . الثاني عشر في الاستعارة بالكناية . . . الثالث عشر فيما
تنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة (أما الأول) فقد اختار الامام نحر الدين رحمه الله
أن الاستعارة ليست من المجاز لعدم النقل وجمهور علماء هذا الشأن عدوها من المجاز
لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له (وأما الثاني) فقد اختلفت عبارات علماء هذا الشأن
في حدها فقال علي بن عيسى الاستعارة استعمال العبارة لغير ما وضعت له في أصل اللغة
وقد أبطل الامام نحر الدين ما قاله ابن عيسى في حد الاستعارة من وجوه أربعة .
الاول أنه يلزم أن يكون كل مجاز لغوي استعارة . الثاني يلزم أن تكون الاعلام المنقولة
من باب المجاز . الثالث استعمال اللفظ في غير معناه للجعل بذلك . الرابع أنه يتناول
الاستعارة التخييلية على ما سيأتي . . . وقال قوم الاستعارة جعل الشيء الشيء أو جعل
الشيء لشيء لأجل المبالغة في التشبيه . فالأول كما تقول لقيتُ أسداً وتعني الشجاع

(١) كذا في الاصل وكتب بهامشه لعله المنقول فليحذر

فقد جعلت الشجاع أسداً فهذا جعلُ الشيء الشيء . والثاني كقول الشاعر

* إذ أصبحت بيد الشمال زمامها *

وسبأني . . وقال المتقدمون من أرباب هذه الصناعة الاستعارة الاستدلال بالشيء المحسوس على المعنى المعقول . وهذا هو أحد أنواع الاستعارة فان الاستعارة على أقسام وسبأني بيانه . . وقال قوم الاستعارة ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح المشبه . . وقال الامام نحر الدين رحمه الله الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره وإنبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه . فقوله - ذكر الشيء باسم غيره - احترازاً عما اذا صرّح بذكر المشبه كقولك زيد أسد فانك ما ذكرت زيدا باسم الاسد بل ذكرته باسمه الخاص فلا جرم أن ذلك لم يكن استعارة . وأما قوله - وإنبات ما لغيره له - ذكره لتدخل فيه الاستعارة التخيلية . وقوله - لأجل المبالغة في التشبيه - ذكره لتقريبه عن المجاز (وأما الثالث) فقد اختلفت عبارات أرباب هذه الصناعة في أقسامها فقال قوم أقسامها أربعة . الاول أن يكون المستعار والمستعار منه محسوسين . الثاني أن يكونا معقولين . الثالث أن يكون المستعار معقولا والمستعار منه محسوسا . الرابع أن يكون على العكس . . أما استعارة المحسوس للمحسوس فهي على قسمين أحدهما أن يكون الاشتراك في الذات والاختلاف في الصفات . والثاني أن يكون العكس . فمثال الاول أن يكونا حقيقتان تتفاوت إحداها في الفضيلة أو النقص والقوة والضعف فينقل اللفظ الموضوع للأكمل في ذلك النوع الى الانقص . مثله استعارة الطيران العدو وفانهما يشتركان في الحقيقة وهي الحركة المكانية إلا أن الطيران أسرع من العدو فلما تساوى في الحقيقة واختلفا في القوة والضعف في السرعة لا جرم نقلوا اسم الكامل في السرعة الى الناقص فيها فسموا العدو طياراً . وقد يقع في هذا الجنس ما يظن أنه مستعار ولا يكون كذلك وذلك اذا كانت جهة الاختلاف خارجة عن مفهوم الاسم كقول بعضهم وفي يدك السيف الذي امتنعت به صفة الهدى من ان تدرك فتخرقا

فالظاهر ان الخرق حقيقة في الثوب مجاز في الصفة ولكن التحقيق يأباه لان الشق يستعمل في الخرق فيقال شقت الثوب والشق عيب في الثوب وهذه الملاقاة على وجه

الحقيقة فلما قام الشق مقام الخرق وجب ان يقوم الخرق مقام الشق ظاهراً والا لو كان للخرق مفهوم سوى مفهوم الشق لكان لفظ الخرق مشتركاً بينهما وهو خلاف الاصل فنبت أن الخرق والشق لفظان مترادفان ولما كان الشق حقيقة في الصفة كان الخرق المرادف له حقيقة أيضاً فيه . نعم لوقات خرق الحشمة لم يكن من الحقيقة في شيء لانه ليس هناك شق فهذا الطريق عرفنا أن الخرق ليس اسماً للتميز من حيث انه لاشق هناك كما تقدم خلاف ما تقدم من حيث أن الشق حاصل في الثوب بل هذه الخصوصية خارجة عن مفهوم لفظ الخرق ولما كانت لفظة الخصوصية التي بهاتين تفرق أجزاء الحجر بعضها من بعض عن تفرق أجزاء الثوب غير داخل في مفهوم الخرق كان استعمال الخرق في الموضوعين حقيقة ولو قدرنا دخول تلك الخصوصية في الخرق كان استعماله في الحجر على طريق الاستعارة فهذا هو القانون في هذا الباب بعد أن لاتضايق في المثال هذا كله اذا كان الاشتراك في الحقيقة والاختلاف في العوارض والصفات . . . وأما اذا كان بالعكس وهو أن يكون الاشتراك في الصفات والاختلاف في الحقيقة فمثل قولهم رأيت شمساً ويريدون انساناً يتهلل وجهه كالشمس فيشاركه في الوصف . . . وأما القسم الثاني وهو استعارة اسم شيء معقول لشيء معقول وهذا أيضاً انما يكون في أمرين يشتركان في وصف عدمي أو ثبوتي وأخدهما بذلك الوصف أولى وفيه أكمل فينزل الناقص منزلة الكامل ثم ان المشتركين إما أن يكونا متعاندين أو لا يكونا كذلك فان تعاندا فاما أن يكون التعاند بالثبوت أو الاتقاء أو بالتضاد . مثال الاول استعارة اسم المعدوم للموجود أو الموجود للمعدوم . أما الأول فعند ما لا يحصل من ذلك الموجود فائدة مطلوبة فيكون ذلك الموجود مشاركا للمعدوم في عدم الفائدة لكن المعدوم بذلك أولى فيستعار لذلك الموجود اسم المعدوم . وأما الثاني فعند ما تكون الآثار المطلوبة من الشيء باقية عند عدم الشيء فيكون عند ذلك المعدوم مشاركا للموجود بتلك الفوائد لكن الموجود أولى بذلك فيستعار لذلك المعدوم اسم الموجود . وأما اذا كان التعاند بالتضاد حقيقة كان أوظاهراً فمثاله تشبيه الجهال بالأموات لأن المقصود بالحياة الإدراك والعقل فاذا عُدما فقد عُدمت الآثار المطلوبة من الحياة فتصير تلك الحياة مساوية

للموت في عدم الفائدة المطلوبة والموت أولى بذلك فتنزل الحياة منزله . ثم الضدان اذا كانا متقابلين الأشد والأضعف في أحد الطرفين اسم الأزيد وفي الطرف الآخر اسم الأقل . فشرط مساوى التشبيه مثلا كل من كان أقل علماً وأضعف قوة كان أولى أن يستعار له اسم الميت . ولما كان الإدراك أقدم من الفعل في كونه خاصية للإنسان لا جرم كان الأقل علماً أولى باسم الميت أو الجماد من الأقل قوة باسم الحياة فالأشرف علماً أولى بذلك لقوله تعالى « أو من كان ميتاً فأحييناه » هذا اذا كانا متقابلين أما اذا لم يكونا كذلك وهو أن يكونا وجودين يشتركان في وصف معقول إلا أن ذلك الوصف لأحدهما أولى فيتنزل العاقص منزلة الكامل مثل قولهم فلان لقي الموت اذا كان لقي شيئاً من الشدائد لانها مشاركة للموت في الكراهية لكن الموت أولى بها فتنزل تلك الشدائد منزلة الموت لا شتراكها في المكروهية وعلى هذا قوله تعالى « وبأتية الموت من كل مكان وما هو بميت » (وأما الثالث) فهو أن يستعار للمعقول اسم المحسوس وهو كاستعارة الحجة للتور الذى هو محسوس بالبصر واستعارة العدل للقسطاس المدرك بحاسة العين (وأما الرابع) فهو استعارة اسم المعقول للمحسوس وهو غير جائز إلا على التأويل الذى نذكره في باب التشبيه إن شاء الله تعالى

❖ فصل ❖

وهذه جملة مما احتوى عليه الكتاب العزيز من أقسام الاستعارة وصنوفها نذكرها مفصلة مبينة على حكم ما تقدم من الاقسام الأربعة إذ الغرض من هذا الكتاب معرفة ما تضمنه الكتاب العزيز من أنواع البيان وأصناف البديع وفنون البلاغة وعبون الفصاحة وأجناس التجنيس . . أما ما جاء في الكتاب العزيز من استعارة المحسوس للمحسوس فأيات كثيرة . منها قوله تعالى « واشتعل الرأس شيباً » اذ المستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع بينهما الانبساط ولكنه في النار يقوى . وفي هذه الآية ثلاث فوائد أخر غير الاستعارة (الفائدة الأولى) أنه سلك في الآية طريق ما أسند فيه الشيء الى الشيء وهو شيء آخر لما بينه وبين الأول من التعلق فيرفع ذكر ما أسند اليه

ويؤتى بالذى الفعل له فى المعنى منصوباً بعده مبيناً ان ذلك الاسناد الى ذلك الاول
انما كان من أجل هذا (الفائدة الثانية) بيان ما بينهما من الاتصال كقولهم طاب
زيد نفساً وتصيب عرقاً وأشباههما فيما تجدد الفعل فيه منقولاً عن الشيء الى ما ذلك
الشيء من سببه فاننا نعلم أن الاشتعال للشيب فى المعنى وهو للرأس فى اللفظ كما أن
طاب للنفس وتصيب للعرق وإن أسند الى ما أسند اليه والدليل على أن شرف هذه
الآية بسبب ذلك أننا لو تركنا هذا الطريق وأسندنا الفعل الى الشيب صريحاً فقلنا
اشتعل شيب الرأس أو الشيب فى الرأس لانتفا ذلك الحسن . فان قلت فما السبب فى
ان كان اشتعل اذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له هذا الفضل . فنقول السبب
فيه أن يفيد مع لمعان الشيب فى الرأس أنه شمل وشاع وأخذ به من نواحيه وعم بجملته
حتى لم يبق من السواد شيئاً الا القليل فهذه الفائدة لا تحصل اذا قيل اشتعل الشيب
فى الناس لا يوجب اللفظ أكثر من ظهور الشيب فيه . بيانه أنك تقول اشتعل النار
فى البيت فلا يفيد أكثر من اصابها جانباً . ومثاله من التزليل قوله تعالى . وفجرنا
الارض عيوناً » فالتفجير للعيون فى المعنى لكنه وقع فى اللفظ على الارض ليفيد
أن الارض بالكلية صارت عيوناً (الفائدة الثالثة) تعدية الرأس بالالف واللام
وإفادة معنى الاضافة من غير الاضافة وهو أحد ما أوجب المزية ولو قيل واشتعل
رأس لذهب الحسن . . ومن هذا الباب قوله تعالى « وتركنا بعضهم يمجج فى
بعض » أصل الموجه حركة الماء فاستعمل فى حركتهم على سبيل الاستعارة . وقوله
عز وجل « والصبح اذا تنفس » للظهور . . وأما استعارة المحسوس للمحسوس
لشبهه عقلى فكقوله تعالى « اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » المستعار له الريح
والمستعار منه المرأة العقيم والجامع بينهما المنع من ظهور النتيجة . ومنه قوله تعالى
« وآية لهم الليل نساخ منه النهار » المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل
والمستعار منه ظهور المسلوخ من جلده والجامع أمر عقلى وهو ترتيب أحدهما على
الآخر . ومنه قوله تعالى « فجعلناها حصيداً كأن لم تكن بالامس » أصل الحصيد
للنبات والجامع الهلاك وهو أمر عقلى . وقوله « خامدين » أصل الخمود للنار . ومنه

قوله تعالى « وإنه في أم الكتاب » وهو أفصح من أن يقال في أصل الكتاب . . وأما استعارة المحسوس للمعقول فكقوله تعالى « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه » فالقذف والدمغ مستعاران . ومنه قوله تعالى « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » . ومنه قوله تعالى « فبذوه وراء ظهورهم » . ومنه قوله تعالى « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم » وكل خوض ذمه الله في القرآن فلفظه مستعار من الخوض في الماء . ومنه قوله تعالى « فاصدع بما تؤمر » استعارة لبيان عما أوحى إليه لظهور ما في الزجاجة عند انصداعها . ومنه قوله تعالى « أفمن أسس بنيانه » البنيان مستعار وأصله للحيطان . ومنه قوله تعالى « ويبغونها عوجاً » العوج مستعار . ومنه قوله تعالى « لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » وكل ما في القرآن من الظلمات والنور مستعار . ومنه قوله تعالى « فجعلناه هباء منثورا » . ومنه قوله تعالى « ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون » الوادى مستعار وكذلك الهيمان وهو على غاية الافصح . ومنه قوله تعالى « قلنا أينما طائعين » جعل للسموات والارض قولاً وطاعة . ومنه قوله تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » الآية . . وأما استعارة المعقول للمعقول فمنه قوله تعالى « من بمثنا من مرقدين » استعار الرقاد للموت وهما أمران معقولان والجامع عدم ظهور الأفعال . ومنه قوله تعالى « ولما سكنت عن موسى الغضب » والسكوت والزوال أمران معقولان . . وأما استعارة المعقول للمحسوس فمنه قوله تعالى « إنا لما طغى الماء سخامنا كم في الجارية » المستعار منه التكبر والمستعار له الماء والجامع الاستعلاء المضر . ومنه قوله تعالى « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » والعنوا هاهنا مستعار . ومنه قوله تعالى « تكاد تميز من الغيظ » فالغظ الغيظ مستعار . ومنه قوله تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » وهو أفصح من مضيئة . ومنه قوله تعالى « حتى تضع الحرب أوزارها » هذا الذي اختاره الامام نضر الدين ومن قبله من المحققين . . وقال قوم الاستعارة على قسمين . الاول ان يعتمد نفس التشبيه وهو أن يشترك شيئان في وصف واحد أحدهما أنقص من الآخر فيعطى الناقص اسم مبالغة في تحقيق

ذلك الوصف له لقولك رايت أسداً وأنت تعنى رجلاً شجاعاً وعنت لناظية وأنت تعنى امرأة وتجيء الاقسام الاربعة وقد تقدمت • الثاني أن تعتمد لوازمه وهو عند ما تكون جهة الاشتراك وصفاً انما يثبت بكماله في المستعار منه بواسطة شئ آخر فيثبت ذلك الشئ في المستعار له مبالغة في اثبات المشترك ويسمى استعارة تخيلية كقول لبيد

وغداة ربح قد وزعت وقرّة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

استعار اليد للشمال وليس هناك مشار إليه يمكن أن يجرى اسم اليد عليه كما أجرى الأسد على الرجل لكنه خيل الى نفسه أن الغداة في تصريف الشمال على حكم طبيعتها كالإنسان المتصرف في بعيره وزمامه ومقاداته في يده وتصرف الإنسان انما يكمل باليد فثبت لها اليد تحقيقاً للغرض وحكم الزمام في الاستعارة للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال • وكذلك قول تأبط شراً يصف سيفاً

إذا هزّه في عظم قرن تهلّلت نواجد أفواه المنايا الضوا حك

لما شبه المنايا عند هزه السيف بالمسرور وكال الفرع والسرور انما يظهر بالضحك الذي تهلّل فيه النواجد لاجرم اثبتته تحقيقاً للوصف المقصود والافليس للمنايا ما ينقل اليه اسم النواجد • وكذلك له في الحماسة

سقاء الردى سيف اذا سلّ أو مضت اليه ثنايا الموت من كل مرقد

• • ومن ذلك قوله تعالى « وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة » تحقيق هذا الخلاص عن التشبيه فإن من وضع في نفسه أن كل اسم يستعار فلا بد أن يكون هناك شئ تمكن الإشارة اليه تتناوله في حال المجاز كما يتناوله في حال الحقيقة • • وقال ابن الاثير تقسم الاستعارة الى قسمين • الأول يجب استعماله وهو ما كان بينه وبين ما استعير له تشابه وتناسب ولنضرب له أمثلة يستدل بها عليه • فن ذلك قوله تعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » وهذا الوصف انما هو على ما يظهر للعين لا على حقيقة المعنى لان الليل والنهار اسمان يقعان على هذا الجو عند إظلامه وإضاءته بغروب الشمس وطلوعها وليس على الحقيقة شيئين ينسلخ أحدهما من الآخر إلا أنهما في رأى العين كأنهما كذلك - والنسلخ - يكون في الشئ الملتحم بعضه ببعض فلما كانت

هو ادى الصبح عند طلوعه كالمنحمة باعجاز الليل أجرى عليهما اسم السلخ وكان ذلك
لائقاً في بابه وهو أولى من قوله يخرج لأنّ السلخ أدل على الالتحام المتوهم . من
الخراج . الثاني ما لا يجب استعماله وسيأتي بيانه . . . وقال قوم الاستعارة على سبعة
أقسام . الأول الاستعارة للمناسبة وهي على أربعة أقسام كما تقدم . الثاني الاستعارة
التخييلية وقد تقدم بيانها . الثالث الاستعارة المجردة . الرابع الاستعارة المرشحة .
الخامس الاستعارة البديعة . السادس الاستعارة القبيحة . السابع الاستعارة في
الكناية وقد بينا متقدماً بعضها وسنبين الباقي إن شاء الله تعالى (الوجه الرابع)
من التقسيم الأول في اشتقاقها وهي مشتقة من العارية التي حقيقتها في الاجرام ولهذا
قال ابن الاثير الاستعارة هي أن تريد تشبيه الشيء بشيء فتدع الافصاح بالتشبيه واطهاره
وتجئ على اسم المشبه به فتعبر به عن اسم المشبه تجريه عليه كقولك رأيت رجلاً هو
كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً والسين التي
في الاستعارة ليست سين الالتماس والطاب التي هي في قولهم استعان اذا طلب المعونة
واستجار اذا طلب الجيرة وانما هي كالتى في قوله تعالى « فاستجاب لهم ربهم » . وكقول
الشاعر
* فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

(الوجه الخامس) فيما نصح منه الاستعارة وفيما لا نصح . . قال الامام نحر الدين وجماعة
من المحققين إن الاسماء على ثلاثة أقسام . اسماء أعلام . واسماء مشتقة . واسماء أجناس . .
فأما الاسماء الأعلام فلا استعارة فيها لأن المشابهة بين الأصل والفرع معتبرة في
الاستعارة وهي غير معتبرة في الأعلام . . . وأما الاسماء المشتقة فلا استعارة أيضاً لا تدخلها
دخولاً أولياً وهل تتحقق في الفعل أم لا . فنقول الفعل شأنه الدلالة على ثبوت المصدر
لشيء في زمان معين فلا استعارة تقع أولاً في المصدر بواسطة ذلك في الفعل فإذا قات
نطقت الحال وهذا انما يصح لان الحال مشابهة النطق في الدلالة على الشيء فلا جرم
استعير النطق لتلك الحالة فلا استعارة أولاً واقعة على المصدر بواسطة الفعل فإذا
الاستعارة في الحقيقة ليست إلا في المصدر فإذا عرفت ذلك تبين لك أنّ الاسماء المشتقة
أيضاً كذلك فإن الاسم المشتق هو الذي يدل على ثبوت المشتق منه شيء مع عدم

الدلالة على زمان ذلك الثبوت فظهر منه أن الاستعارة إنما تقع وقوعاً أولياً في أسماء الاجناس . . . وتلخيص هذا الكلام أن المعنى يستعار أولاً بواسطة استعارة اللفظ وأن الاستعارة تقع في المصدر ثم بواسطة الفعل واستعارة الفعل أما من جهة فاعله كقوله نطق الحلال بكذا ولعبت به الهموم وأما من جهة مفعوله كقول ابن المعتز

جَمَعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ قَتَلَ الْجُوعَ وَأَحْيَا السَّاحَ

أَوْ مِنْ جِهَةِ مَفْعُولِهِ كَقَوْلِ الْقَطَامِي

نَقَرِيهِمْ لِهَذِمَاتٍ نَقَدْتُ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَائِيهَا كُلُّ زَرَّادٍ

أَوْ لِكُلِّهِمَا كَقَوْلِ الْحَرِيرِي

وَأَقْرَى الْمَسَامِعَ إِمَّا نَطَقْتُ بَيَانًا يَقُودُ الْحُرُونَ الشَّمُوسَا

أَوْ مِنْ جِهَةِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى « يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ » . . . وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي جَامِعِهِ أَعْلَمُ أَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ قَدْ جَاءَتْ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ جَمِيعًا تَقُولُ رَأَيْتُ لِيُوْنَا. وَلَقِيتُ ضَمًا عَنِ الْخَيْرِ. وَأَضَاءَ الْحَقِّ . الْآ أَنَّهُ قَدْ اسْتَعْمَلَ الضَّرْبَ الثَّانِي الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَهُوَ قَوْلُنَا - زَيْدٌ أَسَدٌ - فِي بَابِ الْإِسْتِعَارَةِ وَأُورِدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِثْلُ قَدَامَةَ وَالْجَاحِظِ وَأَبِي هَلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ وَالْغَانِمِيِّ وَأَبِي مُحَمَّدٍ بَنِ سَنَانِ الْخَفَّاجِيِّ فِي تَصْنِيفَاتِهِمْ فِي بَابِ الْإِسْتِعَارَةِ وَلَمْ يَذْكُرُوا أَنَّ الْأَصْلَ فِيهِ أَنَّهُ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ فَمَا أَعْلَمَ هَلْ ذَلِكَ لَخْفَافَتِهِ عَلَيْهِمْ أَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوهُ وَلَمْ يَذْكُرُوهُ وَهُوَ الْأَصْلُ الْمَقِيسُ عَلَيْهِ فِي التَّشْبِيهِ الَّذِي أُجْمِعَ عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ وَقَدْ أوردناه نحن في كتابنا هذا في باب الاستعارة تشبيهاً بالقوم واستئنا بسننهم لأنهم السابقون في هذا الفن بالتصنيف إلا أن موضعه باب التشبيه فأعرف ذلك (الوجه السادس) الاستعارة التخيلية وقد تقدم الكلام فيها وزيد ذلك وضوحاً وهو أن علماء البيان قالوا إن أكثر الآيات التي يتمسك بها أهل التشبيه من هذا . فمنها قوله تعالى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » أثبات الجناح للذل استعارة تخيلية . . . روى أن أبا تمام لما نظم قوله (هو حبيب بن أوس الطائي)

لَا تَسْقِي مَاءَ الْمَلَامِ فَنِي صَبَّ قَدْ اسْتَعْدَبْتُ مَاءَ بَكَائِي

جاءه رجل بقصعة وقال اعطني قليلاً من - ماء الملام - فقال أبو تمام لا أعطيك حتى تأتيني

بريشة من - جناح الذل - فأفحم الرجل • ومن ذلك أيضاً قوله تعالى « سنفرغ لكم أيها الثقلان » • ومنه قوله تعالى « ذرني ومن خلقت وحيداً » • ومنه قوله تعالى « إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح » • ومنه قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعاً » وفي القرآن العظيم من ذلك كثير (الوجه السابع) الاستعارة المجردة وهي أن تنظر الى المستعار من غير نظر الى غيره كقوله تعالى « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » وكقول زهير

* لدى أسدٍ شاكي السلاح مقذف *

لو نظر الى المستعار منه لقال - فكساهم الله لباس الجوع - ولقال زهير - لدى أسد وافي الخالب. أو وافي البرائن - (الوجه الثامن) الاستعارة المرشحة وهي أن تنظر الى جانب المستعار فتراعى جانبه وتواليه ما يستدعيه وتضم اليه ما يقتضيه مثل قول كثير

* رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضّر *

وقول النابغة

* وصدّر أراح الليل عازب كهمه *

المستعار في كل واحد منهما وهو الرمي والازاحة منظور اليه في لفظي - السهم. والعازب - (الوجه التاسع) الاستعارة البديعة البالغة وهي أن تتضمن المبالغة في التشبيه مع الإيجاز وغالب استعارات الكتاب العزيز كذلك وفي أشعار فصحاء العرب منها كثير (الوجه العاشر) الاستعارة القبيحة وليس في الكتاب العزيز منها شيء وأما في أشعار العرب وغيرهم فكثير • • ومن قبيح الاستعارة قول أبي تمام

سبعون ألفاً كآساد الشرى نضجت أعمارهم قبل نضج التين والعنب

وهذا البيت ليس فيه وجه من وجوه الحسن وقد روى في غير هذه الرواية - نضجت جلودهم قبل - وعلى هذه الرواية ليس في البيت استعارة قبيحة فان القتلى أنضجت الشمس جلودهم كما تنضج التين والعنب • • وكذلك قوله

* أيا من رمى قاي بسهم فأدخلا *

من روى فأقصدا وأنفذا فهي استعارة حسنة . . ومما يزيد الاستعارة حسناً وهو أصل
في هذا الباب أن يجمع بين عدّة من الاستعارات قصداً لالحاق الشكل بالشكل لاتمام
التشبيه كقول امرئ القيس في وصف ليل طويل

فقلتُ له لَمَّا تَمَطَّى بِصَابِهِ وَأُردَفَ أعْجَازاً ونَاءَ بِكَلْكَلِ

لَمَّا جعل ليل صلباً قد تَمَطَّى به بيّن ذلك فجعل له كلكلاً قد ناء به فاستوفى جملة أركان
الشخص وراعى ما يراه الناظر من جميع جوانبه (الوجه الحادى عشر) الاستعارة
بالكناية وبيان ما تنزل به الاستعارة بالكناية منزلة الحقيقة . . أما الاستعارة بالكناية
فهي اذا لم يصرح بذكر المستعار بل بذكر بعض لوازمه تنبيهاً به عليه كقول أبى ذؤيب
واذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تمية لا تنفع

فكأنه حاول استعارة السبع للمنية لكنه لم يصرح بها بل بذكر لوازمها تنبيهاً بها
على المقصود (الثانى عشر) ما تنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة وهو أن يذكر لفظاً
يوهم به أن الاستعارة أصلاً كقول أبى تمام

ويصعدُ حتى يظنُّ الجهُو لُ بأنَّ له حاجةً في السماء

لَمَّا استعار العلوّ لزيادة العلوّ في الفضل والقدر ذِكْرَهُ ذِكْرَ من يذكر علو مكان . .
وكقول ابن العميد

قامتُ تَظْلَمَانِي من الشمس نفسٌ أعزُّ على من نفسى

قامتُ تَظْلَمَانِي ومن عجب شمسٌ تَظْلَمَانِي من الشمس

ومدار هذا النوع على التعجب وقد يجيئ على عكسه كقوله

لا تعجبوا من بلا غلالته قد زرّ أزرارُه على القمر

وهذا إنما يتم بالحكم الجديّ بكونه قرأً ليكون من شأنه أن يبلى الكتان (الوجه الثالث
عشر) شروط الاستعارة الكاملة . . قال ابن الاثير لا بد للاستعارة من ثلاثة أشياء .
مستعار . ومستعار منه . ومستعار له . فاللفظ المستعار قد نقل من أصل الى فرع للإبانة
والمستعار منه والمستعار له لفظان حمل أحدهما على الآخر في معنى من المعانى هو حقيقى
للمحمول عليه مجازى للمحمول . مثال ذلك قوله تعالى « واشتعل الرأسُ شيباً » فهذا

مستعار ومستعار منه ومستعار له فالمستعار هو الاشتعال وقد نقل من الاصل الذى هو النار الى الفرع الذى هو الشيب قصداً للإبانة وأما المستعار منه فهو النار والاشتعال لها حقيقة وأما المستعار له فهو الشيب والاشتعال له مجاز

القسم الحادى والعشرون

التشبيه والكلام عليه من وجوه

الاول هل هو من المجاز أو لا . . . الثانى بيان الغرض بالتشبيه . . . الثالث فى حده . . . الرابع فى معرفة الاشياء التى يكون منها التشبيه . . . الخامس فى أقسامه . . . السادس فى ذكر أدوات التشبيه ما يكون بأداة وما يكون بغير أداة . . . السابع فى تشبيه الشيئين بالشيء الواحد . . . الثامن فى ذكر ما حسن به موقع التشبيه . . . التاسع فى الشرط الذى لا يكون التشبيه حسناً الا به . . . العاشر فيما يجوز عكسه من التشبيه وما لا يجوز . . . الحادى عشر التشبيه فى الهيئات التى تقع عليها الحركات . . . الثانى عشر الفرق بين الاستعارة والتشبيه (أما الاول) فالذى عليه جمهور أهل هذه الصناعة أن التشبيه من أنواع المجاز وتصانيفهم كلها تصرح بذلك وتشير اليه . . . وذهب المحققون من متأخرى علماء هذه الصناعة وحذاقها الى أن التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعانى وله حروف وألفاظ تدل عليه وضعاً كان الكلام حقيقة أو مجازاً فاذا قلت زيد كالأسد . . . وهذا الخبر كالشمس فى الشهرة . . . وله رأى كالسيف فى المضاء . . . لم يكن مثل نقل اللفظ عن موضوعه فلا يكون مجازاً (وأما الثانى) فالغرض بالتشبيه وفائدته الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز والاختصار والدليل على ذلك قولنا - زيد أسد - فان الغرض بهذا القول أن نبين حال زيد وأنه متصف بشهامة النفس وقوة البطش والشجاعة وغير ذلك مما جرى هذا المجرى إلا إنا لم نجد شيئاً يدل عليه سوى جعلناه شبيهاً بالأسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به مقصورة عليه فصار ما قصدناه من هذا القول أن تكشف

وأين من أن لو قلنا زيد شجاع قوى البطش جرى الجنان وأشباه ذلك لما قد عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات في المشبه به فإنه معروف بها مشهور بكونها فيه (وأما الثالث) فقد اختلفت عبارات أهل هذا الشأن في حد فقال قوم حده أن يثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به... وقال قوم حده الدلالة على اشتراك شيئين في معنى من المعاني وأن أحدهما يسدّ مسدّ الآخر وينوبُ منابه سواء كان ذلك حقيقة أو مجازاً أما الحقيقة فهو أن يقال في شيئين أحدهما يشبه الآخر في بعض أوصافه كقولنا - زيد أسد - فهذا القول صواب من حيث العرف وداخل في باب المبالغة إلا أنه لم يكن زيد أسد على الحقيقة (وأما الرابع) فقال المحققون من علماء هذا الشأن الأشياء التي يكون منها التشبيه لا يخلو إما أن تكون صفة حقيقية أو حالة إضافية • فأما الأول فلا يخلو إما أن يكون كيفية جثمانية أو نفسانية والأول لا يخلو إما أن تكون صفة محسوسة أو لا تكون محسوسة فإن كانت محسوسة فإما أن تكون محسوسة أولاً أو ثانياً والمحسوسات الأول هي مدركات السمع • والبصر • والشم • والذوق • واللمس • فالاشتراك في الكيفية المبصرة مثل تشبيه الورد بالحد لا اشتراكهما وكذلك تشبيه الوجه بالنهار والشعر بالليل • والاشتراك في كيفية مسموعة كتشبيه أطيظ الرحل بأصوات الفراريج في قول الشاعر

كأنَّ أصواتَ منْ يغالِهَنَّ بنا أواخر الميسِ أصواتُ الفراريجِ

التقدير - كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريج من يغالهن بنا - فصل بين المضاف والمضاف إليه • والاشتراك في كيفية مذوقة كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر • والاشتراك في كيفية مشمومة كتشبيه بعض الرياحين برائحة الكافور والمسك والاشتراك في كيفية ملموسة كتشبيه لين ناعم بالخز والحريز والخشن بالمسح من الشعر هذا إذا كان فيه الاشتراك محسوساً أولاً • أما إذا كان محسوساً ثانياً • فالمحسوسات الثانية هي الأشكال • والمقادير • والحركات • والأشكال إما مستقيمة أو مستديرة فالتشبيه لأجل الاشتراك في الاستقامة مثل تشبيه المستوى المنتصب بالرمح والقذ بالقضيب والفصن • وإن كان الاشتراك في الاستدارة فكشبيه الشيء المستدير بالكرة تارة وبالحلقة أخرى • وإن كان الاشتراك في المقادير فكشبيه عظيم الجثة بالجبل والقليل

وان كان في الحركة مع اعتدال الاستقامة فكشبهه الزاهب على الاستقامة بنفوذ السهم
وأما اذا كان الاشتراك في كيفية جثمانية غير محسوسة فهو كالاشتراك في الصلابة .
والرخاوة . وأما اذا كان الاشتراك في كيفية نفسانية فهو كالاشتراك في الغرائز والاخلاق
مثل الكرم . والحلم . والقدرة . والعلى . والذكر . والفطنة . والثبوت والمعرفة .
وأما اذا كان الاشتراك في حالة الاضافية لافى كيفية حقيقية فهو مثل قولك - هذه حجة
كالشمس - فاشتراكهما ليس في شئ من الكيفيات الحقيقية ولكن في أمر إضافي
وهو أن كل واحد منهما مزيل للحجاب . . ثم ان هذه الاضافات قد تكون جلية او قد
تكون خفية وربما يبلغ الجلى في القوة الى أن يقرب من القسم الاول . مثال الجلى
تشبيه الحجة بالشمس . وكذلك قولهم في صفة الكلام ألفاظ كالماء في السلاسة .
وكانسيم في الرقة . وكالعسل في الحلاوة . يريدون أن اللفظ اذا لم تتنافر حروفه تنافراً
يتنقل على اللسان ولم يكن غريباً حوشياً بل كان مألوفاً ثم ان انقلب يرتاح له والنفس
تشرح به فاسرعة وصوله الى النفس صار كالماء الذي يسوغ في الحاق وكالنسيم الذي
يسرى في البدن ويتخلل انسالك اللطيفة ولأجل اهتزاز^(١) النفس به أشبه العسل الذي
يلذ طعمه ويميل الطبع اليه . . هذا المثال أشد حاجة الى التفسير من تشبيه الحجة بالشمس
ولكنه مع ذلك غير بعيد عن الفهم وأما التوغل في البعد عن الطبع وشدة الحاجة الى
التأويل فكقول من ذكرني المهلب هم كالحلقة المفرغة لا ينتهي طرفها الا ترى أنه لا يفهم
المقصود من ذلك إلا من له طبع يرتفع عن طبع العامة . . ومن وجوه التشبيه أيضاً التشبيه
بالوجه المعقول وهو عندهم أقوى وأظهر من التشبيه بالمحسوس لأن تشبيه المحسوس
بالمحسوس يمكن أن يكون لأجل الاشتراك في وصف محسوس ويمكن أن يكون لأجل
الاشتراك في وصف معقول ويمكن أن يكون لأجلهما جميعاً . مثال الأول تشبيه الخد
بالورد . ومثال الثاني قوله عليه الصلاة والسلام أيّاكم وخضراء الدّر من الحسن الظاهر القبيح
الباطن وهو أمر عقلي . وكذلك تشبيه الرجل النبيه بالشمس فان النباهة صفة عقلية
وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام أصحابي كالنجوم المعنى به أنه يهتدى بهم في أمور الأديان

كما يهتدى بالنجوم في الالالى المظلمة فالشبه في أمر عقلى . ومثال الثالث تشبيه الشخص
الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس . وأما الاقسام الثلاثة أعنى تشبيه المعقول بالمعقول
والمعقول بالمحسوس والمحسوس بالمعقول فيمتنع أن يكون وجه المشابهة غير عقلى لأن وجه
المشابهة لو كان مشتركاً بين الجانبين لكان المعقول الموصوف به محسوساً من ذلك الوجه
وهو محال فثبت أن التشبيه بالوصف المعقول أعم من التشبيه بالوصف المحسوس وإذا
علم هذا وتبين الوجه الذى يكون منه التشبيه تعين ذكر أقسام التشبيه مبينة منزلة على
ما قدّمناه (وأما الخامس) فقد أطبق جمهور علماء هذه الصناعة على أن أقسامه
أربعة . الاول تشبيه محسوس بمحسوس . الثانى تشبيه معقول بمعقول . الثالث أن
يكون المشبه معقولاً والمشبه به محسوساً . الرابع أن يكون المشبه محسوساً والمشبه به
معقولاً . وقد زاد ابن الاثير قسماً خامساً وسماه غلبة الفروع على الاصول وسيأتى بيانه
.. أما الأول وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس فكقوله تعالى « والقمر قدرناه منازل حتى
عاد كالنرجون القديم » وقوله تعالى « كأنهم أعجاز نخل خاوية » ومن شرط هذا
النوع أن يكون المشبه والمشبه به مشتركين من وجه مختلفين من وجه ولا يخلو إما أن
يكون اشتراكهما فى الذات واختلافهما فى الصفات وإما أن يكون بالعكس . فالاول مثل
تشبيه العدو بالطيران لانه ليس الاختلاف بينهما الا بالسرعة وبالبطء . والثانى كتشبيه
الشعر بالليل والوجه بالنهار .. وأما القسم الثانى وهو تشبيه المعقول بالمعقول فهو كتشبيه
الموجود العارى عن الفوائد بالمعدوم أو تشبيه الشئ الذى تبقى فوائده بعد عدمه
بالموجود . ومنه قول الشاعر

فرحت وأمالى كخطى كواسف وعزى يحاكى سعيه فى المكارم

.. وأما القسم الثالث الذى هو تشبيه المعقول بالمحسوس فهو كقوله تعالى « والذين
كفروا أعمالهم كسراب بقيعة » . وقوله « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء
كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً » . وقوله تعالى « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد
اشتدت به الريح فى يوم عاصف » وأيضاً مثل تشبيه الحجة بالشمس وبالنور الذى هو
محسوس بالبصر وليس لأحد أن يقول الحجة أيضاً مسموعة . قلنا المفيد هو المعانى العقلية

الحاصلة في الذهن ووجه المشابهة أن القلب مع الشبه كالبصر مع الظلمة في أن البصر في الظلمة لا يفيد لصاحبه مكنة السى ولو سعى فربما دُفع الى الهلاك فتردى في أهوية ومن الأمثلة تشبيه العدل بالقسطاس . . وأما القسم الرابع وهو تشبيه المحسوس بالمعقول فهو غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ولذلك قيل من فقد حساً فقد علماً وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيبه به يكون جعلاً للفرع أصلاً وللأصل فرعاً وهو غير جائز وكذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور أو المسك بالطيب فقال الشمس في الظهور كالحجة والمسك في الطيب كخلق فلان كان سُخفاً من القول مع أنه قد ورد في الكلام الفصيح وأشعار العرب والمتأخرين منه ما لا يحصى . فمن ذلك قول بعضهم

وكان النجوم بين دُجاها سنن لاح بينهن ابتداع

.. وكقول بعضهم

ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

.. وقول بعضهم

كان آبيضا البدر من تحت غيمه نجاة من البأساء بعد وقوعه

.. وقول التنوخي

أما ترى البرد قد وافت عساكره وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
فانهض بنسار الى فحم كأنهما في العين ظلم وانصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا برذا فصرنا كقلب الصب إذ عشقا

.. وقال آخر

رُبَّ ليل كأنه أملى فيك وقد رحتُ عنك بالحرمان

.. وقول صاحب حين أهدى العطر الى القاضي أبي الحسن

يا أيها القاضي الذي نفسى له في قُرب عهد لقائه مُشتاقه
أهديتُ عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

ومثل هذا في أشعارهم كثير لا يحصى والذي يجمع بين هذا وبين القواعد العقلية أن

هذه الاشياء المعقولة لتقرررها في الذهن وتخيّلها في العقل صارت بمنزلة المحسوسات فلما نزلت منزلة المحسوسات صح التشبيه وقويت وصار المعقول للمبالغة أثبت في النفس وأقوى من المحسوس فصار لذلك أصلاً يشبّه به . ومن هذا قوله تعالى « طَلَعُوا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ » ولهذا قال امرؤ القيس يُشَبِّههُ نَهْضُولُ الرِّيحِ

* وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنِّيَابِ أَعْوَالِ *

فانهم وان كانوا لم يُشاهدوا الغول وأنيابها لكنهم لما اعتقدوا فيها أى في أنيابها غاية الحدة حسن التشبيه والصحيح أن المحسوس أعرف من التشبيه بل وصف المعقول لثلاثة أوجه . الأول أن أكثر الغرض من التشبيه التخيل الذي يقوم مقام التصديق في الترهيب والترغيب والخيال أقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة منه على الأمور الإضافية . الثاني أن الاشتراك في نفس الصفة أسبق من الاشتراك في مقتضاها . الثالث أن المشابهة في الصفة قد تبلغ الى حيث يتوهم أن أحدهما الآخر . وأما المشابهة في مقتضى الصفة لا تبلغ الى هذا الحد لأن من المستحيل أن لا يجد العاقل فصلاً بين ما يقتضيه ذوق العسل في نفس الذائق وبين ما يحصل بالكلام المقبول في نفس السامع . . وأما القسم الخامس فقال ابن الاثير ومن أقسام التشبيه قسم يقال له غلبة الفروع على الأصول وهو ضرب من الكلام ظريف لا يكاد يوجد منه شيء الا والغرض به المبالغة . . فما جاء من ذلك قول ذي الرّمة

وَرَمَلٍ كَأَوْرَاكِ الْعَذَارَى قِطْعَتُهُ إِذَا أَلْبَسْتُهُ الْمِظَالِمَاتِ الْعُضَادِيسَ

.. ومثل ذلك قول بعضهم

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مَلَا حَتَّهَا وَفِي الْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَشْيِهَا

والغرض بهذا النوع المبالغة في وصف المشبه به كأن هذا المعنى ثبت له وصار أصلاً (وأما السادس) في أدوات التشبيه فأدواته أسماء وأفعال وحروف . أما الأسماء فمثل بسكون التاء وتحريكها وشبه بسكون الباء وتحريكها وأشباه ذلك . وأما الأفعال فكسبت وخلت ويحسب ويخال ونظائرهما . وأما الحروف فالكاف مفردة وإذا أضيف اليها ما يجري مجرى ذلك وقد نطق بذلك كله الكتاب العزيز والسنة . أما الأسماء فقال الله تعالى

« مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » . وقال تعالى « مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيهاصر » . وقال تعالى « مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع » . وقال تعالى « فأتوا بسورة من مثله » . وقال تعالى « فجزأه مثل ما قتل من النعم » . وقال تعالى « وأوتوا به متشابهاً » . وقال تعالى « إن البقر تشابه علينا » وفي الحديث الصحيح فمن أين يكون الشبه والشبه . وأما الأفعال فكقوله تعالى « يحسبه الظمان ماء » . وقال تعالى « بخيل اليه من سحرهم أنها تسمى » . وأما الحروف فكقوله تعالى « كالذي ينفق ماله رثاء الناس » . وقوله تعالى « كرماد اشتدت به الريح » . وقوله تعالى « كدأب آل فرعون » . وأما - كأن - فكقوله تعالى « كأنه رؤس الشياطين » وفي القرآن من هذا كثير . وأما في كلام العرب الفصحاء منهم وأشعارهم فشيء كثير أضربنا عن ذكره لكثرة وشهرته . . وقال ابن الأثير وقد وقع في القرآن العزيز التشبيه بغير أداة في مواضع كثيرة . منها قوله تعالى « صمُّ بُكْمٌ عُمى فهم لا يرجعون » . وقوله تعالى « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » وهو أبلغ في التشبيه . . قال جمهور علماء هذا الشأن التشبيه يكون بأداة تارة وتارة بغير أداة لكن إذا كان بغير أداة كان أبلغ وأوجز لان قولنا - زيد أسد - يعطى ظاهره من المعنى أنا أخبرنا عن زيد انه أسد وذكرنا أنه هو الا أن حرف التشبيه في ذلك مقدر وإذا قلنا - زيد كأنه أسد - فيكون قد أظهرنا فيه حرف التشبيه الذي كان مخفياً في الاول فيصير حينئذ تشبيهاً لزيد بالأسد والاول كان قد جعل هو الأسد وحرف التشبيه يقدر فيه تقديرأ فمن هذا الوجه كان الأول أبلغ وأشد وقعا في النفس . وأما كونه أوجز فلأن قولنا - زيد أسد - أخص من قولنا - زيد كأنه الأسد - وان كان المعنيان سواء (وأما السابع) في تشبيه الشئين بالشئ الواحد اعلم وفقنا الله وإياك أن علماء علم البيان قالوا أصل التشبيه أن يشبه شئاً بشئ وقد يشبه الشئين بالشئ الواحد وانما جاز ذلك لان المشبه قد يأخذ صفة من صفات نفسه وصفة غيره ثم يشبههما بشئ آخر كقول الشاعر

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

وقد وقع تشبيه الشئين بالشئ الواحد وانما جاز ذلك لانه لا يخلو الشئان في تشبيه أحدهما

بالآخر من ثلاثة أقسام • اما تشبيه معنى بمعنى • واما تشبيه معنى بصورة • واما تشبيه صورة بصورة وكل واحد من هذه الاقسام الثلاثة لا يخلو من ثلاثة أقسام • إما تشبيه مفرد بمفرد • • واما تشبيه مركب بمركب • واما تشبيه مفرد بمركب • فأما تشبيه المفرد بالمفرد فكقول البحرى

تسبم وقطوب في ندى ووغى كالغيث والبرق تحت العارض البرد
• ومنه قوله تعالى « وأتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانساخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب • الآية • واما تشبيه المركب بالمركب فقوله تعالى « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما تأكل الناس والانعام » الى قوله « كأن لم تغن بالأمس » الآية • فشبه حال الدنيا فى سرعة زوالها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض وذلك تشبيه معنى بصورة وهو أبداع ما يحى فى هذا القسم • ومثله فى حق المنافقين « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون » تقديره أن مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد نارا فى ليلة مظلمة بمفازة فاستضاء بها ما حوله واتى ما يخاف وأمن فينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقى مظلماً خائفاً متحيراً وكذلك المنافق اذا أظهر كلمة الايمان استنار بها واعتز بعزها وأمن على نفسه وماله وولده فاذا مات عاد الى الخوف وبقي فى العذاب والنقمة • ويجوز أن يكون المعنى أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى - عقب ذلك بهذا التمثيل مثل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ماحول المستوقد - والضلالة - التى اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ثم قال الله - صم بكم عمى - كانت حواسهم سائمة لكن لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة الى الحق وأبوا أن ينطقوا به بالسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما أصابت هذه الحواس منهم الآفات وهذا من عجائب التشبيه وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم - ليوث - للشجران - بحور - للكرام • • وبعض علماء هذه الصناعة يحملون ما كان على مثال قوله تعالى « صم بكم عمى » استعارة وليس كذلك لأن المستعار مذكور

• • ومن هذا القسم قول الشاعر
بكيت عليه حين لم يبلغ المنى ولم يرو من ماء الحياة المكدر
ومنه قول المتنبي

« كَأَنَّ الْجَفُونَ عَلَى مُقْلَتِي ثِيَابٌ شَقِيقٌ عَلَى نَائِلِ كُلِّ

• • وأما تشبيه المفرد بالمركب فمن ذلك قول بعضهم

« كَأَنَّ السَّهْمَ إِنْسَانٌ عَيْنٌ غَرِيقَةٌ مِنْ الدَّمْعِ يَدُوكِذَا ذَرَفَتْ ذَرَفًا

(وأما الثامن) في ذكر ما يحسن به موقع التشبيه • • قال أئمة هذا الشأن ان كثرة التقييدات يعظم بها حسن موقع التشبيه وتكون أدخل في التشبيه من غيرها لانها عقلية • مثال ذلك قوله تعالى « انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء » الى قوله « كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ » وهذه فيها عشر جمل قيد بعضها ببعض حتى صارت جملة واحدة وهي مع ذلك لا يمتنع أن تكون صور الجمل معناها حاصلًا يمكن أن يشار إليها واحدة واحدة ثم أن التشبيه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض فانك لو حذف منها جملة واحدة من أى موضع كان أخل ذلك بالمغزى من التشبيه • • وقد يقع من التشبيه جمل لا يخل اسقاط بعضها بالتشبيه وهي كل جملة جمعت أغراضاً كثيرة كل واحد منها منفرد بنفسه ولهذا النوع خاصيتان • الأولى أنه لا يجب فيها الترتيب ألا ترى أنك اذا قلت - زيد كالأسد بأساً - والبحر جوداً • والسيف مضاء والبدر بهاء - لم يجب عليك أن تحفظ في هذه التشبيهات نظاماً مخصوصاً وهو كقول بعضهم

يا هلالاً يُدعى أبوه هلالاً جلّ باريك في الورى وتعالى

أنت بدرٌ حُسنًا وشمس علوّاً وحُسامٌ حُزماً وبحر نوالاً

• • الثانية اذا سقط البعض فانه لا يتغير حال الباقي كقولهم يصفو ويكدر ويحلو ويمر ولو تركت ذكر الكدورة والمرارة لو وجدت المعنى في تشبيهك بالماء في الصفاء والعسل في الحلاوة باقياً على حاله • وقد وقع في بعض الاشعار ما يظن أن فيه تشبيهات مجموعة وليس كذلك بل هو تشبيه واحد وذلك كقول الشاعر

كَمَا أَرَقَتْ قَوْمًا عَطَاشًا غَمَامَةً فَلَمَّا رَجَوْهَا أَقْشَعَتْ وَنَجَّاتْ

(وَأَمَّا التَّاسِعُ) فهو في الشرط الذي لا يكون التشبيه حسناً إلا به وهو أن يكون التشبيه جلياً ويكون بحال يتبادر الذهن اليه وإلى إدراكه ولا يحتاج إلى إطالة فكرة ولا إمعان نظر فإن الغرض بالتشبيه بيان حسن موقع التشبيه وظهور مزية المشبه بحسن حال المشبه به أو قبحه ولذلك هجّوا تشبيهه من شبه الشمس بالمرأة في كف الأشمل وكتشبيه البرق بأصبع السارق في قول بعضهم

أَرَقْتَ أَمْ نَمْتَ لِضَوْءٍ بَارِقٍ مُؤْتَلَقًا مِثْلَ الْفَوَاحِ الْخَافِقِ
كَأَنَّهُ إِنْصَبَّ كَفَ سَارِقٍ •

(وَأَمَّا الْعَاشِرُ) فيما يجوز عكسه من التشبيه وما لا يجوز • فأما الذي لا يجوز عكسه فكل تشبيه كان الغرض به إلحاق الناقص بالزائد مبالغة في إثبات الحكم للناقص فهذا يمتنع عكسه وهو كما إذا شبهت شيئاً أسود بما هو الأصل في شدة السواد كخافيتي الغراب والقار امتنع فيه العكس لأن تنزيل الزائد منزلة الناقص تضاد المبالغة في الإثبات • وأما الذي يجوز عكسه فهو الجمع بين شيئين في مطلق الصورة أو الشكل أو اللون فالعكس مستقيم فيه فهو كتشبيه الصبح بغرة الفرس لا لاجل المبالغة في الضياء بل لاجل وقوع منسب في مظلم وحضون بياض في سواد مع كون البياض قليلاً بالإضافة إلى السواد وكذلك تشبيه الشمس بالمرأة المجلوة والدينار الخارج من السكة كقول ابن المعتز فهذا حسن مقبول وإن عظم التفاوت بينهما لأنك لم تضع التشبيه على مجرد النور وإنما قصدت إلى مستدير يتلأأً ويلمع ثم خصوص جنس اللون الموجود في المرأة المجلوة والدينار للتخلص من حمى المسبك يوجد في الشمس فأما مقدار النور بأنه زائد أو ناقص والجرم عظيم أو صغير فما لم يتعرض له وعلى هذا خرج قوله تعالى «الله نور السموات والأرض مثل نوري كشمسها» فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري» الآية فإنه سبحانه وتعالى لم يرد بالتشبيه بهذه الزجاجة الموصوفة بهذه الصفة المشاركة بين نوره وبين نور هذه الزجاجة إذ لا مناسبة بينهما بل كان ذلك من التشبيه الذي يتعكس بل الذي يتعين عكسه (وَأَمَّا الْحَادِي عَشَرَ) في الهيئات التي تقع عليها الحركات فهي عند

أرباب هذا العلم على قسمين . أحدهما أن تعرف تغيرها من الاوصاف كالشكل واللون
• الثاني أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها . . فمن الاول قول ابن المعتز
والشمس كالمرآة في كف الأشل

أراد أن يريك مع الاستدارة والاشراق الحركة التي تراها في للشمس اذا انعكست
التأمل ثم ما يحصل في نورها من أجل تلك الحركة وذلك أن للشمس حركة منتظمة
دائمة وانورها بسبب ذلك تموج واضطراب ولا يتحصل هذا الشبه إلا بأن تكون
المرآة في يد الأشل لان حركته تدوم وتتصل ويكون لها سرعة وبدوام الحركة يتموج
نور المرآة وتلك حال الشمس لانك ترى شعاعها كأنه يهيم أن ينبسط حتى يفيض من
جوانبها ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذي تراه الى الانقباض كأنه يجمع من جوانب
الدائرة الى الوسط • وقد ملح هذا المعنى ابن سناء الملك في أبيات عجا فيها الشمس
قال فيها

لا كانت الشمس فكم أصدأت صفحة خد كالبحام الصقيل
وكم صدت بوادي الكرى طيف خيال زارني من خليل
تكذب في الوعد وبرهانه أن سراب الفقر منها سليل
وتحسب النهر حساماً فترتما ع وتحكي فيه قلب الدليل
ومما يشبه التشبيه الاول وان صور في عين المرآة قول المهلب بن أبي صفرة الوزيري
الشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب
كأنها بوثقة أحميت يحول فيها ذهب ذائب

وذلك أن الذهب الذائب يتشكل بشكل البوثقة على النار فانه يتحرك فيها حركة على
الحد الذي وصفت لك وما في طبع الذهب من النعومة وفي أجزائه من شدة الاتصال
والتلاحم يمنعه أن يقع فيها غليان كما في الماء فيرتفع وسطه ارتفاعاً شديداً وجهته كأنها
تتحرك بحركة واحدة ويكون فيهما ما ذكرناه من الانبساط الى الجوانب ثم انقباض
ومنها قوله

كأن في غدرانها حواجبا

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأصاف دوائر صفار ثم إنك تراها تمتد امتداداً ينقص من انحنائها وتحدث بها وكأنها تنتقل من التقوس الى الاستواء وذلك أشبه شئ بالحواجب اذا بدت . والثاني ما يكن التشبيه في هيئة الحركة فقط مجردة من كل وصف يقاربها وهناك أيضاً لابد من اختلاط حركات كثيرة في جهات مفرقة مختلفة وكلما كان التقارب أكثر كان التركيب في الهيئة المتحركة أكثر . وقد يقع التشبيه أيضاً بالسكون كقول الاخطل في وصف مصلوب

كأنه عاشق قد مدّ صفحته يوم الوداع الى توديع مُرتحل
أو نائم من ناعس فيه لوثته مواسل لتطيه من الكسل

فلطفه بسبب ما فيه من التفصيل ولو قال كأنه منقط من ناعس واقتصر عليه كان قريب التناول . وقد وقع في القرآن العظيم آيات كثيرة شبه فيها الحركات بالحركات والسكون بالسكون . فمن ذلك قوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرّ مرّ السحاب » . وقوله « يكاد البرق يخطف أبصارهم » . وقوله تعالى « يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب » شبه سرعة سير الجبال مع سكون بسرعة سير السحاب مع سكون أيضاً وشبه سرعة وميض البرق بسرعة يد المختطف وشبه حركة التفاف جرم السماء بحركة التفاف جرم الكتاب بعضه على بعض وكذلك السكون . ومنه قوله تعالى « واترك البحر رهواً » - والرهو - الساكن شبه ذهاب حركة البحر بذهاب حركة الخيل عند سكونها تقول العرب جاءت الخيل رهواً أى ساكنة فشبه البحر بها وذلك أنه قام فرقه ساكنين فقال لموسى عليه الصلاة والسلام دع البحر ساكناً كما مؤء كما أخبر الله سبحانه وتعالى « فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفاق فكان كل فرق كالطود العظيم » . (وأما الثانى عشر) فهو الفرق بين الاستعارة والتشبيه . ذهب جماعة من أهل هذا الشأن الى أن التشبيه والاستعارة شيان وفرق الحدائق وقالوا إن التشبيه حكم إضافي لابد فيه من ذكر مشبه ومشبه به فانك اذا قلت - رأيت أسداً - فهو استعارة لم تذكر شيئاً حتى تشبهه بالأسد ولو كان تشبيهاً لتعبّن أن تقول زيد أسد أو زيد كالأسد ولم يكن غرضك في قولك زيد أسد إلا المبالغة

في مدح زيد بالشجاعة .. فرق ثان أن التشبيه لا يكون إلا بأداة التشبيه غالباً والاستعارة لا تحتاج الى أداة فانك اذا قلت - لعبت به يد الصبا - لم يكن كقولك - فلان له خلق كالصبا - .. فرق ثالث أن الاستعارة أوجز من التشبيه فانك اذا قلت - زيد أسد - أوجز من قولك - زيد في بسالة الأسد - فثبت على هذا التقدير أن التشبيه أحد غرضي الاستعارة

﴿ فصل ﴾

ومنها التمثيل .. قال أطلق علماء هذه الصناعة اسم التشبيه على كل تمثيل منتزع من أمور مجتمعة بتقييد البعض ببعض وهو قريب من الاستعارة ومنه في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتُ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ » . وقوله تعالى « مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » الآية . ومن ذلك قوله تعالى « فَثَلْهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ » . وقوله تعالى « مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا » الآية ومثله في القرآن كثير .. ومن هذا النوع المثل السائر ومعنى السائر أنه كثر استعماله واستعمله على أن الثاني بمعنى الأول لأن ذكرها على تقدير أن يقال في الواقعة المعينة انها بمنزلة من قيل له هذا القول والأمثال كلها حكايات لا تغيّر وهي أكثر من أن تحصى وقد صنف العلماء فيها كتباً وشرحوا معانيها والخوض في ذكرها يطول وقصدت الاختصار لا الاكثار .. ومن الأمثال السائرة في الكتاب العزيز قوله تعالى « ليس لها من دون الله كاشفة » . وقوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّاً السحاب » . وقوله تعالى « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً » .. ومنه في السنة قوله صلى الله عليه وسلم الآن حمى الوطيس ورسول الله صلى الله عليه وسلم أول من فاء بهذا المثل ثم صار مثلاً سائراً . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم إياكم وخضراء الدّمر . وفي غزون كلامه صلى الله عليه وسلم من هذا كثير .. وأما أشعار العرب فقد ورد فيها من ذلك كثير منها ما في البيت . مثل واحد ومنها ما في البيت مثلاً ومنها

ما فيه ثلاثة ومنها ما فيه أربعة ومنها ما فيه خمسة ومنها ما فيه ستة .. فأما ما فيه
مثل واحد فكقول أبي فراس

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن طلب الحسنة لم يُغله المهز
.. وقول أبي تمام

فلو صورت نفسك لم تردّها على ما فيك من كرم الطباع
.. ومما جاء من الشعر فيه مثالان قول بعضهم

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيقة الرجل
في كل قسم منه مثل قائم بنفسه غير محتاج الى صاحبه .. ومنه قول الحطيئة
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
.. وقول أبي فراس

ومن لم يوق الله فهو مضيع ومن لم يعز الله فهو ذليل
.. وقول المتنبي

وكل امرئ يولى الجميل محبب وكل مكان يثبت العز طيب
.. وأما ما فيه ثلاثة أمثال فكقول زهير بن أبي سلمى
وفي الحلم إدهان وفي العفو ذلة وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق
.. وأما ما فيه أربعة أمثال فكقول بعض العرب

فألهم فضل وطول العيش منقطع والرزق آت ورزق الله منتظر
.. وأما ما فيه خمسة فكقول الشاعر

خاطر تقذ وارثك تجذ واكرم تسذ وانقذ تقذ واصغر تعد الأكر
.. وأما ما فيه ستة فكقول ابن البانة الأندلسي

ته احتمل واستطيل أصبر وعزأه ن وول أقبل وقل أسمع ومرأ طع
- والمثل - جمعه أمثال وسمى المثل مثلاً لأنه مائل بخاطر الانسان أى شاخص يتأ
به ويتعظ ويخشى ويرجو والشاخص المنتصب وهو من قولهم طلل مائل أى شاخه
وهذا رسمه اللغوي والذي تقدم في أول الباب حده الصنائع

القسم الثاني والعشرون

من المجاز

الايجاز والاختصار

وهو على قسمين وجيز بلفظه ووجيز بجذفه (فأما الوجيز) بافظه فهو عند أرباب هذه الصناعة أن يكون اللفظ بالتشبيه الى المعنى أقل من القدر المجهود عادة وسبب حسنه أنه يدل على التمكن في الفصاحة والملاحة في البلاغة وحصول ملاذ كثيرة دفعة واحدة واللفظ لا يخلو إما أن يكون مساوياً لمعناه وهو المقدر أو أقل منه وهو المقصور . . . أما المقدر فكقوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » أمر الله في أول هذه الآية بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى ونهى فى وسطها عن الفحشاء والمنكر والبغى ووعظ فى آخرها وذكر فجمع فى هذه ضروباً من البين وأنواعاً من الاحسان فذكر العدل والاحسان والفحشاء والمنكر بلائف واللام التى هى الاستغراق أى استغراق الجنس المحتوى على جميع أنواعه وضروبه وجمع فيها بين الطباق اللفظى والطباق المعنوى أما اللفظى فى قوله - ان الله يأمر وينهى - . وأما المعنوى فى قوله - العدل والاحسان وإيتاء ذى القربى - وقوله - الفحشاء والمنكر والبغى - فإن الثلاثة الأولى آخر أبعاد الثلاثة الأولى لأن الثلاثة الأولى من الفعل الحسن والثلاثة الأخيرة من القبيح فطابق بين الحسن والقبيح مطابقة معنوية ثم بين خصوصية ذوى القربى بإعادة الإيعاء عليهم وإيتاء لهم مع أن الأمر بالاحسان قد تناولهم وبدأ بالعدل لأنه فرض وتلاه بالاحسان لأنه مندوب اليه وقد يجب فاحتوت الآية على حسن النسق وعطف الجمل بعضها على بعض فقدم العدل وعطف عليه الاحسان الذى هو جنس عام وخص منه نوعاً خاصاً وهو إيتاء ذى القربى ثم أتى بالأمر مقدماً وعطف عليه النهى بالواو ثم رتب جمل المنهيات كما رتب جمل المأمورات فى العطف بحيث لم يتأخر فى الكلام ما يجب تقديمه ولم يتقدم عليه ما يجب تأخيرها ثم ختم ذلك كله بأمر مستحسن ودعا الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فاحتوت الآية على ضروب من المحاسن والقضايا

وأشتات من الاوامر والنواهي والمواظط والوصايا مالمو بث في اسفار عديدة لما اسفرت
عن وجوه معانيها ولا احتوت على أصولها ومبانيها سبحانه من لا يشبه خاتمه ذاتاً ولا
كلاماً ولا إحكاماً ولا أحكاماً. وفي القرآن العظيم من هذا النمط كثير وقد وقع آيات
كثيرة قلت حروفها وكثرت معانيها وظهرت دلائل الإعجاز فيها مثل قوله تعالى «فإما
تخافن من قوم خيانةً فانبذ اليهم على سواء» ، وقوله تعالى «ومن يطع الله ورسوله
ويخشى الله ويؤتيه قَوْلُكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» . وقوله تعالى «من كفر فعليه كفره» .
وقوله تعالى «قتل الانسان ما أكفره» . ومن ذلك في السنة كثير كقوله صلى الله
عليه وسلم الاعمال بالنيات والمجالس بالامانات . وكقوله الضعيف أمير الركب يعني أنه
ينبغي متابعته في السير كما ينبغي متابعة أمير الركب وقد صرح بذلك في قوله صلى الله
عليه وسلم سيروا سير أضعفكم . ومن ذلك في أشعار العرب وخطبهم كثير وكثرته
وشهرته أغنت عن ذكره (وأما المقصور) فاما أن يكون من نقصان لفظه عن معناه
لاحتمال لفظه معان كثيرة أو لا يكون كذلك . الثاني كما في قوله تعالى «خذ العفو
وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين» . وكذلك قوله تعالى «أولئك لهم الأمن وهم
مهتدون» . وكقوله تعالى «ولكم في القصاص حياة» وهذا أحسن من قولهم القتل
أنفي للقتل وجوه سبعة . الاول أن قولهم القتل أنفي للقتل في ظاهره متناقض لانه جعل
حقيقة الشيء منافية لنفسه وان قيل ان المراد منه ان كل واحد من افراد هذا النوع
ينفي غيره فهو أيضاً ليس أنفي للقتل قصاصاً بل ادعى له وانما يصح اذا خصص ف قيل
القتل قصاصاً أنفي للقتل فيصير كلاماً طويلاً مع أن التقييدات بأسرها حاصلة في الآية .
الثاني أن القتل قصاصاً لاينفي القتل ظاهراً من حيث انه قتل بل من حيث أنه قصاص
وهذه الجملة غير معتبرة في كلامهم . الثالث أن حصول الحياة هو المقصود الاصلى وانفي
القتل انما يراد لحصول الحياة والتنصيب على الغرض الاصلى أولى من التنصيب على
غيره . الرابع أن التكرار عيب وهو موجود في كلامهم دون الآية . الخامس أن
حروف - في القصاص حياة - اثنا عشر وحروف -القتل أنفي للقتل- أربعة عشر .
السادس أنه ليس في كلامهم كلمة يجمع فيها حرفان متلاصقان متحركان الا في موضع

واحد بل ليس فيها الاسباب حقيقة متوالية وقد عرف أن ذلك مما ينتص من سلاسة الكلام بخلاف الآية . السابع أن الدافع لصدور القتل عن الانسان كراهته لذلك وصارفه القوى عنه حتى انه ربما يعلم أنه لو قُتل قُتلَ ثم لا يرتدع وإنما رادعه القوى هو إما الطمع في الثواب أو الذكر الجليل وإذا كان كذلك فليس أنفي الاسباب للقتل هو القتل بل الانفي لذلك هو الصارف القوى . وقوله تعالى - في القصاص حياة - لم يجعل القصاص مقتضياً للحياة على الإطلاق بل الحياة منكورة والسبب فيه ان شرعية القصاص تكون رادعة عن الاقدام على القتل غالباً . ثم لتعلم أن في هذا التنكير فائدة أخرى لطيفة وهي أن الإنسان اذا علم أنه اذا قُتلَ قُتلَ ارتدع بذلك عن القتل فلم صاحبه فصارت حياة هذا الموهوم قتله في المستقبل مستفادة بالقصاص وصار كأنه قد حي في بقي عمره ولذلك وجب التنكير وامتنع التعريف من جهة أن التعريف يقتضى أن تكون الحياة قد كانت بالقصاص من أصلها وليس الأمر كذلك . ومثل هذا التنكير قوله تعالى « وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ » وفائدة التنكير أن الحريص لا بد وأن يكون حياً وحرصه لا يكون على الحياة الماضية والراهنة بل على الحياة المستقبلية ولما لم يكن الحرص متعلقاً بالحياة على الإطلاق بل بالحياة في بعض الاحوال لا جرم جاءت بلفظ التنكير . . . واعلم أن للتنكير في قوله تعالى - في القصاص حياة - فائدة أخرى وهي أن الرجل قد يرتدع بالقصاص حتى لا يقدم على القتل لكن من الجائز أن لا يكون للانسان عدو فيقصد قتله حتى يمنعه خوف القصاص وحينئذ لا تكون حياة ذلك الانسان لأجل الخوف من القصاص وما دخل الخصوص في هذه القصة وجب أن يقال حياة ولا يقال الحياة وكذلك يقال شفاء ولا يقال الشفاء في قوله تعالى « يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ » حيث لم يكن شفاء للجميع . . . ومن بديع هذا النوع أن أبا جعفر انصور سأل معن بن زيا أيما أحب إليك دولتنا أو دولة بني أمية فقال ذلك اليك ومعناه أن زيادة هذه المحبة وتقصانها بيدك لانها على قدر احسانك . والفرق بين هذا التسم وبين المتقدم وهو أن يكون نقصان النظم لاجل احتمال معان كثيرة وذلك كاللفظ المشترك أو الذي له مجازات أو حقيقة ومجاز اذا

أريدت معانيه كما في قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ » والصلاة من الله تعالى رحمة ومن الملائكة استغفار . وكذلك قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ » والسجود من الناس وضع الجبهة على الأرض وهو حقيقة شرعية وأيضاً الخشوع وهو حقيقة لغوية ومن غير الناس الانقياد لصنع الله تعالى وهو مجاز . . . ومن ذلك قول المتنبى وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب

وهذا يحتمل ثلاثة معان . الأول من بات في نعماء المحسود . الثاني من بات في نعماء الحاسد . والثالث من بات في نعماء غير الحاسد والمحسود فيكون ذلك مدحاً للذي يبيت في نعمائه وبيانه أن كل أحد يتمكن من تحصيل تلك النعمة بمدح هذا المنعم فيكون حينئذ ممن أنعم عليه (وأما الوجيز بالحذف) فالكلام عليه من وجوه . الأول المعنى الذي حسن الحذف من أجله . الثاني في فائدته . الثالث في شرطه . الرابع في أقسامه . الخامس في توابعه . السادس فيما يقبح منه . . أما الأول فإن المعنى الذي حسن الحذف من أجله طاب الإيجاز والاختصار وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل . . وأما الثاني ففائدته زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأكثر وكان ذلك أحسن . . وأما الثالث فشرطه أن يكون في اللفظ دلالة على المحذوف وإلا لم يتمكن من معرفته فيكون اللفظ مخلاً بالفهم وتلك الدلالة قد تحصل من أعراب اللفظ وذلك كما إذا كان منصوباً فيعلم أنه لا بد له من ناصب وإذا لم يكن ظاهراً لم يكن بُد من أن يكون مقدراً وذلك كقولنا - أهلاً وسهلاً ومرحباً - ومعناه وجدت أهلاً وسلكت سهلاً وصادفت رُحباً . ومنه في القرآن كثير كقوله تعالى « الْحَمْدُ لِلَّهِ » على قراءة من قرأ بالنصب . وقوله تعالى « وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ » والتقدير أحمدُ الحمد أو أقرأ الحمد واحفظوا الأرحام . وقوله تعالى « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً » وقوله تعالى « مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ » وفي القرآن منه كثير وفي الكلام الفصيح منه كثير وكثرته تغني عن ذكره . غير أن سيوبه ذكر منه أشياء جعلها حجة في الباب . من ذلك

قول العرب - اللهم ضبعاً وذبياً - أى اجعل فيها ضبعاً وذبياً . وقول بعضهم حين قيل له لم أفسدتم مكانكم فقال - الصبيان بأبى - أى أم الصبيان . ومنه ما قدمناه أولاً وهو أهلاً وسهلاً ومرحباً . وقد تحصل تلك الدلالة بالنظر فى المعنى والعلم بأنه إنما يتم بمحذوف مقدّر وهذا يكون أحسن من الاول لزيادة غموضه كما فى قولهم فلان يحلّ ويربّط ومعناه أنه يحلّ الأمور ويربطها أى ذو تصرف . وقد عقد بعض علماء هذه الصناعة عقداً فقال اللفظ المحذوف إما أن يكون مفرداً أو مركباً فان كان مفرداً فسيأتى بيانه وان كان مركباً فإما أن يكون كلاماً مفيداً أو لا يكون كذلك فهذه ثلاثة أقسام الاول أن يكون كلاماً مفيداً وهذا أحسن والكلام المفيد المحذوف قد يكون قليلاً وهو على وجهين . أحدهما أن يكون المحذوف استفهاماً وبسمى ما يدلّ عليه استثنافاً وهذا إما أن يكون باعادة اسم أو صفة أو لا يكون كذلك اما الذى باعادة اسم فكما اذا أعقب اسم من تقدّم الحديث عنه كقولنا أحسنت الى زيدٍ زيدٌ أحقّ باحسانك . وقولنا - زيدٌ أحقّ باحسانك - جواب عن سؤال كأنه قيل وما وجه الاحسان الى زيد فقيل زيد أحقّ باحسانك فيكون هذا السؤال محذوفاً . وأما الذى باعادة صفة فكقولنا أحسنت الى زيد صديقك القديم هو أحقّ بذلك . تقديره وما وجه الاحسان الى زيد فتقول - لانه صديقك القديم - وهذا أحسن من اعادة الاسم لاشتماله على سبب الاحسان . . وأما الذى ليس كذلك فكقولنا تعالى « ألمّ ذلك الكتابُ لاريبَ فيه » الى قوله « وأولئك هم المفلحون » فتقوله - أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون - استئناف وهو جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل وما يحصل لهؤلاء الموصوفين بهذه الصفات فقيل انهم على هدى من ربهم وانهم مفلحون وكذلك قوله تعالى « إني آمنتُ بربكم فاسمّونِ قيل ادخلِ الجنةَ » فتقوله - قيل ادخل الجنة - جواب عن سؤال كأنه قيل وما فعل بهذا فقيل قيل له ادخل الجنة وانما لم يقل قيل له لأن ذلك معلوم . وكذلك قوله تعالى « قل يا قوم اعلموا على مكانتكم » فان قرئ « فسوف تعلمون » لم يكن فيه استثناف وان قرئ سوف تعلمون كان ذلك كأنه قيل وم يكون اذا علمنا نحن على مكانتنا وعلمت أنت على مكانتك

فَقِيلَ « سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ » . وَثَانِيهَا أَنْ لَا يَكُونَ الْمُحْذَوْفُ اسْتِفْهَامًا
وَذَلِكَ كَمَا إِذَا كَانَ مَسِيئًا وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ سَبِيهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى « وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ »
إِذْ قُضِيَ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتُ مِنَ الشَّاهِدِينَ « كَأَنَّهُ قَالَ وَمَا كُنْتُ مِنَ
الشَّاهِدِينَ لَمَّا جَرَى لِمُوسَى عَلَيْهِ وَلَكِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَسَبَبَ هَذَا الْوَحْيِ أَنَا أَنْشَأْنَا
قُرُونًا إِلَى زَمَانِكَ فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَى مَدَّةِ الْفَتْرَةِ فَتُسَى بِمَا كَانَ جَرَى
فَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فَيَكُونُ الْمُحْذَوْفُ هُوَ السَّبَبُ وَالْمَذْكُورُ الدَّالُّ عَلَيْهِ هُوَ سَبِيهِ . وَكَذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى « وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْتُ » . . (وَأَمَّا الرَّابِعُ فِي أَقْسَامِهِ)
أَمَّا أَقْسَامُهُ فَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَقْوَالُ أَرْبَابِ عِلْمِ الْبَيَانِ عَلَى أَنَّ الْمُحْذَوْفَاتِ عَلَى قَسْمَيْنِ حَسَنَةٍ
وَقَبِيحَةٍ . أَمَّا الْقَبِيحَةُ فَهِيَ أَنْ يَخْلُ الْمُحْذَوْفُ بِالْمَعْنَى أَوْ يَحْطَهُ عَنْ رَتْبَتِهِ وَسَيَأْتِي بَيَانُهُ
• وَأَمَّا الْحَسَنَةُ فَهِيَ عَلَى قَسْمَيْنِ . جَلٌّ . وَمُفْرَدَاتٌ • فَأَمَّا الْجَمْلُ فَهِيَ عَلَى قَسْمَيْنِ .
مَوْجِزَةٌ . وَمَطْوَلَةٌ • . فَاَلْمَوْجِزَةُ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى « وَاللَّائِي يَتَّبِعْنَ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ
إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ » تَقْدِيرُهُ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ فَعِدَّتُهُنَّ
كَذَلِكَ • وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْفَصْلِ الَّذِي قَبْلَ هَذَا مِنْ نَظَائِرِهِ كَثِيرٌ وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ
مَشْحُونٌ بِهِ • . وَأَمَّا الْجَمْلُ الْمَطْوَلَةُ فَكَقَوْلُهُ تَعَالَى « إِذْ هَبْ بَكِثَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ »
الْآيَةُ . فَأَعْقَبَهُ بِقَوْلِهِ حِكَايَةً عَنْهَا « قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ كِتَابٌ كَرِيمٌ »
تَقْدِيرُهُ فَأَخَذَ الْكِتَابَ فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ فَرَأَتْهُ الْمَرْأَةُ بَلْقَيْسُ وَقَرَأَتْهُ - وَقَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ -
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِينَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا » فِيهِ مُحْذَوْفٌ
مَطْوَلٌ تَقْدِيرُهُ فَلَمَّا وُلِدَ يَحْيَى وَنَشَأَ وَتَرَعَرَعَ قَانَا لَهُ - يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ -
• . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ « لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ
حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى قَالَ يَا هَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا إِلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ
أَمْرِي » تَقْدِيرُهُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى وَوَجَدَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ - قَالَ يَا هَرُونَ - • وَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « فَلَمَّا رَأَوْهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي » إِلَى قَوْلِهِ « قَالَ
نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا » • وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ » فِيهِ مُحْذَوْفٌ تَقْدِيرُهُ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ كَمَنْ أَقْسَى
(١٠ - فَوَائِدُ)

قلبه وتركه على ظلمة من كفره ودل على المحذوف قوله تعالى «فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ»
 عن ذكر الله « وذلك في القرآن العظيم كثير جداً » (وأما المفردات) فهي ثلاثة
 أقسام . أسماء . وأفعال . وحروف . أما الاسماء فهي أنواع . الاول حذف الفاعل
 وقد اختلف في حذفه فنص على منع حذفه ابن جنى وكثير من النحويين والحق
 جوازه اذا وُجد ما يدل عليه كقوله تعالى «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ» تقديره اذا بلغت
 الروح التراقي . ومنه قوله تعالى «حتى توارت بالحجاب» تقديره حتى توارت الشمس
 . ومن ذلك قوله تعالى « فلما جاء سُلَيْمَانُ » تقديره فلما جاء الرسول سليمان . الثاني
 حذف المفعول وهو على ثلاثة أقسام . الاول حذفه من كل فعل ليس له مفعول معين
 بل يكون المقصود من الكلام بيان حال الفاعل فقط . ومنه قوله تعالى «هل يَسْتَوِي
 الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» أي هل يستوى ذو العلم ومن لا علم له . وفي مثل
 هذا يتعين أن لا يُعدى الفعل لفظاً ولا تقديرأ ويكون حاله كحال غير المتمدى فان عدتيته
 تخصه بما تعدى اليه فينقص الغرض . ومن ذلك المحذوف من الافعال التي لها مفعول
 معين وحذفه لأمر . الاول أن يكون المراد بيان حال الفاعل وأن ذلك دأبه لبيان
 حال المفعول . مثاله قوله تعالى « وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ
 يَسْقُونَ » الى قوله « فسقى لهم » فحذف المفعول من أربعة . واضع إذ لو أضافه الى
 الغنم مثلاً لئوهم أن الانكار انما جاء من ذود الغنم لا من مطلق الذود كما تقول مالك
 تمنع أخاك . وكل محل بالمقصود ومثله قول الشاعر

هُمْ خَاطُونَا بِالنَّفُوسِ وَالْجُؤَا إِلَى حُجْرَاتٍ أَدْفُتْ وَأُظْلَمَتْ

أراد أَلْجُؤُنَا وَأُظْلَمْنَا وَأَدْفُتْنَا فحذف فكأنه قد أبهم أمره ولم يقصد شيئاً يقع عليه فلو
 قال أدفأنا وأظلمنا لكان الأمر مختصاً بهم وبطل الغرض . الثاني أن يكون المقصود
 ذكره إلا أنك لا تذكره إيهاماً بأنك لا تقصد ذكره كقول البحترى

شَجَوُ حُسَّادِهِ وَغِيْظُ عُدَاةٍ أَنْ يَرَى مُبْصَرٌ وَيَسْمَعَ وَاعٍ

المعنى أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واع أخباره . . الثالث أن يحذف لكونه مبيناً
 كقولك - أصغيتُ اليك - أي أذني . و - أغضيتُ عنك - أي جفني . . وقال

ابن الاثير حذف المفاعيل على قسمين . الاول حذف مفاعيل غلب حذفها على اثباتها كفعول المشيئة والارادة في باب الشرط وباب لو أو كفعول الاقسام . فأما حذف مفعول المشيئة والارادة في باب لو وباب الشرط ففي القرآن العظيم منه كثير . منها قوله تعالى « ولو شاء الله ما اقتتلوا » تقديره ولو شاء الله أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا فحذف مفعول المشيئة لدلالة ما بعده عليه . ومنه قوله تعالى « ولو شاء لهداكم » تقديره ولو شاء الله هدايتكم كلكم لهداكم أجمعين . ومنه قوله تعالى « ولو شاء الله ما فعلوه » ومثله في القرآن كثير . وقد^(١) ومنه قوله تعالى « لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لاتخذناه من لدنا » . ومنه قوله تعالى « لو أراد الله أن يتخذ ولدأ » . وقد ظهر مفعول المشيئة في

قول الشاعر

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيتك عليك ولكن ساحة الصبر أوسع

.. وأما حذف مفعول الافساد فمنه قوله تعالى « إن الله لا يحب المفسدين » . وقوله تعالى « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » . وقوله تعالى « يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون » . وقوله تعالى « ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها » وهو كثير . . الثاني ما يحذف لدلالة السياق عليه . فمنه قوله تعالى « يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » تقديره ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله القابض الباسط . وقوله تعالى « وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون » تقديره وما يشعرون أنهم لأنفسهم يخادعون ونحوه (ونذكر) هاهنا قاعدة ينبنى عليها حكم الفاعل والمفعول وهو أن العرب ينظرون الى مقصود الافادة في هذا الباب ونحوه فان كان المقصود نسبة الفعل الى الفاعل اقتصروا عليه فقالوا - فلان يُعطى ويمنع ويصل ويقطع . والله يحيي ويميت - لانه ليس الغرض ذكر المعطى والممنوع والموصول والمقطوع والحيا والممات ولكن الغرض وصف الفاعل بهذه الافعال . فان كان الغرض ذكر المفعول لا غير لم يتعرضوا للفاعل كقوله تعالى

(١) كذا في الأصل . . والظاهر أنه أراد وأما حذف مفعول الارادة في باب

الشرط وباب لو ففي القرآن منه كثير ومنه الخ

« قَتَلَ الْخُرَّاصُونَ » • وقوله تعالى « قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » • وقوله تعالى « كَتَبُوا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » • وقوله تعالى « أُولَئِكَ الَّذِينَ أُنْزِلُوا بِمَا كَسَبُوا » • وقوله تعالى « لِنُؤَا بِمَا قَالُوا » ليس الغرض من هذا ذكر السكايت ولا القاتل ولا اللاعن ولا المبسل وإنما الغرض نسبة القتل واللعن والسكايت والابسال الى المذكورين • وان تعلق الغرض بالفاعل والمفعول أتوا بهما كقوله تعالى « خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » • وقوله « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ » • وقوله « بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ » • وقوله « فَمَا نَقْضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَنَا » • • ومن ذلك حذف ضمائر الموصولات • ومنه قوله تعالى « أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا » تقديره أهذا الذي بعثه الله رسولا • وقوله تعالى « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ » تقديره إنكم وما تعبُدونه أو تعبُدونهم • وقوله تعالى « وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ » تقديره وما ذرأه • وقوله تعالى « وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ » تقديره خلقه الله • ومنه في القرآن العظيم كثير • • الثالث حذف المضاف تارة والمضاف اليه أخرى وإقامة أحدهما مقام الآخر • • أما حذف المضاف فكقوله تعالى « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا » وكذلك « إِذَا فَتَحْتَ بِأُجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ » أي فتحت سُدُودَهُمْ • وربما نكرت المحذوف كما في قوله « فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ » يريد من أثر حافر فرس الرسول • • ومنه قول الشاعر

إذا قامت تَضَوُّعُ الْمَسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمُ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيًّا الْقَرْ نَفْلِ
• • وأما حذف المضاف اليه فهو أقل استعمالاً • ومنه قوله تعالى « لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ » أي من قبل ذلك ومن بعده • • الرابع حذف الصفة تارة وحذف الموصوف أخرى • أما حذف الصفة فكقوله النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد • أي لا صلاة تامة أو كاملة • وأما حذف الموصوف فأكثره في النداء والمصدر • • أما النداء ففي قوله تعالى « يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ » تقديره يا أيها الرجل الساحر • وكذلك « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » تقديره يا أيها القوم الذين آمنوا • وقوله تعالى « يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ » تقديره يا أيها القوم المؤمنون • • وأما المصدر فكقوله تعالى

« وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا » وقد يجيء في غير النداء كما في قول البحتري

في أخضر ماس على أصفر يخال في صبغته ورس

يريد على فرس أصفر .. الخامس حذف الشرط تارة وحذف الجزاء أخرى واقامة
أحدهما مقام الآخر .. أما حذف الشرط فكقوله تعالى « يا عبادى الذين آمنوا إن
أرضى واسعة » أى فاذا كنتم فى أرض لا تتمكنوا فيها من عبادتى فإياى فاعبدون فى
غيرها . وقوله تعالى « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية » أى فان
لم يخلق فعليه فدية .. وأما حذف جزاء الشرط فكقوله تعالى « قل أرايتم ان كان
من عند الله وكفرتم به » معناه ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألسن ظالمين .
وبدل على هذا المحذوف قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » .. السادس
حذف القسم تارة وجوابه أخرى .. أما حذف القسم فكقولك لأضربن زيداً . أى
والله لأضربن زيداً . وكقوله تعالى « وإن منكم إلا واردها » تقديره وإن منكم والله
إلا واردها . ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله لن يرد النار إلا تحلة القسم . ومنه
قوله تعالى « لتبْلَوْنَ فى أموالكم وأنفسكم » . وقوله تعالى « لتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ » وهو فى
القرآن العظيم كثير .. أما حذف جواب القسم فكقوله تعالى « والشفع والوتر
والليل إذا يسر هل فى ذلك قسم لذي حِجْر » معناه وحق هذه لأعذبن هؤلاء .
يدل على المحذوف قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » . وقوله تعالى « ق والقرآن
المجيد بل عجبوا أن جاءهم مُنْذِرٌ منهم فقال الكافرون هذا شئ عَجِيبٌ » معنى
- ق والقرآن المجيد - لتبعثن ويدل على ذلك قوله « أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رَجْعٌ
بعيدٌ » .. السابع حذف جواب - لو - وهو فى القرآن كثير . من ذلك
قوله تعالى « ولو ترى إذ فرعوا فلا قوتَ وأخذوا من مكان قريب » تقديره
لرأيت أمراً هائلاً ونحو ذلك . وكذلك قوله تعالى « لو أن لى بكم قوة أو آوى الى
رُكن شديد » تقديره لمنعتكم ونحو ذلك . وكذلك قوله تعالى « ولو أن قرآناً
سُيِّرَتْ به الجبال » تقديره لكان هذا القرآن .. الثامن حذف جواب - لولا -
كقوله تعالى « ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته وأن الله توابٌ حكيمٌ » تقديره لما

أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ سِتْرَ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَوْفٌ رَحِيمٌ » تَقْدِيرُهُ لَعَجَلَ لَكُمْ الْعَذَابَ . وَيَدُلُّ عَلَى الْمَحْذُوفِ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مَا تَقْدِمُهُمَا . . . النَّاسِ حَذْفُ جَوَابٍ - لَمَّا - وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَأَهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا » تَقْدِيرُهُ كَانَ مَا كَانَ مِنْ اغْتِبَاطِهِمَا بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا مِنْ دَفْعِ ذَلِكَ الْبَلَاءِ . . . الْعَاشِرُ حَذْفُ جَوَابٍ - أَمَّا - كَقَوْلِهِ تَعَالَى « فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ » تَقْدِيرُهُ فَيَقَالُ لَهُمْ - أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ - . . . الْحَادِي عَشَرَ حَذْفُ جَوَابٍ - إِذَا - كَقَوْلِهِ تَعَالَى « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ » تَقْدِيرُهُ - وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ - أَعْرَضُوا - وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا أَيْضًا عَنْهَا مُعْرِضِينَ - (قَالَ الْمَصْنُفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ) هَذِهِ الْأَجُوبَةُ الْمَحْذُوفَةُ بَعْضُهَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ فِي بَابِ حَذْفِ الْجُمْلِ وَبَعْضُهَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ فِي بَابِ الْأَفْعَالِ لَكِنْ الْأَمَّةُ أَوْرَدُوها هَكَذَا فَأَوْرَدْنَاهَا كَمَا أَوْرَدُوها وَالتَّمَامُ اللَّوْذِيُّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ ذَلِكَ . . . الثَّانِي عَشَرَ حَذْفُ الْمَبْتَدَأِ تَارَةً وَالْخَبَرِ أُخْرَى . . . أَمَّا حَذْفُ الْمَبْتَدَأِ فَكَقَوْلُ الْمُسْتَهْلِ - الْهَلَالُ وَاللَّهُ - مَعْنَاهُ هَذَا الْهَلَالُ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ مَنْ شَمَّ رَائِحَةَ طَيِّبَةٍ - الْمَسْكُ وَاللَّهُ - وَكَذَلِكَ مَنْ رَأَى شَيْخًا فَقَالَ - عَبْدُ اللَّهِ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ - أَيْ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ . وَحَذْفُ الْمَبْتَدَأِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ كَثِيرٌ . مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ » تَقْدِيرُهُ فَقَالُوا - هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ - وَمِنْهُ « إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ » وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » . . . وَأَمَّا حَذْفُ الْخَبَرِ فَكَقَوْلُ بَعْضِهِمْ - خَرَجْتُ فَإِذَا السَّبْعُ - تَقْدِيرُهُ قَامْتُ أَوْ رَابِضٌ . وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ » وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ » تَقْدِيرُهُ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ كَذَلِكَ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى « فَصَبِرْْ جَمِيلٌ » شَاهِدٌ لِلْوَجْهِينِ بِمَجُوزِ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْخَبَرِ وَمِنْ بَابِ حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ فَإِنْ جَعَلْتَهُ مِنْ حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ كَانَ التَّقْدِيرُ فَلَا أَمْرَ أَوْ فَأَمْرِي صَبِرْْ جَمِيلٌ وَإِنْ جَعَلْتَهُ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْخَبَرِ يَكُونُ التَّقْدِيرُ

فصبر جميل أجل . . وقد يحذفان جملة وهو قابل . ومنه قوله تعالى « واللاتى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتى لم يحضن » تقديره واللاتى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر (وأما الافعال) لحذفها على قسمين . الأول مادل على حذفه بيان مفعوله كما فى قوله تعالى « ناقة الله وسقياها » وكقول النبي صلى الله عليه وسلم لجابر وقد تزوج - هلاً بكرة أتباعها وتلاعبك - أى هلا تزوجت جارية بكرة . وكذلك قولهم - أهلك والليل - أى أدرك أهلك وبادر الليل . ومنه فى القرآن كثير . الثانى ما لا يدل عليه مفعوله ولكن يعرف بالنظر كقوله تعالى « وعرضوا على ربك صفاء لقد جئتمونا » وقوله تعالى « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم » معناه فقبل فقد جئتمونا . وكذلك « ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم » وكذلك « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » والمراد فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم . وكذلك قوله تعالى « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب » أى فاضربوا رقابهم ضرباً . وكذلك قوله تعالى « وقال الملك اتوني به أستخاضه لنفسى فلما كلمه قال إنك اليوم » تقديره فأتوه به - فلما كلمه - (وأما) حذف فعل الأمر فله مثال واحد كقوله تعالى « انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة » . وقوله تعالى « أغير الله أبتغى حكماً » تقديره قل - أغير الله أبتغى حكماً - (وأما الحروف) أعنى حذف الحروف التى لها معان وليست حروف الهجاء التى تكلم النحويون على اثباتها وحذفها وابدالها لأنهم أرادوا بذلك تصحيح الألفاظ وردّها الى أصولها وليس هذا من غرضنا فى هذا الكتاب انما غرضنا الحروف التى يفيد حذفها واثباتها معنى لم يكن . . وهى عند علماء البيان على قسمين . مفردة ومركبة (فالمفردة) مثل - الواو - التى حذفها مع ما فيه من الإيجاز يجعل للكلام بلاغة ويكون فى معناه أشد وذلك لأن اثباتها يقتضى تغاير المعطوف والمعطوف عليه فاذا حذفت أشعر ذلك بأن السكك كالشئ الواحد . ومن ذلك قول أنس بن مالك رضى الله عنه - كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يصلون لا يتوضؤون - اثبات الواو أدل على عدم الوضوء من قوله - لا يتوضؤون - . ومن هذا النوع قوله تعالى « يا أيها الذين

أَمْنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ، تقديره ولا يألونكم خبالاً وقد بدت البغضاء . . . وقد ثبت الواو فيما من شأنه أن لا يكون فيه واو فيكون ذلك أيضاً أبلغ وأحسن كما في قوله تعالى « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم » (وأما المركب) فكثير وهو على أقسام . الاول حذف - لا - في قوله تعالى « تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَوْسُفَ » تقديره لا تفتأ تذكر يوسف أى لا تبرح . ومنه قوله تعالى « وعلى الذين يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ » تقديره وعلى الذين لا يطيقونه على قول بعض المفسرين . ومثله في القرآن العظيم كثير . ومنه قول امرئ القيس :

فقلتُ يمينَ اللهِ أبرحُ قاعداً ولو قطعوا رأسى لَدَيْكَ وَأَوْصَالى

معناه لا أبرح قاعداً . الثاني حذف - لو - وهو في قوله تعالى « مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ » تقديره لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق . وقوله تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون » معناه لو فعلت ذلك لارتاب المبطلون . ومن هذا النوع قول الشاعر

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبِحْ أبلى بنو اللَّقِيْطَةِ مِنْ ذُهْلٍ بَنِ شَيْبَانَا
إذا لقامَ بنصرى معشرُ خُشْنٍ عندَ الحَفِيْظَةِ إِنْ ذُو أَوْثَةِ لَنَا

تقديره إذا لو كنت منهم لقام بنصرى

(الحذف التبيين) وسبب قبحه اخلاله بالمعنى . قال ابن الاثير ومن الحذف أيضاً الخل بالمعنى وهو يُطلق على ما يحذف من أصل اللفظ وهو اسقاط بعض حروفه ولا يجوز استعماله في القرآن العظيم ولا في التأليف لكنه يجوز في الشعر لأن العرب قد أوردته في أشعارها واستعماته في كلامها فحذفت بعض الالفاظ استخفافاً حذفاً لا يخل بالباقي وتعرّض بالشبهة . فمنها قول علقمة

كَأَنَّ أَبْرِيْقَهُمْ ظَبْيٌ عَلَى شَرَفٍ مُفْدِئاً بِسَبَا السَّكْتَانِ مَلْثُومٌ

فقوله - بسبا السكتان - يريد بسبائب السكتان . وكذلك قول لبيد

* دَرَسَ الْمَنَّا بِمَتَالَعِ فَأَبَانَ *

أَرَادَ الْمَنَازِلَ • وَعَلَى نَحْوِ مَنْ هَذَا جَاءَ قَوْلُ أَبِي دُوَادَ

يَذَرِينَ جَنْدَلَ جَابِرٍ بِجَنُوبِهَا فَكَأَنَّمَا تَذَكَّرُ سَنَابِكُهَا الْجُبَا

أَرَادَ الْجُبَابَ - وَالْجُبَابَ - طَائِرٌ عَلَى مِثَالِ الْجُنْدَبِ الصَّغِيرِ يُرَى مِنْهُ نَوْرٌ ضَعِيفٌ لَيْلًا • وَهَذَا وَأَمثَالُهُ قَلِيلٌ جِدًّا وَإِيَّاكَ أَيُّهَا الْمُؤَلِّفُ أَنْ تَسْتَعْمِلَهُ فِي كَلَامِكَ وَإِنْ كَانَ جَائِزًا وَقَدْ وَرَدَ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ مِثْلُهُ ﴿ قَالَ الْمُصَنِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ ﴾ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّهُ قَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ الَّتِي فِي أَوَائِلِ السُّورِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا دَالٌ عَلَى كَلِمَةٍ مُحْذَفَةٍ أَكْثَرُهَا وَدَلَّ هَذَا الْمَنْطُوقُ بِهِ عَلَى الْمَحْذُوفِ • وَقَالُوا إِنَّ مَعْنَى « أَلَمْ » أَنَا اللَّهُ الْمَلِكُ • وَقَالُوا فِي « كَهَيْعَصَ » أَنَّ السَّكَافَ مِنْ كَافٍ وَالْهَاءُ مِنْ هَادٍ • وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ الْعَرَبَ اسْتَعْتَمَتْ بِذِكْرِ حَرْفٍ مِنَ الْكَلِمَةِ عَنْ ذِكْرِهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ كَلَامِهَا وَأَشْعَارِهَا فَفَقِهَتْ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ الْحَرْفِ • وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ

جَارِيَةٌ قَدْ وَعَدْتَنِي أَنْ تَأْتِيَنِي تَذَهْنُ رَأْسِي أَوْ تَقْلِي أَوْ تَأْتِي

أَرَادَ أَنْ تَأْتِيَنِي وَتَذَهْنُ رَأْسَهُ وَتَقْلِي أَوْ تَمْسَحَ • وَقَالَ آخَرُ

نَادَوْهُمْ أَنْ تُلْجِمُوا الْآثَا قَالُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ الْآثَا

• • وَقَالَ آخَرُ

قَتُّ لَهَا الْأَقْفَى قَالَتْ قَافَ لَا تُحْسِنُ أَنَا نَسِينَا الْإِلْحَافَ

أَيُّ قَفٍّ أَنْتَ • وَمِثْلُ هَذَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَكَلَامِهِمْ كَثِيرٌ وَإِذَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ كَانَ مِنَ الْكَلَامِ الْفَصِيحِ مَعْدُودًا وَحَسَنًا فِي التَّرْكِيبِ وَكَلِمًا بَعْدَ غُورِ الْكَلِمَةِ وَاسْتَعْجَمَ مَعْنَاهَا كَانَ فَهْمُهُ بِأَوَّلِ وَهْلَةٍ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ الْأَفْهَامِ وَجُودَةِ الْغَرَائِزِ وَسَلَامَةِ الطَّبَاعِ وَحَسَنِ مَوْقِعِ الْفِظِّ بِهِ

﴿ فَصْل ﴾

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْمَحْذُوفِ أَنْ يَكُونَ الْفِظُّ مَرْكَبًا وَلَكِنْ لَيْسَ بِكَلَامٍ وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ

(١١ - فَوَائِدُ)

تعالى « قال كذلك قال ربك هو على هتين ولنجعل له آية للناس » تقديره وجعلناه لنجعل له آية للناس فيكون المحذوف ههنا هو السبب والدال عليه هو سببه . . . وقد يكون بعكس هذا كما في قوله تعالى « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » تقديره واذا أردت قراءة القرآن فالمحذوف هنا الارادة وهي سبب القراءة ويجوز أن يكون التقدير واذا قرأت القرآن وحضرك الشيطان فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم

د القسم الثالث والعشرون

(في التقديم والتأخير . والكلام عايه من وجوه ثلاثة)

الاول في ذكر المعنى الذى أتى به من أجله . الثانى في هل هو من المجاز أم لا . الثالث في أقسامه (أما الاول) فانهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم للكلام وتاهبهم به وتصرفهم فيه على حكم ما يختارونه وانقياده لهم لقوة ملكتهم فيه وفي معانيه ثقة بصفاء اذهانهم وغرضهم فيه أن يكون اللفظ وجيزاً بليغاً وله في النفوس حسن موقع وعدوبة مذاق (وأما الثانى) فقد اختلف أرباب علم البيان فيه . . . فقال قوم هو من المجاز لأن فيه تقديم مرتبته التأخير كالمقول وتأخير مرتبته التقديم كالفعل والمفعول به في نقل كل واحد منهما على رتبته وحقه . . . وقال قوم ليس هو من المجاز لأن المجاز نقل مما وضع له الى ما لم يوضع له (وأما الثالث) فقال علماء هذا الشأن اقسامه أربعة . . . وقالوا التقديم والتأخير لا يخلو إما أن يكون موجباً لزيادة في المعنى أو لا يكون كذلك وإما أن يكون ما قدم الاولى به التقديم أو الاولى به التأخير أو يتكافأ الامران فيه . . . أما الاول فهو ما يلزم فيه زيادة معنى فلا يخلو إما أن يكون المقصود بتقديمه زيادة المعنى خاصة كقوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » فإن المقصود بتقديم - إياك - تعظيم الله سبحانه وتعالى والاهتمام بذكره مع افادة اختصاص العبادة والاستعانة بالله تعالى لبصير الكلام حسناً متناسقاً ولو قال نعبدك ونستعينك لم يكن الكلام متناسقاً . وكذلك

قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » فان هذا مع افادته ان نظرها لا يكون الا الى الله تعالى يفيد في جودة انتظام الكلام . وكذلك قوله تعالى « وألفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق » . وأما ما يراد بتقديمه زيادة المعنى فقط . فانه تقديم المفعول في قوله تعالى « قل أفغير الله تأمروني أعبدُ أيها الجاهلون » . وكذلك « بل الله فاعبد » وكن من الشاكرين » فان المراد هاهنا بتقديم المفعول لتخصيصه بالعبادة ولو أخره ما أفاد ذلك فانه لو قيل ضربت زيدا لم يشعر ذلك باختصاص زيد بالضرب ولا كذلك لو قيل زيد أضربت . ومنه تقديم الخبر على المبتدأ كما في قوله تعالى « وظنوا أنهم ما نعمتهم حصونهم من الله » ولو قال وظنوا أن حصونهم من الله ما نعمتهم لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنعها إياهم . وكذلك « أرأيت أنت عن آلِهي يا ابراهيم » ولو قال أنت راعب عنها ما أفاد زيادة الانكار على ابراهيم بالرغبة عنها . وكذلك « واقترب الوعد الحق » فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا » ولم يقل فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة وكان يستغنى عن الضمير لأن هذا لا يفيد اختصاص الذين كفروا بالخصوص ولا اختصاص الذين كفروا بالضمير . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في البحر - هو الطهور ماؤه الحل ميتته - . وكذا تقديم الظرف في الهيئات كقوله تعالى « إن الينا إياهم ثم إن علينا حسابهم » . . . وتقديم الجار والمجرور كقوله تعالى « له الملك وله الحمد » فان هذا يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى . . . وأما اذا كان الظرف في النفي فان تقديمه يفيد تفضيل المنفي عنه كما في قوله تعالى « لا فيها غول » ولا هم عنها ينزفون » أى ليس فى خمر الجنة ما فى خمر غيرها من الغول . وأما تأخيرها فانما يفيد النفي فقط كما فى قوله تعالى « ألم ذلك الكتاب لاريب فيه » وكذلك اذا قلت لا عيب فى الدار كان معناه انى العيب عن الدار واذا قلت لا فى الدار عيب كان معناه انها تفضل على غيرها بعدم العيب . . . وأما الثانى فهو مالا يلزم تقديمه زيادة فى المعنى ومع ذلك يكون تقديمه أحسن وهذا انما يكون كذلك لامر يتعلق بالمقدم والمتأخر أو لأمر خارج عنهما . والذي لأمر يتعلق بهما اما أن يكون ذلك بالنسبة الى شئ خارج عنهما أولا يكون كذلك . فالاول كما اذا كان التقدم أدل على قدرة الخالق من التأخر كقوله تعالى « فمنهم من

يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع . والثاني
 اما ان يكون المتقدم تأثير في وجود المتأخر أو لا يكون كذلك ^(١) . والثاني كما اذا كان
 المتقدم أكثر وجوباً كما في قوله تعالى « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
 بالخيرات باذن الله » والاول اما أن يكون المتقدم في الوجود المتأخر بالذات أو بالعرض .
 أما الذي بالذات فكما في قوله تعالى « وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً لنحيي به بلدة ميتاً
 ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسٍ كثيراً » فانه قدم الانعام لان صلاح حالها سبب لصلاح
 حال الناس . وأما الذي بالعرض فكما في قوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » فانه
 قدم العبادة لانها وسيلة الى تحصيل الاستعانة . وأما الذي يكون كذلك لأمر خارج
 عن المتقدم والمتأخر فاما أن يكون ذلك لأجل كلام تقدم أو لا يكون كذلك . والذي
 لأجل الكلام المتقدم إما أن يكون لتعلق المذكور أولاً به أو لتعلقه هو بالمذكور أولاً
 . والاول كما في قوله تعالى « وما يعزبُ عن ربك من مثقالِ ذرَّةٍ في الأرض ولا
 في السماء » فانه قدم - الأرض - لأن هذا بعد قوله تعالى « ولا تعملون من عملٍ إلا
 كنا عليكم شهوداً اذ تفيضون فيه » وهذا الخطاب لأهل الأرض وعملهم يكون في
 الأرض . والثاني إما أن يكون ذلك لما يتعلق بمعنى الكلام الاول أو بلفظه . والمتعلق
 بمعناه كما في قوله تعالى « فمنهم شقي وسعيد » فانه قدّم الشقي لان المراد بهذا وما قبله
 التخويف . والمتعلق بلفظه كما في قوله تعالى « فأما الذين شقوا في النار » ثم قال
 « وأما الذين سعدوا ففي الجنة » فان تقديم حال الاشقياء هاهنا لأجل تقديمه أولاً
 الشقي . والذي يكون كذلك لأجل المتقدم اما أن يكون لأجل حال في الكلام نفسه
 أو لا يكون كذلك . والثاني كما في قوله تعالى « يَهَبُ لمن يشاءِ إِنَّانا وَيَهَبُ لمن يشاءِ
 الذُّكُورَ » فان تقديم الاناث هنا انما كان لأن المقصود بيان أن الخلق كله بمشيئته
 سبحانه وتعالى لا على وفق العباد . والاول كما اذا كان يتم بذلك السجع وذلك كما في
 هذه الآية وكما في قوله تعالى « خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه » ولو قال ثم صلّوه
 الجحيم لأفاد المعنى ولكن كان يفوت السجع فلذلك كان الاحسن تقديم الجحيم وقيل

ان هذه الصورة تفيد أيضاً الاختصاص كما في القسم الاول . . قال الامام نحر الدين وهو الذي يظهر لى وان منعه الآخرون فهذه أسباب عشرة . وقد يجتمع في شئ واحد عدة منها فيكون تقديمه أولى واذا تعارضت أسباب روعى أقواها وان تساوت كان المتكلم بالخيار في تقديم أى الامرين معاً . وأما الثالث فهو الذى لا يلزم تقديمه زيادة فى المعنى ويكون الاحسن تأخيره . فاذا قدّم كان ذلك مفاضلة معنوية وذلك كتقديم الصفة على الموصوف والعاة على المعلول ونحو ذلك . وهذا لا يمكن وروده فى القرآن لركنه وسماجته . مثاله قول الفرزدق

وما مثله فى الناس إلا مُملِكاً أبو أمه حتى يُبوه يُقاربه
معناه وما مثله فى الناس حتى يقاربه إلا مُملِكاً أبو أمه أبوه . وقال أيضاً
الى مَلِك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تُصاهره
معناه الى ملك أبوه ما أمه من محارب أى ما أم أبيه منهم . وقال أيضاً
ولست خراسان الذى كان خالد بها أسد اذ كان سيفاً أميرها

معناه ليست خراسان بالبلدة التى كان خالد بها سيفاً اذ كان أسد أميرها . والغرض مدح خالد وذم أسد المتولى بعده (وأما الرابع) فهو ما يتكافأ تقديمه وتأخيره وهذا كالحال فانه يقدم كقولك - جاء راكباً زيد - ويؤخر كقولك - جاء زيد راكباً - وهما سواء . وكذلك المستثنى كقولنا - ما قام إلا زيداً أحد . وما قام أحد إلا زيداً - . وقد وقع فى الكتاب العزيز آيات فيها تقديم وتأخير جارية على نمط ما تقدّم . من ذلك قوله تعالى « حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » . وقوله تعالى « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر » على قول من قال إن الذكر هاهنا القرآن . . وقال بعض العلماء فى قوله تعالى « ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » أن فى الكلام تقديماً وتأخيراً تقديره ولقد هممت به ولولا أن رأى برهان ربه هم بها وهذا حسن لكن فى تأويله قلق ولا يضطر الى هذا التأويل إلا على قول من قال ان الانبياء معصومون من الكبائر والصغائر . وأما على قول من قال ان الصغائر يجوز وقوعها منهم . فلا يضطر الى هذا التقديم والتأخير . . ومنه أيضاً قوله تعالى « اقتربت

الساعةُ وانشقَّ القمرُ » • وقوله تعالى « فجعله غداءً أحوى » والتقدير فجعله أحوى غداء • ومنه قول الشاعر

طاف الخيالُ وأين منك لَمَماً فارَّجِعْ لَزْوَركَ بالسلامِ سلاماً

تقديره طاف الخيال لماماً وأين منك • • وقال الفرزدق

نُفِّقُها مَنْ لَمْ تَنْلُهُ سِيوفُنا بِأَسِيفِنا هَامَ الملوِكُ القَماقمِ

تقديره نفلقها من لم تنله سيوفنا وبها - لتنبيهه تقديره تنبهوا لهذا المعنى • وإنما دعاه الى التقديم والتأخير ايقاع اللبس على السامع وجعله من باب الالغاز

❦ القسم الرابع والعشرون ❦

في الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظة واحدة

والجمع بينهما عند من رآه مجازاً لانه استعمال اللفظ في غير ما وضع له فانه وضع للحقيقة وحدها ثم استعمل فيها وفي المجاز • وله أمثلة

أحدها في قوله تعالى « أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » - ولعنة الله - ابعاد - ولعنة الملائكة والناس - دعاؤهم بالابعاد وقد جمعهما في لفظة واحدة ومن لا يرى ذلك يقدر أولئك عليهم لعنة الله ولعنة الملائكة فيكون من مجاز الحذف • والثاني منه قوله تعالى « إن الله وملائكته يصلون على النبي » - الصلاة - حقيقة في الدعاء مجاز في اجابة الدعاء لان الاجابة مسببة عن الدعاء فصلاة الملائكة حقيقة لانها دعاء وصلاة الله من مجاز التعبير بلفظ السبب الذي هو الدعاء عن المسبب الذي هو الاجابة وقد جمع بينهما في قوله - ان الله وملائكته يصلون على النبي - فيكون الضمير في - يصلون - لله والملائكة وجمعه معهم في الضمير مستكره فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكر على بعض خطباء العرب قوله - ومن يصمهما فقوغوري -

وقال بئس خطيب القوم أنت • وقد جمع بينهما عليه الصلاة والسلام في قوله - أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما - وفي قوله عليه الصلاة والسلام - فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم - وإنما أنكر على الأعرابي الجمع لاعتقاده التسوية بينهما والرسول عليه الصلاة والسلام آمنٌ من ذلك • ومن لا يرى الجمع بين الحقيقة والمجاز يقدر أن الله يصلى على النبي وملائكته يصلون على النبي فيكون يصلون على النبي حقيقة في حق الملائكة ويكون يصلى المقدره مجازاً في حق الله • وكذلك القول في قوله تعالى « هو الذى يصلى عليكم وملائكته » في الجمع بين الحقيقة والمجاز وافرادهما • ومثل هذا قوله تعالى « والله ورسوله أحق أن يرضوه » لو قال أحق أن يرضوهما لكان جامعاً بين الله ورسوله في الضمير وبين الحقيقة والمجاز فإن رضى الرسول عليه الصلاة والسلام حقيقى ورضى الله تعالى مجازى • ومن لا يرى ذلك يقول والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه كقول الشاعر

نحنُ بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأى مختلفٌ

وهذه الاربعة وعشرون قسماً التى ذكرناها من أقسام المجاز تحت كل قسم منها أقسام كثيرة يعرف ذلك من تأملها ونظر فيها • وحيث انتهى الكلام في الفصاحة والبلاغة والحقيقة والمجاز فلنأخذ في ذكر ما تضمنه الكتاب العزيز من فنون البلاغة وعيون الفصاحة وضروب علم البيان وبدائع البديع وأجناس التجنيس • • ولنبداً من ذلك فيما يتعلق بالمعاني ثم نتلوه بما يتعلق بالالفاظ والاعتماد في ذلك معونة الله تعالى وتوفيقه وتيسيره وهدايته الى الصواب والارشاد الى ما يؤدى الى جزيل الثواب وحسن المآب • • أما ما يختص بالمعاني فينقسم الى أقسام

قسم الأول

(التناسب • ويسمى التشابه أيضاً)

وهو ترتيب المعاني المتأخية التى تتلاءم ولا تتنافر • والقرآن العظيم كله متناسب

لا تنافر فيه ولا تباین .. ومنه قول النابغة

الرفق يُمنُّ والأناةُ سعادةٌ فاستأن في رفق تنالُ نجاحا

والياسُ عِمافاتُ يُعقبُ راحةً ولربَّ مطعمةٍ تعودُ ذِباحا

ويسمى التشابه أيضاً .. وقيل التشابه أن تكون الالفاظ غير متباينة ولكن متقاربة في الجزالة والمثانة والدقة والسلاسة وتكون المعاني مناسبة لالفاظها من غير أن يكسب اللفظ الشريف المعنى السخيف أو على الضد بل يصاغان معاً صياغة تتناسب وتلائم حتى لا يكون الكلام كما قيل

وبعض قريض القوم أولادُ علةٍ يُكلُّ لسان الناطق المتحفظ

(قال المصنف عفا الله عنه) المناسبة عند أرباب هذا الشأن على قسمين . معنوية . ولفظية . فالمعنوية أن يتبدى المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه في المعنى دون اللفظ . ومنه قوله تعالى « وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا » أخبر سبحانه في فاصلة الآية بأنه قوى عزيز ليدل على أن تلك الريح التي أصابت المشركين ليست اتفاقاً وليست هي من أنواع السحر بل هي من ارساله على أعدائه كعادته وسنته في أمثاله من نصره لعباده المؤمنين مرة بالقتال كيوم بدر ومرة بالريح كيوم الاحزاب ومرة بالرعب كبنى النضير وأن النصر من عند الله لا من عند غيره ولهذا لم ينصرهم حين خالفوا نبيهم يوم أحد وحين أعجبتهم كثرتهم يوم حنين وبعد ذلك كانت العاقبة لهم . وقد صرح سبحانه وتعالى في قوله « وما النصر إلا من عند الله » . وقوله تعالى « إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَنَاصِيَاتُ الَّذِينَ يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ » ولو اقتصر على الآية ولم يذكر فيها - والله قوى عزيز - لخفى هذا المعنى وغمض والتبس الامر فيه وأشكل .. وأما المناسبة اللفظية فهي أيضاً على قسمين . تامة . وغير تامة . فالتامة أن تكون الكلمات مع الابرار مقفاة . والاخرى ليست بمقفاة فالتقفية غير لازمة للمناسبة .. فمن المناسبة التي ليست بمقفاة قوله تعالى « قَ وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ لَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ » وما سوى هذه التامة كقوله سبحانه وتعالى « نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ

بسمه ربك بمجنون وإن لك لأجراً غير ممنون » . . ومن التامة في السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يرقى به الحسن والحسين عليهما السلام أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة فقال صلى الله عليه وسلم - لامة - ولم يقل مامة . وقوله صلى الله عليه وسلم - مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى بحسن المناسبة . ومثله قوله صلى الله عليه وسلم - ارجعن مأزورات غير مأجورات والمستعمل - موزورات - لانه من الوزر غير مهموز فلفظ به صلى الله عليه وسلم لكان المناسبة اللفظية التامة . وأما ماجاء من السنة الغير مقفاة فكقوله صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الى وأقربكم . في مجالس يوم القيامة أحسنكم أخبلاقا الموطؤون أكنافاً فناسب صلى الله عليه وسلم بين - أخلاق وأكناف - مناسبة أبراز دون تفقية . ومما جمع بين المناسبتين قوله صلى الله عليه وسلم في بعض أدعيته اللهم اني أسألك رحمة تهدي بها قاي . وتجمع بها أمري . وتلم بها شعني . وتصالح بها غائي . وترفع بها شاهدي . وتزكي بها عملي . وتلهمني بها رشدي . وترد بها النفي . وتعصني بها من كل سوء اللهم اني أسألك الفوز في القضاء . ومنزل الشهداء . وعيش السعداء . والنصر على الاعداء فناسب صلى الله عليه وسلم بين - قاي وأمرى - مناسبة غير تامة بالزنة دون التفقية ثم ناسب بين - الشهداء والسعداء - مناسبة تامة بالزنة والتفقية

❦ القسم الثاني ❦

(التكميل)

وهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من معاني المدح أو غيره من فنون النظم والنثر ثم يرى مدحه فيه اقتصاد وقصور عن الغرض وانه يحتاج الى تكميل بزيده بياناً وإيضاحاً فيكماله بمعنى آخر . فن ذلك قوله تعالى « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين » فانظر الى هذه البلاغة فانه سبحانه

(١٢ - فوائد)

وَتعالى علم وهو أعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين وإن كانت صفة مدح
إذ وصفهم بالرياضة لآخوانهم المؤمنين والانتقياد لأمهم كان المدح غير كامل فكمل
مدحهم بأن وصفهم بالعزة على الكافرين فأتى بوصفهم بالامتناع منهم والغلبة لهم
• وكذلك قوله تعالى « محمدٌ رَسولُ اللَّهِ. والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ »
• ومثاله من النظم قول كثير عزة

ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موفق لقضى لها

القسم الثالث

(التميم)

وهو أن تردف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس وتقربه إلى الفهم وتزيل عنه الوهم
وتقرره في النفس • فمن ذلك قوله تعالى « ولا طائر يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم »
• وقوله تعالى « ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة » ومثاله في
القرآن كثير • ومثله قول امرئ القيس

كان قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي
• • وقال آخر

كان قلوب الطير حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب
نعم المعنى بقوله - الحشف البالي • والجزع الذي لم يثقب -

القسم الرابع

(التقسيم)

وهو آلة الحصر ومظنة الاحاطة بالشيء • مثل قوله تعالى « والله خلق كل دابة من

ماء فمنهم من يشى على بطنه ومنهم من يشى على رجليه « الى قوله « ما يشاء »
ومنه قوله تعالى « له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً » . ومثله
في القرآن كثيرٌ وخصوصاً في سورة براءة . ومثله في كلام العرب قول زهير بن أبي سلمى
وأعلم ما في اليوم والامس قبله . ولكنني عن علم ما في غدٍ غمى
• • • وذكر ابن الأثير في جامعه أن أرباب علم البيان لم يريدوا بالتقسيم القسمة العقلية
كما يذهب اليه المتكلمون فان القسمة العقلية تقتضى أشياء مستحيلة كما قالوا الجواهر
لا يخلو إما أن تكون مجمعة أو مفترقة أولاً بمجموعة ولا مفترقة أو بمجموعة . ومفترقة معاً أو
بعضها مجتمع وبعضها مفترق ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل لاستيفاء
الاقسام جميعها وان كان من جعلها ما يستحيل وجوده فان الشيء لا يكون مجتمعاً مفترقاً
في حالة واحدة . وانما أرادوا بالتقسيم ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده وهو أن يأتي
المؤلف الى جميع أقسام الكلم المحتملة فيستوفيها غير تارك منها قسماً واحداً . فمن ذلك
قوله تعالى « ثم أوزننا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم
مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات باذن الله » فانه لا يخلو العالم جميعه من هذا التقسيم
إما عاصٍ ظالم لنفسه وإما مطيع مبادر الى الخيرات وإما مقتصد بينهما وهذا من أصح
التقسيمات وأكملها فاعرفه • • • ومن هذا المعنى قوله تعالى « وكنتم أزواجاً ثلاثة »
فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون
الآية . اعلم أن هذه الآية مماثلة في المعنى لما سبق ذكره . وأصحاب المشئمة - هم
الظالمون لأنفسهم - وأصحاب الميمنة - هم المقتصدون - والسابقون - هم السابقون
بالخيرات . وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى « هو الذي يرىكم البرق خوفاً وطمعاً »
ألا ترى الى براءة هذه القسمة فان الناس عند رؤية البرق بين خائف وطمع وليس لهم
ثالث . وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة المنتصين في صدرها يعجبون بقول بعض
العرب في هذا المعنى ويقولون ان ذلك من أصح التقسيمات وهو قوله - النعم ثلاث .
نعمة في حال كونها . ونعمة ترجى مستقبلة . ونعمة تأتي غير محتسبة . فأبقى الله عليك
ما أنت فيه . وحقق ظنك فيما ترجيه . وتفضل عليك بما لم تحتسبه - فقالوا انه ليس في

أقسام النعم التي يقع الانتفاع بها قسم رابع سوى ما ذكره الاعرابي وهذا القول فاسد وهو أن في أقسام النعم التي قسمها ههنا نقصاً لا بد منه وزيادة لاحاجة اليها أما النقص فافغاله ذكر النعمة الماضية وأما الزيادة فقوله بعد النعمة المستقبلية التي تأتي غير محتسبة وهذا خطأ فإن النعمة التي تأتي غير محتسبة هي داخلية في قسم المستقبلية وذلك أن النعمة المستقبلية تنقسم الى قسمين . أحدهما يرجي حصوله ويتوقع بلوغه . والآخر لا يحتسب ولا يشعر بوجوده . فقوله - ونعمة تأتي غير محتسبة - يوهم أن هذا القسم غير المستقبل وهو داخل في جماته ولو قال - ونعمة مستقبلية - من غير أن يقول - ونعمة تأتي غير محتسبة - لكان قوله كافياً إذ النعمة التي ترجى والنعمة التي لا تحتسب يدخلان تحت قسم المستقبل وكان ينبغي أن يقول - النعم ثلاث . نعمة ماضية . ونعمة حال كونها . ونعمة تأتي مستقبلية . فأحسن الله آثار النعمة الماضية وأبقى عليك النعمة التي أنت فيها ووفر حظك من النعمة التي تستقبلها - ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طبّق به مفصل الخطاب فافهم ما ذكرناه وقس عليه . . وقف اعرابي على مجلس الحسن فقال رحم الله من أعطى من سعة . أو آسى من كفاف . أو آثر من قلة فقال الحسن ماترك لأحد عذراً فانصرف الاعرابي بخير كثير . . ومن هذا الضرب ما ذكره أبو هلال العسكري في كتابه وذلك أنه أخذ على جميل قوله

لو أنّ في قاي كقذر قلامه حُباً وسلتك أو أتتك رسائي

فقال أبو هلال إن إتيان الرسائل داخل في جملة الوصل . وليس الأمر كما وقع له فإن جيلاً انما أراد بقوله - وصلتك - أي أتيتك زائراً أو قاصداً أو كنت راسلتك مراسلة والوصل لا يخرج عن هذين القسمين إما رسالة أو زيارة . . وقال ابن الأثير ومن أعجب ما شاهدته في هذا الباب ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي وهو قول العباس بن الاحنف

وصالكم هجره وهجركم قلا عطفكم صدّ وسألكم حرب

ثم روى المشار اليه عن أبي القاسم الأمدى أنه قال إن بعض نقدة الكلام من البغاء لما سمع هذا البيت قال والله هذا أحسن من تقسيمات اقليدس . ومن العجب كيف

ذكر الغامى ذلك فى كتابه وقاته النظر فيه مع تقدمه فى هذه الصناعة • وأعجب منهما
جميعاً استحسان ناقد الكلام لهذا التقسيم ألا ترى أن هذا البيت يبنى عليه شئ آخر
من جنسه فانه لو أضيف اليه بيت غيره فقليل

وَلَيْسُكُمْ عُنفٌ وَقَرُّكُمْ نُوىٌ وإعطاؤكم منعٌ وصيْدُكُمْ كَذِبٌ

لجاز ذلك ويحتمل أن يزداد على هذا البيت بيت آخر ثالث ورابع ولو كان التقسيم فى
البيت الاول صحيحاً لما احتمل أن يضاف اليه شئ آخر البتة لأن من صحة التقسيم أن
لا يحتمل الزيادة • • ومن نحو هذا قول بعضهم فى حق مكسورين فى الحرب فمن بين
جريح مضرّج بدمائه • وهارب لا يلتفت الى ورائه فان الجريح قد يكون هارباً والهارب
قد يكون جريحاً ولو قال - فمن بين قتيل ومأسور وناج - لصح له التقسيم لأن المكسورين
فى الحرب الذين دارت عليهم الدائرة لا يخرجون عن هذه الاقسام الثلاثة فاما قتيل أو
مأسور أو ناج وأما الجريح فانه يدخل فى جملة الناجى والمأسور لأن كلا منهما يجوز أن
يكون جريحاً وأن لا يكون فاعرف ذلك وقس عليه

• نثر القسم الخامس •

(المؤاخاة)

وهى على قسمين • الاول المؤاخاة فى المعانى • الثانى المؤاخاة فى الالفاظ ويكون
للكلام بها رونق لأن النفس يعرض لها عند الشعور شئ يُطلع الى مناسبة فلا يرد
إلا بعد تشوف ولا كذلك المبين فلذلك يتبع ذكر الشئ مع مبيانه فى المعنى المذكور
فيه • ولذلك قبح قول الكميّ

أَمْ هَلْ ظَمَأْنُ بِالْعَلْيَاءِ رَافِعَةٌ وقد تكاملَ منها الدُّلُّ والشَّنْبُ

فان - الدل والشنب - لا مناسبة بينهما • وكذلك يقبح الشئ مع مبيانه فى البناء • ولذلك
قبح قول أبى تمام

مُثَقَّفَاتٍ سَلَبْنَ الْعُرْبَ سُمَرَتَهَا وَالرُّومَ رِقَتَهَا وَالْعَاشِقَ الْقَصْفَا
 وكان ينبغي أن يقول - والعشاق قصفها - لكن منعه الوزن والقافية فلذلك لا يعاب هذا
 على الشاعر كما يعاب على النثر اذ المجال للنثر متسع . . . ومما استقبح قول أبي نواس
 أَلَا يَا ابْنَ الَّذِينَ فَنَوَا فَنَاتُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لَتَبَقَى
 وَمَا لَكَ فَاعْلَمَنْ فِيهَا مَقَامٌ إِذَا اسْتَكْمَلْتَ أَجَلاً وَرِزْقاً
 وكان ينبغي أن يقول - وأرزاقاً - واعلم أن استقبح تباین المباني دون استقبح تباین
 المعاني (قال المصنف عفا الله عنه) التباين في المباني ليس بمستقبح وقد ورد في القرآن
 العظيم منه كثير . ومن ذلك قوله تعالى « خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعُهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ »
 . وكذلك قوله تعالى « حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ » الآية

— القسم السادس —

(الاعتراض والحشو)

وهو أن يدخل في خلال الكلام كلمة تزيد اللفظ تمكناً وتفيد معنى آخر مع أن
 اللفظ يستقل بدونها ويانتم بغيرها مثل قوله عز وجل « لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ » . وقوله تعالى « وَلَا تَكْرِهُوا فِيهَا تَكُم عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَا تَحْصِنًا »
 أو لم يردن ولكن أفاد قوله - إِنْ أَرَدْنَا تَحْصِنًا - الإعلام بترغيب الشرع في التحصين
 وأنه مطلوبه . ومنه قوله تعالى « وَادْخُلْ يَدُكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ
 سُوءٍ » . وقوله تعالى « وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ » (قال المصنف
 عفا الله عنه) قال ابن الأثير في كتابه الموسوم بالجامع الكبير الاعتراض الصناعات عند
 أرباب علم البيان على قسمين . الأول لا يأتي في الكلام إلا لفائدة وهو جار مجرى
 التوكيد في كلام العرب . والقسم الآخر أن يأتي في الكلام لغير فائدة فلما أن يكون
 دخوله في التأليف كخروجه منه وإما أن يوتر في التأليف نقصاً وفي المعنى فساداً

فالأول وهو الذى يأتى فى الكلام لفائدة . فمنه قوله تعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم
وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون » هذا كلام فيه اعتراض
أحدهما قوله - وإنه لقسم لو تعلمون عظيم - لانه اعترض بين القسم الذى هو - فلا
أقسم بمواقع النجوم - وبين جوابه الذى هو - إنه لقرآن كريم - وفى نفس هذا
الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذى هو - قسم - وبين صفته التى هى - عظيم -
وهو قوله تعالى - لو تعلمون - فذلك اعتراض ولو جاء الكلام غير معترض فيه
لوجب أن يكون فلا أقسم بمواقع النجوم انه لقرآن كريم وفائدة هذا الاعتراض بين
القسم وجوابه انما هو تعظيم الشأن المقسم به فى نفس السامع : ألا ترى الى قوله تعالى
- لو تعلمون عظيم - كيف هذا الاعتراض بين الصفة والموصوف وذلك أوقع فى
النفس لتعظيم المقسم به أى انه من عظيم الشأن ونخامة الأمر بحيث لو علم ذلك لوفى
حقه من التعظيم . . ومن ذلك قوله تعالى « ووَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا حَمَانُهُ
أُمُّهُ » الى « ولوالديك » الآية . ألا ترى الى هذا الاعتراض الذى طبق مفصل
البلاغة فانه لم يؤت به إلا لفائدة كبيرة وذلك أنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده
الأم من المشاق والمتاعب فى حمل الولد مما لا يتكافئه الوالد . ومن ثم قال النبي صلى الله
عليه وسلم للذى سأله فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم
من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك . وفى رواية أمك ثم أمك ثم
أباك ثم أدناك فإدناك . . ومما جاء على هذا الأسلوب قوله تعالى « واذ قتلتم نفساً
فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون » الى قوله « تعقلون » فقوله تعالى
- والله مخرج ما كنتم تكتمون - اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وفائدته أن
يقرر فى أنفس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدارؤبني اسرائيل فى قتل تلك النفس
لم يكن نافعاً لهم فى اخفائه وكتمانه لان الله تعالى مظهر لذلك ومخرجه ولو جاء الكلام
خالياً من هذا الاعتراض لكان - واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها - فقلنا اضربوه ببعضها -
ولا يخفى على العارف بهذه الصناعة الفرق بين ذلك وبين كونه معترضاً فيه . . ومن
هذا الجنس قول النابغة

لعمري وما عمري على بهينٍ لقد نطقْتُ بطلاً على الاقارع
فقوله - وما عمري على بهين - من محموده ونادره لما فيه من تفخيم المقسم به . . وعلى
نحو من هذا جاء قول كثير

لو أن الباخلين وأنت منهم رأوك تعلموا منك المطالا
فقوله - وأنت منهم - من الاعتراض الذي يؤكده المعنى المقصود ويزداد به مزية
ونبلا وفائدته هنا أن التصريح بما هو المراد يثبت في النفس ويقرره في الاذهان . .
وقال بعضهم لعبد الله بن طاهر وهو أحسن ما قيل في هذا الباب

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي الى ترجان
وأمثاله كثيرة . . وأما الثاني وهو الذي يأتي في الكلام لغير فائدة فهو ضربان .
الاول أن يكون دخوله في التأليف كخروجه منه لا يؤثر حسناً ولا قبحاً . . فمن ذلك
قول النابغة

يقول رجالٌ مجهلون خَلِيتِي لعلَّ زياداً لا أبالك غافلُ
فقوله - لا أبالك - اعتراض لا فائدة فيه وليس مؤثراً في هذا البيت حسناً ولا قبحاً
(الضرب الثاني منه) وهو الذي يكون مؤثراً في الكلام نقصاً وفي المعنى فساداً .
ومنه قول بعضهم

فقد وأبيكَ يئن لي عشاءٌ بوشكٍ فراقهم صرَدُ يصيحُ
فان في هذا البيت من ردئ الاعتراض ما اذكره وهو الفصل بين - قد - والفعل
الذي هو - يئن - وذلك قبيح لقوة اتصال - قد - بما تدخل عليه من الافعال ألا
تراها تعد مع الفعل كالجزم منه ولذلك دخلت اللام المراد بها توكيد الفعل على - قد -
في قوله تعالى « ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك » . وفي قوله تعالى « ولقد
علموا لمن اشتراء » . . وقول الشاعر وهو الفراء السلمي

ولقد أجمعُ رجليُّ بها حذرَ الموتِ وانى لغرورُ
إلا أنه اذا فصل بين - قد - والفعل بالقسم فان ذلك لا بأس به نحو قولك - قد والله

كان ذلك • وقد^(١) فجاء هذا البيت لا خفاء بقبحه •• ومن بديع الاعتراض قول المتنبي

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى أن ما فيها وحاشاك فانيا
وهذا البيت حشوه يصلح أن يكون من باب الحشو ويصلح أن يكون من باب الاحتراس
(قال المصنف عفا الله عنه) ذكر أسامة في بديعه أن الحشو غير المفيد أن تأتى في الكلام بالفاظ زائدة ليس فيها فائدة مثل قول النابغة
توهمت آيات لها فعرفتها لست أعوام وذا العام سابع
•• وقال آخر

نأت سلمى فعاودنى صداع الرأس والوصب
فقوله - الرأس - حشو لا فائدة فيه لأن الصداع لا يكون الا في الرأس •• وفي الحماسة
أنى فتى لم تذر الشمس طالعة يوما من الدهر إلا ضرر أو نفعاً
فقوله - طالعة - حشو لا فائدة فيه لأن قولهم ذرّت الشمس أى طلعت (قال المصنف عفا الله عنه) وهذه الكلمات التى ذكرها ليست بزائدة بل لها معان •• فقوله - لست أعوام وذا العام سابع - فليس بزائد وقد ورد مثله فى القرآن وهو قوله تعالى « ثلاثة أيام فى الحجّ وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة » وإنما قال ذلك الذى تقدم بيانه فى باب التميم وهو رفع اللبس وتقرير المعنى فى النفس •• وأما قوله - صداع الرأس - فهو من الاصابة والشق ومثل ذلك يهيا فى سائر الاعضاء •• وأما قوله - تذر الشمس طالعة - فهما وان كانا بمعنى واحد فالعرب من عاداتها أن تكرر لفظين بمعنى واحد للتأكيد •• كقول الشاعر

* وهند أتى من دونها النأى والبعد *

•• ومنه قوله تعالى « فهمل الكافرين أمهلهم رويداً » •• والذى اقتضاه قول أسامة وغيره من العلماء أن الحشو على قسمين • قبيح وحسن • فالقبيح ما أشار اليه أسامة • والحسن ما أشار اليه غيره والله أعلم

(١) بياض بالاصل

❦ القسم السابع ❦

(الالتفات)

وهو نقل الكلام من حالة الى حالة أخرى وأرباب هذا الشأن فيه على ثلاثة مذاهب ذهب قوم أنه على ثلاثة أقسام • الأول الانتقال من الغيبة الى الحضور ومن الحضور الى الغيبة كقوله تعالى « مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينِ » وعكسه « الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ » ولم يقل غير الذين غضبت عليهم • وكذلك قوله تعالى « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » • وقوله تعالى « وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا » • وقوله تعالى « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا » ومثله في القرآن كثير ولا يخلو شئ من ذلك من حكم جزئية تليق بذلك الكلام الخاص كما في هذا الموضع وأن القول اذا اشتدل على سوء أدب على عظيم كان الأولى التعبير عنه بلفظ الغائب إذ الاقدام على ذلك قدّام الحاضر أخش وأكثر جرأة والجناب العظيم ينبغي أن يخشى من ذلك • تبين ذلك قوله تعالى - وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا لقد جئتم شيئًا إدًّا - ثم لما أن أراد توبيخهم على هذا القول عبّر عنه بالحضور لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الاهانة • الثاني الالتفات من الماضي الى المضارع كقوله تعالى « قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ » • وكذلك قوله تعالى « أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ » • الثالث الالتفات من الماضي الى المستقبل وبالعكس كقوله تعالى « فَكُنَّا خَرًّا مِنَ السَّمَاءِ فَنَخْطَفُهِ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ » • وقوله تعالى « وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأُحْيَيْنَاهُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ » • وقوله تعالى « وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ » •

وقوله تعالى « وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا لَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا » . وقوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ » . وقوله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » ولا يخلو هذا عن حكمة كما في هذه الآية فإن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستقر حكمه عبّر عنه بالماضي ليفيد ذلك مع كونه باقياً أنه قد مضى عليه زمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله فإن حكمه انما يثبت حال حصوله نعى بذلك فهو في كل وقت كافر ما لم يأت بالايان ولا كذلك الصد عن سبيل الله ومع ذلك فإن الفعل المستقبل فيه إشعار بالكثير فيكون قوله - ويصدون عن سبيل الله - مشعراً بأنهم في كل وقت كذلك . ولا كذلك لو قال وصدوا لأن ذلك يكون مشعراً بأن صددهم قد انقطع . . . وذهب قوم الى أن الالتفات اذا انقطع الكلام يعقبه بجملة ملاقية اياه في المعنى ليكون تكميلاً له على جهة المثل والدعاء أو غيرهما كقوله تعالى « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » ومن هذا النوع قول جرير

* مجازيعُ عند البأسِ والحرُّ يصبرُ *

.. وذهب قوم الى أن الالتفات هو أن تذكر معنى فتتوهم أن السامع اعترضه شك في ذلك أو في سببه أو عاتيه فتذكر ما يزيل شكه كقول الاخطل

تبيينُ صلواتُ الحربِ منّا ومنهمُ اذا ما التقينا والمسلم ياذنُ

فتبين بقوله - والمسلم ياذن - كيفية ظهور المحارب منه والصحيح القول الاول وما ذكره بعده يجوز أن يكون من أنواع الالتفات .. ومن بديعه قوله تعالى « يَوْسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ » خاطب يوسف بأعرض عن هذا والتفت الى زليخا . ومنه أيضاً قوله عز وجل « حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ » .. ومن بديع ما جاء منه في النظم قول امرئ القيس

تطاولَ ليلُكُ بالأنمِدِ ونامَ الخلى ولم ترقُدِ
وباتَ وباتتْ له ليلةٌ كليلةِ ذى العائرِ الأرمدِ
وذلك عن خبرٍ جاءني وخبرته عن أبي الأسودِ

(قال المصنف عفا الله عنه) ذكر ابن الاثير في جامعه أن الالتفات على ثمانية أقسام .. الاول الرجوع من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » الى قوله « إياك نعبدُ وإياك نستعين » وإنما فعل ذلك لفوائد وهي انه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام من الربوبية العامة والملك الخاص فعلم المُعَلِّمُ بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالخضوع له والاستعانة به في المهمات فخطب ذلك المعلوم الموصوف بتلك الصفات فقل - إياك نعبد وإياك نستعين - يامن هذه صفاته . والفائدة الأخرى أن قوله - إياك نعبد وإياك نستعين - ليس العدول فيه اتساعاً وإنما عدل اليه لأن الحمد دون العبادة فانك تحمد نظيرك ولا تعبده فلما كان الحال كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال - الحمد لله - ولم يقل لك ولما صار الى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال - إياك نعبد - تصريحاً بها وتقرباً منه عز اسمه بالانتهاء الى محدوده منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال - صراط الذين أنعمت عليهم - فصرح بالخطاب لما ذكر النعمة ثم قال - غير المغضوب عليهم - ولم يقل غير الذين غضبت عليهم لأن الاول موضع التقرب الى الله بذكر النعمة فلما صار الى ذكر الغضب قال - غير المغضوب عليهم - فجاء باللفظ منحرفاً به عن ذكر الغضب فأسند النعمة اليه لفظاً وزوى عنه لفظ الغضب تحنناً ولطفاً .. ومن هذا الجنس قوله تعالى « الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً » وشبهه .. الثاني الرجوع من الخطاب الى الغيبة كقوله عز وجل « هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم برح طيبة وفرحوا بها » الآية صرف الكلام ههنا من خطاب المواجهة الى الغيبة وإنما فعل ذلك وهو أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالخبر لهم ويستدعي منهم الانكار عليهم والتوبيخ لفعالهم ولو قال - حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بكم - وساق الخطاب الى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة .. ومن ذلك قوله تعالى « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم » الاصل أن يعطف على الفعل الاول الا أنه صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينمى عليهم ما أفسدوه الى قوم آخرين ويقبّح عليهم ما فعلوه ويقول ألا ترون الى عظيم

ما ارتكب هؤلاء في دين الله فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً وذلك مثل اختلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو مجازيهم على ما فعلوه . . . ومما ينخرط في هذا السلك أيضاً قوله تعالى « يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً الذي له مُلكُ السموات والأرض » الى « وكلماته » الآية . فانه انما قال « فآمنوا بالله ربى » حيث قال أولاً - إني رسول الله اليكم - لكي تجرى عليه الصفات التي أُجريت عليه وليعلم أن الذي وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص المستقبل بأنه النبي الأُمى الذي يؤمن بالله وكلماته كلئلاً من كان أنا أو غيرى اضطراراً للنصفة وبعداً للتعصب لنفسه فقرر أولاً في صدر الآية بأنه رسول الله الى الناس وأثبت ذلك في أنفسهم ثم أخرج كلامه من الخطاب الى الغيبة لغرضين كبيرين قد ذكرتهما . الاول اجراء تلك الصفات عليه . الثانى الخروج من تهمة العصية لنفسه فافهم ذلك . . الثالث الرجوع من الفعل المستقبل الى فعل الامر فعل ذلك تعظيماً لمن أجرى عليه الفعل المستقبل وتفخيماً لأمره وبالضد من ذلك في حق من أجرى عليه فعل الأمر . فما جاء من ذلك قوله تعالى « قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين » الى قوله « ما تشركون » الآية . فانه انما قال - أشهد الله واشهدوا - ولم يقل - وأشهدكم ليكون موازياً له وبمعناه لان إشهداد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت فى معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما اشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم ولذلك عدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجرى به على لفظ الامر كما تقول للرجل تهكماً به واستهانة - اشهد على أنى أحبك - وأمثال هذا كثير فاعرفه . . الرابع الرجوع من خطاب التنبيه الى خطاب الجمع ومن خطاب الجمع الى خطاب الواحد . فمن ذلك قوله تعالى « وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكما قبله وأقيموا الصلاة وبشرا المؤمنين » ^(١) فانه توسع فى هذا الخطاب فثنى ثم جمع ثم وحد فخطب موسى وهارون فى ذلك عليهما السلام بالتبوء والاختيار فى ذلك مما يفوتض الى ثم ساق

(١) بهامش الاصل ما نصه . . لعله خطاب لهما ولهم كتبته أبو الرقا

الخطاب لهما ولقومهما باتخاذ المساجد وإقامة الصلاة لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلى الله عليه وسلم بالبشارة التي هي الغرض تعظيماً له وتفخياً لامره لانه الرسول على الحقيقة . . ومن هذا النحو قوله تعالى حكاية عن حبيب النجار « وما لي لا أعبدُ الذي فطرني واليه ترجعون » هذا عدول عن خطاب الواحد الى خطاب الجماعة واتمام الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم لانه أفرد الكلام لهم في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم لتلطفه بهم ومداراتهم فان ذلك أدخل في إمحاض النصيح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه وقد وضع قوله - وما لي لا أعبد الذي فطرني - موضع قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم ألا ترى الى قوله « واليه ترجعون » ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال « إني آمنتُ بربكم فاسمعون » يريد فاسمعوا قولي وأطيعون فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه لان العبادة لا تصح الا لمن منه مبدؤكم واليه ترجعون . . الخامس الاخبار عن الفعل الماضي بالمضارع وهو قسم من الالتفات لطيف المأخذ دقيق المغزى (اعلم) ان الفعل المضارع اذا أتى به في حالة الاخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضي وذلك لان الفعل المضارع يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يسمعها ويشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي . فها جاء منه قوله تعالى « والله الذي أرسل الرياح فتثيرُ سحباً فسقناه الى بلادٍ ميث فاحيينا به الارضَ بعد موتها كذلك النشور » فانه انما قيل - تثير - مضارعاً وما قبله وما بعده ماضٍ لذلك المعنى الذي أشرنا اليه وهو حكاية الحال الذي يقع فيها إثارة الريح للسحاب واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعلون بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهتم المخاطب أو غير ذلك . . ومنه قول تأبطشراً

أقيتُ الغولَ تهوى نحو وجهى بقذِرُ كالصحيفة صحصحان

فأضرِبُها بلا دهشٍ فخرتُ صريعاً لليدين وللجران

لانه قصد أن يصور صورة الحال التي تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يُبصرهم ويطاعهم على كنهها مشاهدة لتعجب من جراته على ذلك الغول وثباته عند تلك الشدة ولوقال

فضربتها لزال تلك الفائدة التي ذكرناها ونبهنها عليها . . ومن ذلك قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرةً إن الله لطيفٌ خبير » ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي هاهنا الى المضارع فقال - فتصبح الأرض مخضرة - وذلك لافادة بقاء المطر زماناً بعد زمان كما قال - أنعم على فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرآ - ولو قال فرحتُ وغدوت شاكرآ له لم يقع ذلك الموقع فافهم ما أشرنا اليه . . السادس الاخبار بالفعل الماضي عن المضارع وهو عكس ما تقدم ذكره وفائدته أن الفعل الماضي اذا أخبر به عن الفعل المضارع الذي لم يوجد كان أبلغ وآكد وأعظم موقعاً وأخف شأنًا لان الفعل الماضي يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد وحدث وصار من الامور المقطوع بكونها وحدوثها . والفرق بينه وبين الاخبار بالفعل المضارع عن الماضي هو أن الفعل الماضي يخبر به عن المضارع اذا كان الفعل المضارع من الاشياء الهائلة التي لم توجد والامور المتعاطفة التي تحدث فيجمل عند ذلك مما قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه . وأما الفعل المضارع اذا أخبر به عن الفعل الماضي فان الغرض بذلك شيان هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يعاينها ويشاهدها . . فنرى الاخبار بالفعل الماضي عن المضارع قوله تعالى « ويوم يُنفخُ في الصُّورِ فنفزع مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ آخِرِينَ » فانه انما قال - فنفزع - بلفظ الماضي بعد قوله - ينفخ - وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به . . ومنه قوله تعالى « وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً » فبرزوا بمعنى يبرزون يوم القيامة وانما جرى به بلفظ الماضي لان ما أخبر الله به لصدقه وصحته كأنه قد كان ووجد . ومثل ذلك قوله عز وجل « أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ » فان - أتى - هاهنا بمعنى يأتي وانما حسن فيه لفظ الماضي لصدق اثبات الامر ودخوله في جملة ما لا بد من حدوثه ووقوعه فصار يأتي بمنزلة قد أتى ومضى . . وكذلك قوله تعالى « وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا » فانه انما قال - وحشرناهم - ماضياً بعد - نسير - وترى - وهما مستقبلا لاندلالة على أن حشرهم

قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الالهوال كأنه قال وحشرناهم قبل ذلك . . السابع
 الاخبار باسم المفعول عن الفعل المضارع وانما فعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضى وقد
 سبق الكلام عليه . . فمن ذلك قوله تعالى « إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب
 الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود » فانه انما آثر اسم المفعول هاهنا
 على الفعل المضارع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع وأنه لا بد من أن يكون ميعاد
 مضروباً لجمع الناس وأنه الموصوف بهذه الصفة وان شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى
 « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » فانك تعثر على صحة ما قلت . . الثامن
 عكس الظاهر وهو أن العرب قد توسعوا في كلامهم وتجاوزوا الى غاية فيذكرون كلاماً
 يدل ظاهره على معنى وهم يريدون به معنى آخر عكسه وخلافه والاصل في ذلك أنك
 تذكر كلاماً يعطى معناه أنه نفي لصفة شئ قد كان وهو نفي الموصوف أنه ما كان أصلاً
 . فمن ذلك قول على رضي الله عنه في وصفه مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أنه لا تنى فلتاته أى لا تذاع فظاها ذلك أن ثم فلتات غير أنها لا تذاع وليس المراد
 ذلك بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات أصلاً فتذاع وهذا مثل قول الشاعر

* لا ترى الضب بها ينبجحر *

أى ليس بها ضب فينبجحر

القسم الثامن

(الحمل على المعنى)

وذلك كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد للجماعة والجماعة للواحد
 وحمل الثانى على لفظ الاول أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً أو غير ذلك . وقد ورد
 في القرآن العظيم وفصيح الكلام منشوراً ومنظوماً من ذلك كثير . . فأما تأنيث

المذكر فكقوله تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة »
والمراد به آدم عليه السلام وأنت رددًا الى النفس وقرئ في الشواذ من نفس واحد
.. ومنه قوله تعالى « واذا قالت الملائكة » والقائل جبريل عليه السلام وله نظائر
كثيرة في القرآن .. ومنه قول الشاعر
أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خيفة ذاك السكاه
.. وقال آخر

* طول الليالي أسرعت في نقضي *

.. وقال آخر

أتهجر بيتاً بالحجاز تلفعت به الخوف والأعداء من كل جانب
.. وقال آخر

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت
فانه ذهب بالصوت الى الاستغاثة وذهب الآخر بالخوف الى المخافة .. وأما تذكر
المؤنث فقد كثر عن العرب تأنيث فعل المضاف المذكر اذا كانت اضافته الى مؤنث
فكان المضاف بعض المضاف اليه أو به أو منه ولذلك قرئ قوله تعالى « لا تنفع نفساً
إيمانها » بالتأنيث فأنث فعل الايمان اذ كان من النفس وبها . وأمثال هذا كثير في
القرآن .. ومنه قول الشاعر

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

.. وقول الآخر

* كما شرقت صدر القنار من الدم *

القسم التاسع

(الزيادة في البناء)

وهو أن يقصد المتكلم معنى يعبر عنه لفظتان إحداهما أزيد بناء من الأخرى فيذكر الكلمة التي تزيد حروفها عن الأخرى قصداً منه إلى الزيادة في ذلك المعنى الذي عبر عنه ولهذا ان اعشوشب واخشوشن في المعنى أكثر وأبلغ من خشن وأعشب ولهذا وقعت الزيادة بالتشديد أيضاً فإن ستار أباع من سائر وغفار أباع من غافروا هذا قال سبحانه وتعالى « استغفروا ربكم إنه كان غفاراً » . ومنه قوله تعالى « وكان الله على كل شيء مقتدرًا » عدل عن قادر إلى مقتدر ليشعر بالزيادة على زيادة قدرة الله تعالى والبيان عن عظم شأنه . . ومن هذا المعنى قول أبي نواس

فغفوت عن عفوة مقتدر أحت له نعم فأنعاه

والعرب عادت أن تزيد في بناء الاسم ليشعر بزيادة المعنى الدال عليه . . قال الزمخشري رحمه الله رأيت أعرباً يالحجز يسوق جملاً عليه شقذ فقأت ما اسم هذا فقال شقذف ثم من غابنا جل عليه كجاوة فقأت ما اسم هذا فقال شقذاف فزاد فيه لكون الكجاوة أكبر وأعلى في الندر والقيمة . وقد رجح بعض أهل المعاني « الرحمن على الرحيم » لما فيه من زيادة البناء وهو الألف . ومثل هذا في كلام العرب كثير ليس هذا

القسم العاشر

(الاطالة والاسهاب . ويسمى الاطناب . والكلام عليهما من وجوه)

الاول في ذكر الغرض الذي أتى بهما من أجله . الثاني في حقيقةهما وبجازهما .

الثالث في اختلاف علماء البيان فيهما • الرابع • فيما يستحسن فيهما وما يستقبح •
الخامس في أقسامهما • السادس في الفرق بينهما (أما الأول) فإن العرب جرت سنتهم
على ذلك في خطبهم ومخاطباتهم ومفاخراتهم ومقاولاتهم يقصدون بذلك اظهار قدرتهم
على الكلام وتوسعهم في النثر والنظام فيوجزون تارة ويطيلون أخرى هذا في الحقيقة
وأما في المجاز فمرادهم الدلالة على قوة مشاهدة المعنى المجازي • • وقال ابن الاثير أنى
بالاطالة والاطناب للمبالغة والمبالغة تنقسم الى أقسام كثيرة وقد سبق ذكر شئ منها
كالاخبار بالفعل الماضى عن المضارع وبالمضارع عن الماضى ومن جملة أقسام المبالغة
الاطناب وفائدته زيادة التصور للمعنى المقصود إما حقيقة أو مجازاً وهو على الحقيقة
ضرب من ضروب التأكيد (وأما الثانى) فحقيقة الاطالة الامتداد والاسترسال وأصله
في الاجرام • وأما الاطناب فحقيقته لغة الزيادة والمبالغة وأما حقيقته الصناعية فهو
زيادة في اللفظ لتقوية المعنى • • فأما ما جاء من ذلك على سبيل الحقيقة فقوله تعالى
« ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » فإن الفائدة في قوله - في جوفه -
كالفائدة في قوله - القلوب التى فى الصدور - وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصور
المدلول عليه لانه اذا سمع صور لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين وكان ذلك أسرع الى
الانكار • • وأما الذى جاء منه على سبيل المجاز فنه • قوله تعالى « فانها لاتعنى الأبصار »
ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » ففائدة ذكر - الصدور - هاهنا أنه قد يعرف أن
العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو مصاب الحدة بما يطمس نورها واستعماله فى القلب
استعارة ومثل فلما أريد اثبات ما هو بخلاف المتعارف من نسبة العمى الى القلوب حقيقة
ونفيه عن الأبصار احتاج هذا الأمر الى زيادة تصوير وتعريف ليتقرر إن مكان العمى
انما هو القلوب لا الأبصار • وهذا نوع من أنواع البيان عظيم اللطائف كثير المحاسن
(وأما الثالث) فقد اختلف علماء البيان فيهما فقال المحققون انهما متغايران • • وقال
أبو هلال العسكري الاطالة والاطناب سواء وهما عنده ضد الايجاز ووافقه جمهور الائمة •
وقال أبو هلال أيضاً فى كتابه الاطناب فى الكلام انما هو بيان والبيان لا يكون إلا بالاتساع
وأفضل الكلام أبينه والايجاز للخواص والاطناب يشترك فيه الخواص والعوام ولهذا

أُظنَّب في السَّنْب السُّلْطَانِيَّة لِأَفْهَام الرِّعَايَا • وَكَمَا أَنَّ الْإِيْجَازَ لَهُ مَوَاضِعُ فَكَذَلِكَ الْإِطْنَابُ لَهُ مَوَاضِعُ وَالْحَاجَةُ إِلَى الْإِيْجَازِ فِي مَوْضِعِهِ كَالْحَاجَةُ إِلَى الْإِطْنَابِ فِي مَوْضِعِهِ • قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَاطَبُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ - وَمَنْ اسْتَعْمَلَ الْإِيْجَازَ فِي مَوْضِعِ الْإِطْنَابِ وَالْإِطْنَابَ فِي مَوْضِعِ الْإِيْجَازِ فَقَدْ أَخْطَأَ فَلاَ شَكَّ أَنَّ الْكُتُبَ الصَّادِرَةَ عَنِ السُّلْطَانِ فِي الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ فِي الْفَتْوحِ وَتَفْخِيمِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ الْمُتَجَدِّدَةِ أَوْ فِي التَّرْغِيبِ فِي الطَّاعَةِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْعِصْيَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مُشْبَعَةً مُسْتَقْصَاةً • وَأَمَّا كِتَابُ الْمَهَلَبِ إِلَى الْحِجَابِ فِي فَتْحِ الْأَزَارِقَةِ وَهُوَ - الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَى الْإِسْلَامَ فَقْدَ مَا سِوَاهُ وَجَعَلَ الْحَمْدَ مُتَّصِلًا بِنِعْمِهِ وَقَضَى أَنْ لَا يَقْطَعَ الْمَزِيدُ مِنْ فَضْلِهِ حَتَّى يَنْقُطَ الشُّكْرُ مِنْ خَلْقِهِ ثُمَّ أَنَا وَعِدْوَتَانَا عَلَى حَالَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ نَرَى فِيهِمْ مَا يَسْرُنَا أَكْثَرَ مِمَّا يَسُوؤُنَا وَيُرُونَا فِيمَا مَا يَسُوؤُهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْرُهُمْ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبًا وَدَائِبُهُمْ يَنْصُرُنَا اللَّهُ وَيُجْذِلُهُمْ وَيُعْجِضُنَا وَيُعْجِظُهُمْ حَتَّى بَلَغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ فَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - فَاتَّمَمَ حَسَنَ هَذَا الْكِتَابِ لِكُونِهِ فِي مَوْضِعِهِ • وَأَمَّا لَوْ كُتِبَ إِلَى الْعَامَّةِ وَقَدْ تَطَلَّعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ الْفَتْحِ الْعَظِيمِ وَتَصَرَّفَتْ بِهِمْ ظَنُونُهُمْ فِي أَمْرِهِ لَجَاءَ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ عِنْدَهُمْ وَأَهْجَنُهَا • وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِطْنَابَ بِإِلَاقَةٍ وَالتَّطْوِيلَ عِيٌّ فَإِنَّ الْإِطْنَابَ بِمَنْزِلَةِ سُلُوكِ طَرِيقٍ بَعِيدَةٍ تَحْتَوِي عَلَى زِيَادَةٍ فَائِدَةٍ بِمَا تَأْخُذُ النَّفْسُ مِنْهُ مِنَ اللَّذَّةِ وَالتَّطْوِيلَ بِمَنْزِلَةِ شَكْوِكَ مَا يَبْعُدُ جَهْلًا بِمَا يَفُوتُ فَهَذَا حِكَايَةُ كَلَامِ أَبِي هَلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ • • وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي جَامِعِهِ عَلَى قَوْلِ أَبِي هَلَالٍ مَا أَخَذَ فَقَالَ أَمَّا قَوْلُ أَبِي هَلَالٍ الْإِطْنَابَ فِي الْكَلَامِ إِنَّمَا هُوَ بَيَانٌ فَإِنَّ الْبَيَانَ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ هُوَ الظُّهُورُ وَالْوُضُوحُ فَيَكُونُ الْإِطْنَابُ عَلَى قَوْلِهِ ظُهُورًا فِي الْكَلَامِ وَوُضُوحًا لَا غَيْرَ وَيُلْزَمُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ ظَاهِرٍ وَاضِحٍ إِطْنَابًا سِوَاكَ كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ إِيْجَازًا أَوْ غَيْرَهُ مِنْ أَصْنَافِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَهَذَا مِمَّا لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ أَحَدٌ لِأَنَّ أَبَا هَلَالٍ قَدْ جَعَلَ الْإِطْنَابَ وَصْفًا مِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا جَمِيعُ ضُرُوبِ الْكَلَامِ وَذَلِكَ أَنَّ الْبَيَانَ وَصَفَ يَمُوكُلُ كَلَامٍ ظَاهِرٍ وَاضِحٍ مِنْ إِيْجَازٍ أَوْ تَطْوِيلٍ أَوْ تَكْرِيرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا وَقَعَ لَهُ بَلْ الْإِطْنَابُ نَوْعٌ وَاحِدٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ فَإِنَّ أَصْلَهُ فِي وَضْعِ اللُّغَةِ مِنْ أَظْنَبَ فِي الْكَلَامِ إِذَا بَلَغَ فِيهِ كَمَا تَقْدِمُ (الرَّابِعُ) فَمَا يَسْتَحْسِنُ

فيهما وما يستقبح . أما الذى يستقبح منهما فهو أن يُطنب فيما لا ينبغى فيه الاطناب ويطوّل فيما ينبغى فيه الايجاز أو يطوّل فيما ليس فى اطالته فائدة ولا فيه زيادة معنى كما روى أن رجلاً استدعى لأداء شهادة على نكاح فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأشهد أنى كنت فى يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا فى الدار الفلانية (ووصفها) من الحارة الفلانية (ووصفها) وسمى الساكنين بها من البلد الفلانى وقت كذا من النهار وقد طرق الباب غلام وذكر جنسه وأوصافه وحكاية تطول جداً . . . وهذا النوع من الاطالة ليس فى القرآن العظيم منه شئ . . . وأما الذى يستحسن منهما فهو اطالة الكلام وترديده لتقوية المعنى فى النفس وتعظيمه والبيان قوة الملائكة فى التابع بالكلام أو لكون المخاطب لا يصل الكلام الموجز الى فهمه فهو محتاج الى بسط الكلام واتساعه حتى يفهم (الخامس) فى أقسامهما . أما أقسام الاسهاب والاطناب فقد اختلف فيه علماء علم البيان فقالوا لا يخلو إما أن يكون فى جملة واحدة أو فى حل . . . فأما الذى فى جملة واحدة فعلى قسمين . حقيقة ومجاز . أما الحقيقة فقد يكون معنى اللفظ الزائد هو معنى المذكور ويكون مغايراً له . أما الأول فكقوله تعالى « فاذا نُفِخَ فى الصورِ نفخةً واحدةً ومُحَمَّتِ الارضُ والجبالُ فدُكَّتَا دَكَّةً واحدةً » . وكقوله تعالى « أفرأيتُم اللاتَ والعزى ومناةَ الثمائمَةَ الأخرى » . وكقوله تعالى « تلكَ عشرةٌ كاملةٌ » . وأما الثانى فكقوله تعالى « ما جعلَ اللهُ لِرَجُلٍ منَ قلوبينِ فى جوفِهِ » . وكقوله تعالى « إذْ تَأْتُونَهُ بالسُّنَّتِكم وتقولون بأفواهكم » . وكقوله تعالى « نَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ من فَوْقِهِم » . . . وأما المجاز فكقوله تعالى « فانها لا تعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوبُ التى فى الصدور » واستعمال هذا مجازاً أحسن . . . وأما الذى فى الجمل فأقسامه أربعة . الاول أن تذكر أشياء كل واحد منها يخص بما لولاه لكان المفهوم من الكل واحداً كقول أبى تمام

من منة مشهورة وصنعة بكر وإحسان أغر محجل

ولو قال - من منة وصنعة وإحسان - كان المعنى واحداً . وكذلك قوله

وَلِيَّ سَجِيَّاتٍ تُضَيِّفُ ضَيْوَهُ ۖ وَيُرْسِي مَرْجِيَّهٖ وَيُسَالُ سَائِلَهُ

وقل هذه دلالة على زيادة كرمه .. والثاني الاثبات والنفي وهو أن يذكر الشيء اثباتاً ونفياً مع زيادة لولاها لكان ذلك تكراراً وتناقضاً كقوله تعالى « ولكن أكثر الناس لا يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » . وكذلك قوله تعالى « لا يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليمٌ بالمتقين » مع قوله « إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وأرتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون » .. الثالث أن تذكر الشيء ثم تضرب له أمثالا تستهي كقول البحزى يصف امرأة

ذاتُ حُسنٍ لو استزادت من الحسنِ إليه لما أصابت مزيدا

فهي كالشمس بهجةً والقضيب الأسدن قدأ والرَّيم طرفاً وجيدا

.. وكذلك قوله

ترددَ في حُلَّتِي سُودَدٍ سَمَاحاً مُرَجَّاً وَبَاساً مَهِيَا

وكالسيفِ إن جثته صارِخاً وكالبحرِ إن جثته مُسْتَبِيَا

.. الرابع الاستقصاء في ذكر أوصاف الشيء للمدح أو الذم ونحوها كقول بعضهم

لأَعْلَى الْوَرَى قَدْرًا وَأَوْفَرِهِمْ حَجِي ۖ وَأَرْشَدِهِمْ رَأْيَا وَأَسْمَحِهِمْ يَدَا

.. وأما الاطالة فهي على قسمين . حسنة . وقييحة . كما تقدم .. فأما الحسنة فهي

على قسمين . الاول منها ما يكون بسطاً للكلام واتساعاً فيه كما ورد في القرآن العظيم

مثل قصة يوسف عليه الصلاة والسلام بطولها وقصة أصحاب الكهف بذكر فروعها

وأصولها وقصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام وكثرت فوائد محصولها وقصة

ذی القرنين بطول مقولها وقصة موسى مع فرعون وكثرة فصولها . الثاني أن لا تكون

الاطالة بسبب تكرار اللفظ وهانحن نذكر أقسامه ونبيّن ان شاء الله تعالى (السادس)

في الفرق بينهما . والفرق بينهما أن الاطناب على سائر أحواله بلاغة والتطويل بعضه

عنى وركاكة .. وقال ابن الاثير الاطناب للخواص والاطالة للعوام . وهذا يحتاج الى

تفصيل وقد تقدم

القسم الحادى عشر

(التكرار والكلام فيه من وجوه)

الأول فى حقيقته • الثانى فى ذكر الفائدة التى أتى به من أجلها • الثالث فى أقسامه • الرابع فى ذكر ما يتهىأ فيه التكرار الحسن منه والقيح (أما الأول) فحقيقة التكرار أن يأتى المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً أو يأتى بمعنى ثم يعيده وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثانى فإن كان متحد الالفاظ والمعانى فالفائدة فى اثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره فى النفس وكذلك إذا كان المعنى متحداً • وإن كان اللفظان متفقان والمعنى مختلف فالفائدة فى الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين (وأما الثالث) فأقسامه ثلاثة • الأول ما يتكرر لفظه ومعناه متحد • الثانى ما يتكرر لفظه ومعناه مختلف • الثالث ما يتكرر معنى لا لفظاً • • أما ما يتكرر لفظه ومعناه متحد فله قوله تعالى « فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر » • وكقوله تعالى « أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » كرر - أولئك - وكذلك قوله تعالى « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » • وكذلك قوله تعالى « فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين » كرر - أن - فى أربعة مواضع تأكيذاً • وكذلك قوله تعالى « قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين » ومثله فى القرآن كثير • • ومن هذا النوع قول الشاعر

* ألا يا أسلمى ثم أسلمى ثم أسلمى *

والغرض من هذا المبالغة فى الدعاء لها بالسلامة • وقد يعكس القول طلباً لدوام تذكر الارهاب كما كرر فى سورة الرحمن « فبأى آلاء ربكما تكذبان » وقد يكرر اللفظ

ايضاً ليتصل أول الكلام بآخره اتصالاً جيّداً كما في قوله تعالى « ثم إن ربك للذين
 عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لفتورٌ رحيمٌ »
 . ومن ذلك الآية التي قبل هذه الآية . ومن ذلك قوله تعالى « إني رأيت أحد عشر
 كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » . . . وأما ما تكرّر لفظه ومعناه مختلف
 فنه قوله تعالى « ويريدُ الله أن يُحقَّ الحقَّ بكلماته وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحقَّ
 الحقَّ وَيُبْطَلَ الْبَاطِلُ » فإن المقصود بقوله - يحق الحق - بيان ارادته وبقوله
 - ليحق الحق - الثانية لقطع دابر الكافرين ونصر المؤمنين عليهم . وكذلك قوله
 تعالى « لا أعبدُ ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبدُ ولا أنا عابدُ ما عبدتم ولا أنتم
 عابدون ما أعبدُ » معناه لا أعبد في المستقبل ما تعبدونه أنتم الآن ولا أنتم تعبدون في
 المستقبل ما أنا عابد له ولا أعبد قط آلهتكم حتى أكون الآن عابداً لما تعبدون ولا أنتم
 عبدتم قط إلهي حتى تكونوا له الآن عابدين . . . ومن ذلك قوله تعالى « وإذا طلقتم
 النساء فبلغن أجهن فأمسكوهن بمعروفٍ أو سرحوهن بمعروفٍ » إلى قوله في
 الآية الأخرى التي بعدها « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجهن فلا تمضوهن » فكرر
 - بلغن - لاختلاف البلوغين . . . وأما قوله تعالى « وقانا اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌّ » ثم
 قال « قانا اهبطوا منها جميعاً » فقد قيل إنه من باب تكرير اللفظ والمعنى وقيل هو من باب
 تكرير اللفظ لا المعنى لاختلاف الهبوطين فإن الهبوط الأول كان من الجنة إلى السماء الدنيا
 والهبوط الثاني كان من السماء الدنيا إلى الأرض وفي القرآن العظيم من هذين القسمين
 كثير . . . وأما تكرار المعنى دون اللفظ فهو إما أن يكون بين المعنيين مخالفة ما أو
 لا يكون كذلك . والذي يكون بينهما مخالفة إما أن يكون أحدهما أعم أو لا يكون
 كذلك . فأما ما يكون أحدهما أعم فكقوله تعالى « ولنكن منكم أمةٌ يدعون إلى
 الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فإن الدعوى إلى الخير أعم من الأمر
 بالمعروف . وكذلك قوله تعالى « فيهما فاكهة ونخل ورمان » . وكذلك قوله تعالى
 « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ومثاله في الشعر كثير . قال الشاعر
 إذا أكلوا الحمى وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجداً

وإن ضيَعُوا عَهْدِي حَفِظْتُ عُهُودَهُمْ وَإِنْ هُمْ هَوُوا غِي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا
والغرض بهذا زيادة تأكيد الخالص .. وأما الذي لا يكون أحد المعنيين أعم فكقول
حاطب بن أبي بلتعة - والله يا رسول الله ما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن دين
ولا رضى بالكفر بعد الاسلام .. وأما الذي لا يكون بين المعنيين مخالفة فكقوله تعالى
« وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . وكذلك قوله تعالى
« فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَيْجَةِ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ » .. وكذلك
قول الشاعر

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًا بعيدًا عَنِ الْوَطَانِ فِي زَمَنِ الْمَحَلِ
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ وَإِحْسَانُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي

هذا ما يكون من التكرار لفائدة .. وقال ابن الأثير في جامع التكرار في المعنى على
قسمين . مفيد . وغير مفيد . فافيد نوعان . الاول اذا كان التكرار في المعنى يدل
على معنيين مختلفين كدلالته على الجنس والعدد وهو من باب التكرير مشكل لانه
يسبق الى الوهم أنه تكرير محض يدل على معنى واحد فقط وليس كذلك .. فمما جاء
منه قوله تعالى « وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ » ألا ترى أن
العرب انما جمعت بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال
ثلاثة وأفراس أربعة لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد المخصوص . فأما رجل
ورجلان وفرس وفرسان فمعدودات فالفائدة اذاً في قوله - إلهين اثنين . وإله واحد -
هو أن الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية يدل على الجنسية والعدد المخصوص فاذا
أريدت الدلالة على أن المعنى به واحد منهما وكان الذى يساق اليه الحديث هو العدد
شُفِعَ بما يؤكده فدل به على أن القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت - انما هو
إله - ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية لا الوحدانية وهذا باب من
باب تكرير المعانى وعبر المسلك دقيق المغزى وبه تحل مسائل مشكلات من التكرير
فاعرفه .. ومن هذا النحو اذا كان التكرير فى المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص
بالآخر عام كقوله تعالى « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وينهون عن المنكر « الآية فان الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء الى الخير لان
الأمر بالمعروف خاص والخير عام فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خيراً أمراً بالمعروف
لان الخير أنواع كثيرة من جعلها الأمر بالمعروف . ففائدة التكرير هاهنا أنه ذكر
الخاص هاهنا ذكر العام للتنبيه عايه لفضله كقوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى » الآية . وأمثال ذلك كثيرة فاعرفها . . النوع الثاني من الضرب الاول من
القسم الثاني اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنى واحد وقد سبق مثاله في أول
هذا الباب كقولك أطمئن ولا تعصني لأن الأمر بالطاعة نهى عن المعصية . والفائدة
في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب وتقرير لها في قلبه . والسلام في هذا الموضع
من التكرير كالسلام في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ والمعنى اذا كان المراد به
غرضاً واحداً فاعرفه . . الضرب الثاني من القسم الثاني في تكرير المعنى دون اللفظ وهو
غير المفيد . فن ذلك قول ابن هاني انعربي

سارت به صنع القصائد شرّاً فكأنما كانت صباً وقبولا

فكأنه قد قال - فكأنما كانت صباً صباً - لأن الصبا هي القبول . وليس ذلك مثل
التكرير في قوله تعالى - حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى - فيما يرجع الى تكرير
اللفظ والمعنى ولا مثل التكرير في قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير
ويأمرون بالمعروف - فيما يرجع الى تكرير المعنى دون اللفظ لأن كل واحدة من هاتين
الآيتين يشتمل على معنيين خاص وعام . وقول ابن هاني - صباً وقبولا - لا يعطى
إلا معنى واحداً لا غير وهذا لا يخفى على العارف بصناعة التأليف . . ومن هذا النحو
قول الصابي في كتاب - وصل كتابك بعد تأخير وإبطاء وانتظار له واستبطاء - فان
التأخير والاستبطاء بمعنى واحد وقد يكون لهذا وجه في النجوز وهو التقرير في نفس
المخاطب لبعده الأمد وتطاول المدة في انقطاع كتابه عنه وذلك مما لا بأس به في هذا الموضع
 . وأمثال هذا كثير فاعرفه (وأما الرابع) فالذي يهياً التكرار أسماء . وافعال .
وحروف . ومعان . وقد تقدم السلام على الاسماء والافعال والمعاني . . وأما الحروف
فهى على قسمين . حسنة . وقبيحة . . فأما الحسنة فهى كما التزمه الحريرى في رسالته

السينية والشينية كـرر السين في كل كلمة في السينية والشين في الشينية . وكما التزمه الفارسي في أول معشراته من حروف المعجم . وكما التزمه الفارسي في عشرينياته . وانما حسن هذا النوع لأن فيه دليلاً على قوة الملكة في الكلام والقدرة على التلعب بحروفه في النثر والنظام وهو من باب لزوم ما لا يلزم وسيأتي بيانه . . . وأما القبيحة فكتمت حروف تكسب الكلام عجرفة وتكسوه قلقاً حتى يصعب النطق به وبذهب رونق الكلام بسببه كقول الشاعر

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قُربَ قبرٍ حربٍ قبرُ

(وأما الخامس) في الحسن منه والقبيح . . فأما الحسن منه فقد تقدم . . . وأما القبيح فهو التكرار العاري عن الفائدة وهو لا يخلو إما أن يكون في المعنى وحده أو في المعنى واللفظ معاً . أما الأول فقد أعابه بعضهم مطلقاً وبعضهم فصل فأعابه على النثر وعلى الناظم إذا فعله في صدر البيت وأما إذا فعله في عجزه فليس ذلك بعيب إذ قد يضطر لأجل القافية والوزن كقول المتنبي

بحرٌ تعوَّدَ أن يذمَّ لأهله من دهرٍ وطوارقِ الحدَثانِ

والدهر وطوارق الحدَثان بمعنى واحد . . . وكذلك قيل من قال

إني وإن كان ابنُ عمِّي عائباً لمصادقٍ من خلفه وورائه

. . . وأما الثاني فقد اتفق على قبحه وهو كقول مروان

سقا اللهُ نجداً والسلامُ على نجدٍ ويا حَبِذاً نجدٌ على النأي والبُعدِ

نظرتُ إلى نجدٍ وبَعْدَ إِذْ دُونِهَا لعلِّي أَرى نجداً وهيَّاتَ من نجدِ

. . . وكذلك قول أبي نواس

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يومُ الترحُّلِ خامسُ

. . . وكذلك قول المتنبي

ولم أرَ مثلاً جيراًني ومثلي لمثلي عندَ مثلهم مقامُ

. . . وأقبح من ذلك قوله

وقلقتُ بالهمَّ الذي قلقلَ الحشى قِلَاقِلَ عيسٍ كلُّهمُ قِلَاقِلُ

• • وقال ابن الاثير قال الواحدى فى شرحه لشعر أبى الطيب المتنبي انه لا يلزمه من هذا عيب وانه قد جرت عادة الشعراء بمثل ذلك كقول أبى منصور النعماني
 واذا البلابلُ أطربتْ بهديلبها فانفِ البلابلُ باحتساء بلابلِ
 والصحيح أنه مستنقل وأخطأ الواحدى فى الاعتذار عنه وفى تمثيله بيت النعماني وبيان ذلك أن بيت أبى الطيب قد ورد فيه ذكر القلقة والقلاقل أربع مرات وهن دلالات على معنى واحد لا غير وهو الحركة يقول - وحرَّكتُ بالهمَّ الذى حرك الحشى نوقا سراع الحركة كلهن متحركات - وهذا من أقبح ما يكون من التكرير • وأما بيت النعماني الذى مثله الواحدى بيت أبى الطيب فليس مثالا لأن لفظة - البلابل - قد وردت فيه ثلاث مرات وكلُّ منها دال على معنى غير الآخر فالاول جمع بلبل وهو طائر حسن الصوت والثانى جمع بلبلة وهى وساوس الصدور والثالث جمع بلبلة وهى مخرج الماء من الابريق فهو يقول - واذا الاطيار من البلابل هدلت وغرّدت فانف البلابل من قلبك باحتساء الحر من بلابل الابريق - وهذا من أحسن ما يكون من النجيس ومن هاهنا وقع السهو للواحدى وهو أن البلابل فى شعر النعماني يدل على معان مختلفة والقلاقل فى شعر أبى الطيب يدل على معنى واحد فاعرف ذلك وقس عليه • • ومثل قول المتنبي فى القبح قوله أيضاً

ولم أرَ مثلَ جيرانى ومثلى لثلى عند مثلهم مقامُ
 فهذا ومثله هو التكرار الفاحش الذى يؤثر فى الكلام نقصاً زائداً ألا ترى أنه يقول لم أرَ مثل جيرانى فى سوء الجوار وقلة المراعاة ولا مثلى فى مصابرتهم ومقامى عندهم لأنه قد كرّر هذا المعنى فى البيت مرتين

— القسم الثانى عشر —

(القسم)

وهو أن يُقسم فى كلامه بشئ لم يُرد به تأكيده كلامه ولا تصديقه

بيان شرف المقسم به وعلو قدره عنده . ومنه قوله تعالى « فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَطْقُونَ » . وقوله تعالى « وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ » .
وقوله تعالى « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى » . وقوله تعالى « وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا
طَحَّاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا » . وقوله تعالى « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ »
أقسم بهذه الأشياء كلها لعظم خلقها ولشرفها عنده وأقسم بحياة نبيه صلى الله عليه وسلم
ليعرف الناس عظمته عنده ومكانته لديه . . . ومنه قول الشاعر

حَلَفْتُ بِمَنْ سَوَّى السَّمَاءَ وَشَادَهَا وَمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ
وَمَنْ قَامَ فِي الْمَقُولِ مِنْ غَيْرِ رِيْبَةٍ بِمَا شئتَ مَنْ إِذْ ذَاكَ كُلِّ عِيَانِ
لَمَّا خَلَقْتَ كِفَاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ عَقَائِلَ لَمْ يُعْقَلْ لَهَا نَوَانِ
لِتَقْبِيلِ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءِ نَائِلٍ وَتَقْلِيْبِ هِنْدِيٍّ وَجَذْبِ عَنَانِ

(قال المصنف عفا الله عنه) القسم في القرآن العظيم على قسمين . مظهر . ومضمّر .
فالمظهر كما تقدم . والمضمّر على قسمين . قسم دلت لام القسم على حذفه كما في قوله تعالى
« لَتَبَاؤُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ » . وفي قوله تعالى « لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ » . والقسم
الثاني ما دلّ عليه المعنى في مثل قوله تعالى « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ
حَتْمًا مَقْضِيًّا » تقديره والله إن منكم إلا واردها يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
- لن تمسه النار إلا تحلة القسم - وله في القرآن نظائر

القسم الثالث عشر

(الاقتباس . ويسمى التضمين)

وهو أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره يدرجه في لفظه لتأكيد المعنى الذي
نى به أو ترتيباً فإن كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر فهو تضمين وإن كان كلاماً قليلاً
و نصف بيت فهو إبداع . وعلى هذا الحد ليس في القرآن من هذا النوع شيء إلا

ما أودع فيه من حكايات أقوال المخلوقين مثل قوله تعالى حكاية عن قول الملائكة « قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » . ومثل ما حكاها سبحانه من قول المنافقين « قالوا انما نحن مُصلِحون » . وقولهم « قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء » . وقوله سبحانه وتعالى حكاية عن قول اليهود والنصارى « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » . ومثله في القرآن كثير . وكذلك ما أودع في القرآن من اللغات الاعجمية مثل قوله تعالى « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » . وهى لغة للاحطب بالحبشية و - كالة - طاس - وهو الميزان باللغة الرومية - والفردوس - وهو البستان و - القنطار - وهو اثنا عشر ألف أوقية . . . ومن اللغة المنسية - الكف . والساق . والفراش . والوزير . والقاضى . والوكيل . والشراب . والحلال . والحرام . والحسد . والصواب . والبركة . والخطأ . والوسوسة . والكساد . والنطيحة . والخط . والقلم . واللهو . والكرسى . والقفل . والركاب . والغاشية . والمشرق . والمغرب . واللطيف . ومن اللغة الفارسية المحكية - الابريق . والسندس . والياقوت . والزنجيل . والمسك . والكافور - وهذه الكلمات كلها حكاها تعالى في فقه اللغة وهى عند المحققين مختلف فيها فمنهم من قال انها أعجمية عربت ومنهم من أنكر ذلك وقال ليس في القرآن لفظ أعجمى لقوله تعالى « بلسان عربى مبين » . وهذه الالفاظ انما هى عربية أصلية وافقت اللغة الاعجمية والرومية . وانما الذى ورد في القرآن بعض آيات وكلمات من التوراة وغيرها من كلام الله عز وجل فأشبهه التضمين والابداع . من ذلك قوله تعالى « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » . ومنها قوله تعالى فيما حكاها من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وذلك قوله تعالى « محمد رسول الله » الى قوله « ذلك مثاهم في التوراة ومثاهم في الانجيل » فضمن كتابنا صفتهم من الكتابين الأولين . . . وأما التضمين في الشعر فلا يخلو إما أن يكون البيت المضمن مشهوراً أو غير مشهور فإن كان مشهوراً لم يحتاج الى تنبيه عليه أنه من كلام غيره لأن شهرته تغنى عن ذلك وإن كان غير مشهور فلا بد من تنبيه على أنه ليس من شعره مثل قول الشاعر

ما على طيبٍ ليالٍ سَلَفَتْ من ليالى الوصلِ لوعادتِ لنا

نبه عليه في البيت الذى قبله بقوله

فأنا من فرطٍ وجدى مُنْشِدٌ بيتَ شعرٍ قاله من قبلنا

.. وكذلك اذا كان المضمّن نصف بيت كقول ابن اللبابة الاندلسى في بيت من قصيدته

حبيبٌ الى قاي حبيبٌ لقوله عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلما

.. ومن التضمين المشهور قول ابن عنين يصف بغلة له

مرت على علفٍ فَناءت فوقه جوعاً وقالت والمذامعُ نَسْجُمُ

وَقَفَّ الهوى بي حيث أنتَ فليس لي متأخرٌ عنه ولا مُتَقَدِّمُ

.. ومثله قول آخر

إن برّذونى المدقعَ بالحقا ت^(١) فى لوعةٍ يكابدُها

رأى بغالَ الأميرِ عابرةً بالنينِ يوماً فظَلَّ يُنْشِدُها

قفا قابلاً بها على فلا أقلّ من نظرةٍ أزودها

.. وقد وقع التضمين فى الشعر فى بيت كما ذكرناه وفى بيتين .. ومنه ما قيل فى الحبيص

بيصٍ حين قتلَ جُريّاً وهو سكران فأخذ بعض الشعراء كلبه وعلق فى حلقها قصة

وأطلقها عند باب الوزير فأخذت القصة من حلق الكلبة وأدخلت على الوزير فاذا

فيها مکتوب هذه الابيات

يا أهلَ بغداد إن الحبيصَ بيصٌ أتى بخزيةٍ ألبسته العارَ فى البلد

أبدى شجاعته بالليل مجترئاً على جريٍّ ضعيفِ البطشِ والجلد

فأنشدت أمه من بعد ما احتسبت دمَ الأبيلى عند الواحد الصمد

أقولُ للنفسِ نساءً وتعزيةً إحدى يديَّ أصابتنى ولم تُردِ

كلاهما خلفت من فقد صاحبه هذا أخى حين أذعوه وذو ولدى

وهذان البيتان البيت الأخير والذى قبله لامرأة من العرب قتل أخوها ابناً لها فقالت

ذلك تسلبه لنفسها وتثبّتها لقلبها .. وأما أنصاف الابيات والكلمات فكثير جداً ..

فمن ذلك قول ابن المعتز

(١) هكذا فى الأصل

عُوْذُ لَمَّا بَتَّ ضَيْفًا لَهُ اقْرَاصُهُ مَنَى بِيَاسِينَ
فَبَتَّ وَالْأَرْضُ فُرَاشِي وَقَدْ غَنَّتْ قَفَانِيكَ مَصَارِيَنِي

.. ومنه قول الضحاک

وَقَفْتُ عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ كَأَنِّي قَفَانِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلٍ
.. وقد أودعت جماعة من الشعراء جملة من الكتاب الفضلاء في أشعارهم ورسائلهم وأنواع فصاحتهم التي هي من جملة وسائلهم آيات من كتاب الله تعالى وسموه اقتباساً من القرآن وهذا مما قد نهى عنه جملة العلماء وأفاضل الفقهاء الاتقياء وكرهوا أن يضمن كلام الله تعالى شيئاً من ذلك أو يستشهد به في واقعة من الوقائع كقولهم لمن جاء وقت حاجتهم إليه - ثم جئت على قدر يا موسى - وأشياء ذلك لأن ذلك كله صرف لكلام الله عن وجهه وخروج له عن المعنى الذي أريد به .. فمن التضمين المنهى عنه قول عبد الله بن طاهر لابن السدي حين ملك مصر وقد ورد رسوله وهديته إليه - لو قبلت هديتك نهراً لقبلتها ليلاً بل أنتم بهديتكم تفرحون - وقال لرسوله - ارجع إليهم فلنأيتهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون - وأوحش من ذلك وأعظم منه في الشعر قول الشاعر

يَسْتَوْجِبُ الْعَفْوَ الْفَتَى إِذَا اعْتَرَفَ بِمَا جَنَاهُ وَانْتَهَى عَمَّا اقْتَرَفَ
لِقَوْلِهِ قُلْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَقَدَ سَلَفَ

.. وقول الآخر

قَتُّ لَيْلِ الصِّدُودِ الْآ قَلِيلًا ثُمَّ رَتَلْتُ ذَكَرَهُمْ تَرْبِيلًا
وَجَعَلْتُ الْبَهَادَ كُلَّ لَعِينٍ وَهَجَرْتُ الرِّقَادَ هَجْرًا جَمِيلًا
كَلَّمَا ضَمْنَا مَحْجُورُ عَتَابٍ أَخَذْنَا الْعِيُونَ أَخْذًا وَبِيلًا

ضمن هذه القصيدة آخر كل آية من سورة المزمل .. هذا وما أشبهه بما يدونه من الفصاحة والبلاغة وهو مما ينبغي أن تعاف النفوس مساعه وهو مندرج في التحريم لما فيه من عدم الاجلال للكلام المعجز وجل والعظيم وكيف يليق أن يجمع بين المحدث والقديم .. وقد رخص بعض أهل العلم في تضمين بعض آيات القرآن في خطبهم ومواظهم

وأكثر ما استعمل ذلك الشيخ ابن نباتة وابن الجوزي وقد استعمله كثير من الناس

❦ القسم الرابع عشر ❦

﴿ التذييل والكلام عليه من وجوه ﴾

الأول في حده والمعنى الذى أتى به من أجله • الثانى فى اشتقاقه • الثالث فى أقسامه ﴿ أما الاول ﴾ فقال علماء علم البيان انه تذييل المتكلم كلامه بحرف أو جملة يحقق بها ما قبلها من الكلام وتلك الجملة على قسمين • قسم لا يزيد على المعنى الاول وإنما يؤتى به للتأكيد والتحقيق • وقسم يخرج المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله • مثال ما جاء من الكتاب العزيز متضمناً للقسمين معاً قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ » فى الآية الكريمة تذييلان • أحدهما قوله تعالى - وعداً عليه حقاً - فان الكلام تم قبل ذلك ثم أتى سببه انه وتعالى بتلك الجملة ليحقق بها ما قبلها • والآخر قوله سبحانه - ومن أوفى بعهد من الله - فأخرج هذا مخرج المثل السائر ليحقق ما تقدم وهو تذييل ثانٍ للتذييل الاول • ومنه قوله عز وجل « وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ قِيلاً » • وكقوله تعالى « ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ يَكْفُرُونَ » ومثله فى القرآن كثير • ومثال ما جاء منه من السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم - من همَّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرأ ومن همَّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة ولا يهلك على الله الا هالك - فقوله ولا يهلك على الله الا هالك تذييل فى غاية الحسن أخرج الكلام فيه مخرج المثل • • ومثال ما جاء من ذلك فى الشعر قول النابغة

ولست بمُستَبقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيْ الرِّجَالِ الْمَهْدَبِ

(١٦ - فوائد)

فقوله - أى الرجال المهذب - من أحسن تذييل وقع فى شعر .. ومنه قول الخطيبه
نزورُ فتى يُعطى على المدح مالهُ ومن يُعطى أثمانَ الحمادِ يُحمدُ

فان عجز البيت كله تذييل أخرج مخرج المثل لأن صدر البيت كله قد استقل بالمعنى ..
وأما الحروف فستأتى أمثله فى الكلام على أقسامه ان شاء الله تعالى (وأما الثانى)
فان التذييل مصدر ذيل الشئ يذيله تذييلا اذا جعل له ذيلا مأخوذا من ذيل المرأة
وهو ما يفضل عن قامتها ويزيد عليها فيبقى مجرورا على الارض . قال الشاعر

كُتِبَ القتلُ والقتلُ علينا وعلى الغانيات جرُّ الذبولِ

.. وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذيل المرأة فقال يطهره ما بعده
فكانه شبه هذه الجملة لزيادتها وكون المعنى يتم بدونها بالزائد من ذيل المرأة الذى ينجر
على الارض (وأما الثالث) فالتذييل على ثلاثة أقسام قد تقدم منها قسمان والثالث هو
أن تزيد احدى الكلمتين على الاخرى بحرف فقط إما من آخرها وإما من أولها . فنال
الزائد فى آخر الكلمة قولهم فلان حام حامل لابعاء الامور كاف كافل بمصالح الجمهور
وكقول أبى تمام

يمدُّونَ من أيدٍ عواصٍ عواصم تصولُ بأسيافٍ قواصٍ قواضبِ

.. ومثال الزائد فى أولها قوله تعالى «والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق»
ومنه قول الشاعر

وكم سبقت منه إلى عوارِفٍ ثنائى على تلك العوارِفِ وارفٍ^(١)

وكم غرر من برهٍ ولطائفٍ لشكرى على تلك الاطائف طائفٍ

— القسم الخامس عشر —

(المغالطة . والكلام عليه من وجوه)

الاول فى حقيقتها . الثانى فى اشتقاقها . الثالث فى أقسامها (أما الاول) فقال

(١) فى هامش الاصل .. أى متمد يقول ورف الظل اذا امتد

علماء علم البيان أن المغالطة ذكر الشيء وما يتوهم مقابله وليس كذلك (وأما الثاني) فاشتقاقه من الغلط وهو من باب المفاعلة من واحد مثل طارقت النعل وعاقبت اللص لأن فاعله يذكّر شيئاً يوقع به غيره في الغلط ويوهم ما ليس هو المراد وهو المشار إليه في الحديث المروى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلوطات وهى شرار المسائل (وأما أقسامها) فاربعة • الاول ان يذكّر الشيء وما يتوهم مقابله ويسمى مغالطة النقيض وهو مثل قول الشاعر

وما أشياء نَشْرِيها بِمالٍ وإن نفَقْتُ فأُكْسِدُ ما تَكُونُ

أوهم بنفقت النفاق السوقي وهو رواج السلعة ومراده الموت يقال نفقت الدابة اذا ماتت • وقد ورد منه عن العرب كثير • من ذلك ما روى أن حَيَّين من العرب اقتتلا فقتل من كل حى قتلى وأسر أسرى فقال أحد الحيين لأسير عندهم أرسل الى قومك رسولا يقول لهم ليكرموا أسيرنا فاننا لك مكرمون فقال ائتوني برسول منكم أرسله اليهم فجاء رجل فسأله عن أشياء فقال ما أراك الاّ عاقلا أبلغ قومى السلام وقل لهم ليكرموا فلانا فان قومهم لى مكرمون وقال له وقل لهم يحلوا عن ناقتى الحمراء ويركبوا جملى الا صهب بآية ما أكلت معكم حيساً وسلوا الحارث عن خبرى فلما بلغهم الرسالة حلوا وناق ذلك الرجل وقالوا والله ما له ناقة حمراء ولا جمل أصهب فلما انصرف الرسول استدعوا الحارث وقصوا عليه ما قال فقال أشار بقوله حلوا عن ناقتى الحمراء واركبوا جملى الا صهب ارتحلوا عن هذه الارض الدهناء واصعدوا الجبل وأشار بقوله بآية ما أكلت معكم حيساً الى أن أخلاطاً من الناس اتفقوا على أن يغيروا على حيكهم ليلا فان الحيس يجمع السمن والتمر والأقط فارتحلوا عن تلك الارض وصعدوا الجبل فأغار عليهم أعداؤهم فلم يجدوهم فى المكان الذى كانوا فيه فساموا من اغتيال عدوهم لهم • وقد نظم هذا المعنى بعض الشعراء فقال

محلوا عن الناقة الحمراء أرحلكم والبازل الأصب المعقول فاصطنعوا

ان الذئب قد اخضرت برائنها والناس كلهم بكر اذا شبعوا

ومثل هذا عن العرب كثير • • الاثنى أن يذكّر مع الشيء مثله ويسمى مغالطة المثل

كقول المتنبي

يَشْلُومُنْ بِكَلِّ أَقْبَ نَهْدٍ لفارسه على الخيلِ الخيارُ
وكلَّ أَصَمَّ يَعْسِلُ جَانِبَاهُ على الكعبين منه دَمٌ مُمَارُ
يُغَادِرُ كُلَّ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ وأبَتْهُ لثعلبه وِجَارُ

والثعلب - الحيوان وطرف السنان - والوجار - بيت ذلك الحيوان . وكقول الشاعر
برغم شبيب فارق السيف كفه وكنا على العلات يضطجعان
كان رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسى وأنت يمانى
- فالسيف - يقال له يمان اذا كان صارماً - وشبيب - من قيس وكان بين قيس ويمان
محاربة . . . ومنه أيضاً

وخلطتم بعض القرآن ببعضه فجعتم الشعراء فى الأنعام
- فالشعراء - جمع شاعر واسم سورة - والأنعام - الابل والبقر والغنم واسم سورة أيضاً
وسبب حسن هذا الفن ما يحصل للنفس من الالتذاذ بفهم ما فيه غموض والأول أحسن
لزيادة غموضه . . . الثالث من المغالطات الالغاز . واللفظ الطريق المنحرف وسمى به
هذا لانحرافه عن نمط الكلام ويسمى أيضاً أحجية لأن الحجة هو العقل وهذا النمط
يقوى العقل عند التمرن والارتياض بلا كثر من حله وإعمال الفكر فيه ويسمى أيضاً
المعمى لما فيه من الخفاء . ومن هذا النوع فى أشعار العرب والمختصرين والاسلاميين
وهو فى أشعار المتأخرين منهم أكثر . . . ومنه فى القرآن العزيز ما جاء فى أوائل السور
من الحروف المفردة والمركبة التى دق معناها وبعد غور غزاها وحارت العقول فى معانيها
• ومنها قوله تعالى فى قصة ابراهيم عليه السلام حين سئل لما كثر الأصنام وقيل له
« أنت فعلت هذا بالهتأ يا إبراهيم قال بل فعلة كبيرهم هذا » قاباهم بهذه المغالطة
ليقيم عليهم الحجة ويوضح لهم المحجة . . . ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن النمرود لما
جادل ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال ابراهيم « ربى الذى يُحيى ويميتُ قال أنا
أحيى وأميتُ » حكى أنه أتى بأثنين فقتل أحدهما وأرسل الآخر وكان ذلك من النمرود
مغالطة لابراهيم عليه الصلاة والسلام لأن ابراهيم عليه السلام أراد إن الله يحيى الميت

ويميت الحى بغير آلة لا يحيى ويميت كذلك الآ هو . . . ومنه قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجا من مكة أعزها الله تعالى فقال انه رجل يهدينى الطريق . . . ومنه قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما سأله الجبار عن زوجته سارة قال هى أختى أراد أخوة الدين ومثله كثير

القسم السادس عشر

(الاشارة . وتسمى الوحى أيضاً . والكلام عليها من وجوه)

الاول فى حدها . الثانى فى أقسامها . الثالث فى الفرق بينها وبين الكناية . (أما الاول) فقد قال علماء البيان الاشارة أن تطلق لفظاً جلياً تريد به معنى خفياً وذلك من ملح الكلام وجواهر النثر والنظام . ومنه قوله تعالى « ولا تقلن لهما أف » أشار بذلك الى بر الوالدين وترك التعرض اليهما بيسير من الإيلام فضلاً عن كثيره . ومنه قوله تعالى « فيهن قاصرات الطرف » اشارة الى عفافهن . ومنه قوله تعالى « وفرش مرفوعة » اشار الى نساء كرام . ومن هذا النوع فلان طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد اشارة بقوله - طويل النجاد - الى تمام خلقة وبقوله - رفيع العماد - الى أن بيته مرتفع يعرفه الاضياف والطراق وبقوله - كثير الرماد - الى كثرة قراه الاضياف . . . ويقولون أيضاً فلان جبان الكلب مهزول الفصيل أشاروا بقولهم - جبان الكلب - الى أنه لكثرة طراقه أنست كلابه الطراق وصارت تلوى رقابها وتحرك أذنانها فرحاً بهم وأشاروا بقولهم - مهزول الفصيل - الى كثرة سقيه الالبان ومداومة حلب مواشيه فتقل بذلك ألبانها فيهزل الفصيل بسبب ذلك . والاشارات فى القرآن كثيرة خصوصاً على ما يراه أرباب الحقائق . وبعض أرباب هذه الصناعة يسمي هذا النوع الإيلاء . . . ومنه قول الشاعر

بعيدة مهوى القرط إماله نهل أبوها وإماله عبد شمس وهاشم

أشار بقوله - بعيدة مهوى القرط - الى طول عنقها . . ومنه قول امرئ القيس

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصَوَّبَ الْغَمَامَ وَرَجَّحَ الْخَزَامَى وَنَشَرَ الْعُطْرُ

يُعَلِّ بِه بَرْدُ أُنْيَابِهَا إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَعْرِ

أشار الى طيب رائحة فيها وقت السحرو هو وقت تغير الافواه (وأما الثانى) فأقسامها

أربعة . الاول ما قدمناه . والثانى أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكبير

. ومنه قوله تعالى « فيها ما تشتهى النفس وتلذ الأعين » جمع ما تميل اليه النفوس من

الشهوات وتلذ الأعين من المرئيات . ومنه قوله تعالى (فأوحى الى عبده ما أوحى)

. والثالث من أنواع الإشارة عمل أرباب هذه الصناعة المعميات والالغاز وقد تقدم

بيانها . الرابع من أقسامها التورية وهى أن تكون الكلمة تحتمل معنيين فيستعمل

المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر ومراده ما أهمله لاما استعمله ولهذا مواضع نينها

وأملت فيها ان شاء الله تعالى (وأما الثالث) فالفرق بينها وبين الكناية أن الإشارة فى

الحسن والكناية فى القبيح وسيأتى بيانه

القسم السابع عشر

(فى الكناية . والكلام عليها من وجوه)

الاول فى حدها . الثانى فى المعنى الذى أتى بهامن أجله . الثالث فى أقسامها

(أما الاول) فقد قال علماء علم البيان إن الكناية هى اطلاق لفظ حسن يشير الى

معنى قبيح كقوله تعالى « وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطووها »

أراد بالارض الثانية نساءهم اللاتى كن محل وطشهم وجهة استمتاعهم . . ومنه قوله

تعالى « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق » يريدون أنه

يتغوّط فكنوا عن التغوّط بأكل الطعام لانه سببه . . ومنه قوله تعالى « أحلّ لكم

لبلة الصيام الرّفث الى نسائكم من لباس لكم وأنتم لباس لهن » كفى بالرفث عن

أحدثت في الجمع وببباس عن الوطء نفسه . . . ومنه قوله تعالى « وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ »
 أي هيأناها للولادة بعد الكبر . . . ومنه قوله تعالى « وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ » أي
 حاضت . . . قال بعض المتأخرين من الحذاق في هذا الفن الكناية في اللغة الستر وفي
 الصناعة أن تقصد مجازاً بعيداً مناسباً للحقيقة مع ضمنه أي ارادتها ^(١) وإذا استعمل اللفظ
 في ذلك كان ضرباً من الاستعارة وتقع الكناية في المفرد والمؤلف وسيأتي بيانه (وأما
 الثاني) فالمعنى الذي أتى بها من أجله هو الاجمال في الخطاب والدفع بالتي هي أحسن
 والتجنب للهجر من القول إذ هو أرسخ في الالفه وأمكن . قال الله تعالى « ادْفَعْ بِالَّتِي
 هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » (وأما الثالث) فقد اختلفت
 عبارات أهل هذه الصناعة فيها وآثرها ما ذكره ابن الاثير في جامعه قال إن الكناية
 على قسمين . . . قسم يحسن استعماله . . . وقسم لا يحسن استعماله . . . فأما الضرب الأول وهو
 الذي يحسن استعماله فينقسم الى أربعة أقسام . . . الاول التمثيل وهو التشبيه على سبيل
 الكناية وذلك أن تراد الإشارة الى معنى فتوضع ألفاظ على معنى آخر وتكون تلك
 لالفاظ وذلك المعنى مثالا للمعنى الذي قصدت الإشارة اليه والعبارة عنه كقولنا - فلان
 نقي الثوب - أي منزّه عن العيوب ولل كلام بهذا فائدة لا تكون لو قصد المعنى بلفظه
 الخاص به وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصوير المدلول عليه لانه اذا صور في نفسه
 مثال ما خوطب به كان ذلك أسرع الى الرغبة فيه أو الرغبة عنه . فمن بديع التمثيل
 قوله تعالى « أَيْحَبُّ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا » فانه مثل الاغتياب بأكل الانسان
 لحم انسان آخر مثله ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم لآخر ولم يقتصر على لحم الآخر
 حتى جعله ميتاً ثم جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالحبة فهذه أربع دلالات
 واقعة على ما قصدت له مناسبة مطابقة للمعنى الذي وردت لأجله . فأما تمثيل الاغتياب
 بأكل لحم انسان آخر مثله فشيء مناسب جداً وذلك لأن الاغتياب انما هو ذكر مثالب
 الناس وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يفتابه لأن أكل
 اللحم فيه تمزيق لا محالة وأما قوله لحم أخيه فلما في الاغتياب من الكراهة لأن أرباب

العقل والشرع قد أجمعوا على استكراهه وأمروا بتركه والبعد عنه • ولما كان كذلك كان بمنزلة لحم الاخ في كراهته ومن المعلوم أن لحم الانسان مستكره عند انسان آخر مثله الا أنه لا يكون مثل كراهة لحم أخيه وهذا القول مبالغة في الاستكراه لا أمد فوقها • • وأما قوله - ميتاً - فلاجل ان المغتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بهما • • وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالحجة فلما جُبات عليه النفوس من الميل الى الغيبة والشهوة لها مع العلم بأنها من أذى الخلال ومكروه الافعال عند الله عز وجل والناس • • ومن هذا القسم قوله تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » فمثل البخل بأحسن تمثيل لان البخل لا يمتد يده بالعطية كالمغلول الذي لا يستطيع أن يمد يده وانما قل - ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك - ولم يقل ولا تجعل يدك مغلولة من غير ذكر العنق لانه قد قال تعالى - ولا تبسطها كل البسط - فتاب ذكر العنق عن قوله كل الغل لأن غل اليدين الى العنق هي اقصى الغايات التي جرت العادة بغل اليد اليها • • ومن امثال العرب - ايك وعقيلة الملح - وذلك تمثيل للمرأة الحسناء في المنبت السوء لأن عقيلة الملح هي الذرة • • ومن التمثيل قول بن الدائمينة

أبني أفي يميني يدك تركتني فأفرح أم صيرتني في شمالي

أي ابني أمني كريمة عندك أم هينة عليك فذكر اليمين وجعلها مثالا لا كرام المنزلة وذكر الشمال وجعلها مثالا لهوان المنزلة لان اليمين اشرف مكانة من الشمال وأكرم محلا • وفي القرآن العظيم ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود » الى قوله « وماء مسكوب » فلما جاء الى ذكر الشمال قال تعالى « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم » فاعرف ذلك • الثاني الاردا ف وهو اسم سماه قدامة بن جعفر الكاتب قال اعلم أن أكثر علماء هذه الصناعة قد أدخلوا الاردا في التمثيل وفي الفرق بينهما اشكال ودقة فأما التمثيل فقد سبق الاعلام به وهو ان يراد الاشارة الى معنى فتوضع الالفاظ على معنى آخر فتكون تلك الالفاظ وذلك المعنى مثالا للمعنى الذي قصدت الاشارة اليه والعبارة عنه كقولنا - فلان نقي الثوب - أي منزعه عن العيوب • وأما الاردا ف فهو أن يراد الاشارة الى معنى

فترك اللفظ الدال عليه ويؤتى بما هو دليل عليه ورادف له كقولنا - فلان طويل النجاد - والمراد طويل القامة الا انه لم يتلفظه بطول القامة الذي هو الغرض ولكن ذكر ما هو دليل على طول القامة وليس نقاء الثوب بدليل على الزاغة عن العيوب وانما هو تمثيل لها فاعرف ذلك . واعلم أن الاراداف يتفرع الى خمسة فروع . . الاول فعل البداهة كقوله تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه » أى انه سفيه الرأى بمعنى أنه لم يتوقف فى كلامه وقت ماسمعه ولم يفعل كما تفعل المراجيح العقول المتثبتون فى الاشياء فان من سفاهتهم اذا ورد عليهم أمرٌ أو سمعوا خبراً أن لا يستعملوا فيه الروية وتأنوا فى تدبره الى أن يصح لهم صدقه أو كذبه . الا ترى أن معنى قوله - كذب بالحق لما جاءه - أى انه ضعيف العقل عازب الرأى فعدل عن ذلك الى ما هو دليل عليه ورادف له وذلك أكد وأبلغ . ومن ذلك قوله تعالى « واذا تلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجلٌ يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم » ومثله فى القرآن كثير . . الثانى من الاراداف باب المثل وهو ان العرب تأتى بمثل فى هذا توكيداً للكلام وتشديد آمن أمره يقول الرجل اذا نفى عن نفسه القبح - مثلى لا يفعل هذا - أى أنا لا أفعله فنفى ذلك عن مثله وهو يريد نفيه عن نفسه قصداً للمبالغة فيسلك به طرق الكناية لانه اذا نفاه عن مثله ومثابه فقد نفاه عنه لا محالة . كذلك قولهم أيضاً - مثلك اذا سئل أعطى - أى أنت كذلك . وهو كثير فى الشعر القديم والمولد وفى الكلام المنشور . . وسبب توكيد هذه المواضع بمثل انه يراد أن يجعل نفسه من جماعة هذه أوصافهم تثبيتاً للامر وتوكيداً له ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه ولم ترتب فيه قدمه . مثل ذلك قولهم لانسان - أنت من القوم الكرام - أى لك فى هذا الفعل سابقة وأنت حقيق به ولست دخيلاً فيه . . ومن هذا الباب فى القرآن كثير كقوله تعالى « ليس كمثله شئ » وهو السميع البصير » وهذا كقولك - مثلى لا يفعل كذا - فينفون البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذلك قصداً للمبالغة لانهم اذا نفوه عن من يسد مسدده وهو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه . ونظير ذلك قولك للعربى - العرب لا تخفر الذم - وهذا أبلغ من قولك أنت لا تخفر الذم وليس فرق بين قوله تعالى « ليس كمثله شئ » وبين قوله

ليس كالله شيء إلا من الجهة التي نبهنا عليها فاعرفها . . الثالث من الارداف ما يأتي في جواب الشرط وذلك من ألطف الكنايات واحسنها . فمن ذلك قوله تعالى « وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث » كناية عن بطلان قولهم وكذبهم فيما ادعوه وذلك رادف له . ونظيره قولك كنت تشكر حضور زيد فيها هو أي فأنت كاذبٌ وهذا من دقائق الكناية . . الرابع من الارداف الاستثناء من غير موجب وذلك من غرائب الكناية كقوله تعالى « ليس لهم طعامٌ إلا من ضريعٍ » الآية . - والضريع - نبت ذو شوك تسميه قریش الشبرق في حال خضرته وطرأوته فاذا يبس سمته الضريع والابل ترعاه طرياً ولا تقر به يابساً . والمعنى ليس لهم طعام أصلاً لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الانس وهذا مثل قولك - ليس لفلان ظل إلا الشمس - تزيد بذلك نفي الظل عنه على التوكيد وذلك رادف لانتفاء الظل عنه كما ذكر الضريع رادف لانتفاء الطعام . . وعلى نحو من هذا جاء قول بعضهم

وتفرّدوا بالمكرّمات فلم يكن سواهم منها سوى الحرمان

فالمراد نفي المكرّمات عن سواهم لأنهم إذا كان لهم الحرمان من المكرّمات فما لهم منها شيء . . الخامس من الارداف وليس مما تقدم بشيء وذلك نحو قوله تعالى « عفا الله عنك أذيتهم » والمراد به إذا خوسب بمثل هذا غير الذي صلى الله عليه وسلم أنك أخطأت وبأس ما فعلت فقوله - لم أذيت لهم - بيان لما كفى عنه بالعفو أي مالك أذيت لهم وهذا استأنيت فذكر العفو دليل ورادف له وإن لم يذكر . وكذلك قوله تعالى « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » قيل لهم إن استندتم إلى العجز فتركوا العناد فوضع قوله - فاتقوا النار - موضعه لأن اتقاء النار لصيقة وضميمة من حيث أنه من نتائج وروادفه لأن من اتقى النار ترك المعاندة . ونظيره أن يقول الملك لحشمه - إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطى - يريد فأطيعوني وأطيعوا أمرى واحذروا ما هو نتيجة حذر السخط وروادفه . . ومن هذا الباب قوله تعالى « قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » ألا ترى إلى لطافة هذه الكناية فأنها أفادت تكذيب دعواهم ودفع

ما انتحلوه وفائدتها هاهنا أنه روعى في تكذيبهم أدب حسن لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبت لأن فيه نوع استقباح في الخطاب فوضع قوله - قل لم تؤمنوا - الذى هو انى ما ادعوا اثباته موضعه لأن ذلك رادف له . . . ومما يجرى هذا المجرى قوله تعالى « قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا من آمن منهم أن تعلمون أن صالحاً مرسل من ربه » أثبت العلم بارساله وانه من الأمور الظاهرة المسماة التى لا يدخلها ريب ولا يعتريها شك لكن عدل عن ذلك الى ما هو دليل عليه ورادف له وهو الايمان به أعنى صالحاً إنما صح عنهم بعد ثبوته عندهم والعلم بارساله اليهم فالإيمان به أدنى دليل على العلم بأنه نبي مرسل وهذا من دقائق الرداف ولطائفه . وأمثال ذلك كثيرة كقول الاعرابية فى حديث أم زرع تصف زوجها له إبلٌ قليلات المسارح كثيرات المبارك اذا سمعن صوت المزاهر أيقنَّ أنهنَّ هوالك . . فان الظاهر من هذا القول أن ابله يبركن عند بيته بفنائيه ولا تبرح ليقرب عليه نحرها للاضياف فاذا هزمت المزاهر للغناء نحرها لضيوفه فقد اعتادت هذه الحالة وأيقنتها وغرض الاعرابية من هذا الكلام أن تصف زوجها بالجود والكرم ولكنها لم تذكر ذلك بلفظه الدال عليه وإنما أتت بمعان دلت على ذلك من غير تصريح بمرادها . . . وكذلك قال بعضهم

وددتُ وما تغنى اودادة أنى بما فى ضمير الحاجرية عالمُ

فان كان خيراً سرّنى وعلمته وإن كان شراً لم تلعنى اللوائى

أى أعجبرها فأضرب عن ذلك جانباً ولم يذكر ذلك اللفظ المختص بذلك لكنه ذكر ما هو دليل عليه ورادف له . . . الثالث من الكناية وهو المجاورة وذلك أن يريد المؤلف ذكر شئ فيترك ذكره جانباً الى ما جاوره فيقتصر عليه اكتفاء بدلالته على المعنى المقصود كقول عنزة

فشككتُ بالرمح الأصم ثيابهُ ليس الكريمُ على القنابِ محرمُ

أراد - بالثياب - هنا نفسه لانه وصف المشكوك بالكريم ولا توصف الثياب به فثبت حينئذ أنه أراد ما تشتمل عليه الثياب وفى ذلك من الحسن ما لا ينكره العارف بهذه الصناعة

وقال أيضاً

بِرْجاجة صفراء ذات أشعة قُرنت بأزهر في الشمال مُقدم

— الصفراء — هاهنا هي الحمرة والذكر للزجاجة حيث هي مجاورة لها ومشتملة عليها
• وذهب بعضُ المفسرين في قوله تعالى « وَثِيَابَكَ فَطَهَّرْ » انه أراد بالثياب القلب أو
الجسد أى وقلبك فطهر أو جسدك •• ومنه قول امرئ القيس

فإن نك قد ساءتكَ مني خليقة فُلى ثيابي من ثيابك تنسلي

•• الرابع من الكناية ما ليس بتمثيل ولا ارداف ولا مجاورة كقوله تعالى « أو من
ينشؤ في الحلية وهو في الخِصام غير مُبين » فكفى بأنهم يتزينون في الحلية أى الزينة
والنعمة وهو اذا احتاج الى مجارة الخصوم كان — غير مبين — أى ليس عنده بيان ولا برهان
يحتاج به من خاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال •• ومن
هذا الباب قال أبى نواس

تقول التى من بيتها خف محملى عزيز علينا أن نراك تسير

• ألا ترى ما أحسن هذه الكناية فانه أضرب عن ذكر امرأته بقوله — من بيتها
خف مركبي — فانه من ألطف الكناية مذهباً •• وكذلك قول نصيب

فما جؤا فأنشوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أننت عليك الحقائق

•• وقال الجاحظ نحن قوم نسحر بالبيان ونموه بالقول •• الثانى من التقسيم الاول من
الكناية وهو الذى يقبح ذكره ولا يحسن استعماله كقول أبى الطيب المتنبي

إني على شغفى بما في خمرها لأعف عمافى سراويلاتها

فان هذه كناية عن الزاهة والعفة وعلم الله أن الفجور لا حسن منها •• وقد ذكر الشريف
الرضي هذا المعنى فابرزه في أجل صورة فقال

أحن الى ما يضمن الخمر والحلى وأصدف عما في ضمان المآزر

ألا ترى الى هذه الكناية ما الطفها والمعنيان سواء • وبهذا يعرف فضل الشاعرين
أحدهما على الآخر وذلك اذا ألحنا معنى وأحد أفصاغه أحدهما أحسن صياغة تمخذه

القسم الثامن عشر

(التعريض)

وقد اختلف فيه مذاهب بعض علماء هذا الشأن فذهب بعضهم الى أن الكناية والتعريض بمعنى واحد وبعضهم فرق بينهما . . قال ابن الاثير في جامعه في الكناية والتعريض ان لهذا النوع من الكلام موقعا شريفاً ومحلا كريماً وهو مقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ جانباً وذلك نوع من علم البيان لطيف وقد تكلم جماعة من المؤلفين في هذا الفن وخالطوا الكناية بالتعريض ولم يفرقوا بينهما بل أوردوا لهما من النظم والنثر وأدخلوا أحد القسمين بالآخر وذكروا للكناية أمثلة من التعريض وللتعريض أمثلة من الكناية فمنهم أبو محمد بن سنان الخفاجي وأبو هلال العسكري والغامبي فأما ابن سنان فإنه ذكر في كتابه قول امرئ القيس

وَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرُضْتُ فَذَلْتُ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلالِ

وهذا مثال ضربه للكناية عن المباضة وهو مثال للتعريض . وسنورد لك أيها الناظر في كتابنا هذا فرقا بين الكناية والتعريض ونميز أحدهما عن الآخر فقول وبالله التوفيق . ان الكناية هي أن يذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كما كفى الله عز وجل عن الجماع بالمس فان حقيقة المس هي الملامسة يقال مسست الشيء اذا لمستته ولما كان الجماع ملامسة بالابدان وزيادة أمر آخر أطلق عليه اسم المس مجازاً وضد الكناية التصريح . وأما التعريض فهو أن يذكر شيئاً يدل به على شيء لم يذكره وأصله التلويح عن عرض الشيء وهو جانبه ويبت امرئ القيس ضربه مثالا للكناية وهو عين التعريض فان غرضه من ذلك أن يذكر الجماع غير أنه لما استقبح ذكره لم يذكره بل ذكر كلاما آخر ودل به عليه لأن المصبر الى الحسنى ورقة الكلام يفهم منها ما أراد امرؤ القيس من المعنى

وذلك مما لا يخفاء به وحيث تبين الفرق نشعر في أقسام كل واحد من الكناية والتعريض فنقول . . ان الكناية هي على قسمين . أحدهما ما يحسن استعماله وهو الذي نحن بصدد ذكره هاهنا والآخر ما لا يحسن استعماله وقد تقدم بيانهما . وأما التعريض فقد ميزه الله تعالى في خطبة النساء فقال جل من قائل « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » قال المفسرون التعريض بالخطبة أن يقول لها وهي في عِدَّة الوفاة انك جميلة وانك لحسنة وانى اليك لشيق وان قدر الله شيئاً فهو يكون وما أشبه ذلك . ومما هو من التعريض قوله حكاية عن عبدة الاصنام حين كسرها ابراهيم عليه السلام « أنتَ فعات هذا بالهتينا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوههم إن كانوا ينطقون » يعنى أن كبير الاصنام غضب ان تعبد هذه الاصنام الصغار معه فكسرها فغرض ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه من هذا الكلام إقامة الحجة عليهم لانه قال فسألوههم ان كانوا ينطقون . هذا على سبيل الاستهزاء بهم . وهذا من رموز الكلام والقصد فيه ان ابراهيم عليه السلام لم يكن القصد الصادر عنه الى الصنم انما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أنه أسلوب من الفصاحة آخر يقتضى أن يبلغ فيه غرضه من الزام الحجة عليهم وتبكيتهم والاستهزاء بهم . ومن بديع التعريض قوله تعالى « قال الملاء الذين كفروا من قوم ما نراك الا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا » الى قوله « بل نظنكم كاذبين » فقوله ما نراك الا بشراً مثلنا - تعريض انهم أحق بالنبوة منه وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملائكة وموازن لهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم بها ألا ترى الى قوله تعالى حكاية عنهم - وما نرى لكم علينا من فضل . . ومن مشكلات التعريض حديث عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال حكى المرأة الصالحة خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو محتضن أحداً بنى ابنته وهو يقول والله انكم لتجنبون وتبخلون وتجهلون وانكم لمن رِيحان الله وان آخر وطئة وطئها الله بوج . . اعلم أن - وج - واد بالطائف والمراد غزاة حنين واد قبل وج لانها آخر غزاة وقع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين وأما غزوات الطائف وتبوك اللتان كانتا بعد

حنين فلم يكن فيهما وطأة اى قتال وانما كانتا مجرد مخرج الى الغزاة حسب من غير ملاقة العدو أعنى ولا قتال لهم ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله - وان آخر وطأة وطئها الله بوج - على ما قبله من الحديث وهو التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته لأن غزوة حنين كانت فى شوال سنة ثمان ووفاته كانت فى ربيع الاول من سنة احدى عشرة وبينهما سنتان ونصف وكأنه قال - وإنكم من ربحان الله - أى من رزق الله وأنا مفارقكم عن قريب إلا انه صانع عن قوله وأنا مفارقكم عن قريب بقوله - وان آخر وطأة وطئها الله بوج - فكان ذلك تعريضاً لما أراد وقصده من قرب وفاته ومفارقته إياهم يعنى اولاده وهذا من أغرب التعريضات وأعجبها • ومن هذا الباب قول الشميدر الحارثي

بني عمنا لانذركوا الشعر بعد ما دفتتم بصحراء الغمير القوافيا

فان ليس قصده الشعر بل قصده ما جرى بينهم بهذا الموضع من الغلبة لهم والقوة عليهم إلا انه لم يذكر ذلك بل ذكر الشر ودفعه تعريضاً أى لا تفخرون بعد ذلك الواقعة التى حثرت لما ولكم بذلك المكان • ومن أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن سعد الى المأمون فى حق بعض أصحابه أما بعد فقد استشفع فلان الى أمير المؤمنين ليتطول فى إلحاقه بنظرائه من الخادمة فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعأ فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك بعد عن طاعته فوقع المأمون فى كتابه قد عرفنا نصيحتك له وتعريضك لنفسك وأجنبناك اليهما

- القسم التاسع عشر -

(الاستطراد)

وهو التعريض بعيب انسان بذكر عيب غيره لمتعاق أو نفي عيب عن نفسه بذكر عيب غيره مثل قوله تعالى «وَسَكَنَ فِي مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ» ومثل قوله تعالى «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ

عادر وثمود . . ومثل قوله تعالى « أَلَا بُعْدًا لِلْمُذِينَ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودَ » ومثل هذا في القرآن كثير . . ومنه في الشعر قول السموءل بن عاديا
 وإنا لقومٌ لا نرى القتلُ سُبَّةً إذا مارأته عامرٌ وسلولُ
 يُقَرَّبُ حُبُّ الموتِ آجالنا لنا ونكرهه آجالهم فتطولُ
 . . وقال آخر

ولا عيبَ فينا غيرُ عِرْقٍ لمعشرٍ كرامٍ وأنا لا نخطُّ على الرَّمَلِ
 يربدُ أنا لَسْنَا بِمَجْنُونٍ فَانِ الْمَجْنُونُ كَانَتْ تَزْعُمُ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِذَا تَزَوَّجَ أُخْتَهُ أَوْ
 ابْنَتَهُ فَجَاءَتْ مِنْهُ بَوْلْدٌ أَنَّ ذَلِكَ الْوَلَدَ إِذَا خَطَّ بِيَدِهِ عَلَى دَاءِ النَّمْلَةِ إِبْرَاهِمَ

❦ القسم العشرون ❦

(في التورية)

وهو أن يعلق التكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يردّها بعينها ويعاقلها بمعنى آخر
 وهو في القرآن العظيم كثير . . من ذلك قوله تعالى « حَقٌّ نَوْنِي مِثْلَ مَا أَوْنِي رَسَلُ اللَّهِ
 اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ » الآية الجلالة الأولى مضاف إليها والثانية مبتدأ بها . وقوله
 تعالى « وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » ومثله قوله
 تعالى « لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ »

❦ القسم الحادي والعشرون ❦

(الاحتجاج النظري)

وبعض أهل هذا الشأن يسميه المذهب الكلامي . . وهو أن يذكر التكلم معنى
 يستدل عليه بضرب من المعقول . . ومنه قوله تعالى « أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

والارض بقادر على ان يخلق مثلهم» . وقوله عز وجل « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » . وقوله تعالى « قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » . ومنه قول الشاعر

كجَرى القضاء بما فيه فلا تلم ولا ملام على ما خُطَّ بالقلم
.. وقيل إن الاحتجاج أن يخرج الكلام على طريقة الجدل كقول النابغة
ملوكٌ واخوانٌ اذا ما آتيتُهُم أَحَكَمُ فى أموالهم وأقربُ
كفعلك فى قومٍ أراك اصطنعتهم فلم ترهُم فى شُكر ذلك اذنبوا
بقول لا تلمنى فى مدح آل جفنة وقد أحسنوا الى كما أحسنت الى قوم فشكروك فلم
ير ذلك ذنباً

❦ القسم الثانى والعشرون ❦

(حسن المطالع والمبادئ . ويقال فيه حسن الافتتاح)

قال علماء علم البيان . . . ومن ضروب هذا العلم حسن المطالع والفوائح وذلك دليل
على جودة البيان وبلوغ المعانى الى الازدهان فانه أول شئ يدخل الاذن وأول معنى يصل
الى القلب وأول ميدان يحول فيه تدبر العقل وهو فى القرآن العظيم على قسمين . جلى
وخفى . أما الجلى فكقوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » . وكقوله تعالى « الحمد
لله الذى خلق السموت والارض وجعل الظلمات والنور » . وقوله « تبارك الذى
بيده الملك وهو على كل شئ قدير » وأكثر مطالع سور القرآن على هذا النمط
.. وأما الخفى فمثل قوله تعالى « ألم ذلك الكتاب » . وقوله « ألم الله لا إله إلا
هو الحى القيوم » . وقوله « المص » . وقوله « حم » . وقوله « ق » والقرآن
.. وقوله « نون والقلم » وما يجرى مجرى ذلك من السور التى أفتحت بالحروف المفردة
والمرکبة وسيأتى الكلام عليها فى فصل مفرد

— القسم الثالث والعشرون —

﴿ حسن المقطع ﴾

وهو عند أرباب هذا الشأن أن يختم المتكلم كلامه بكلام حسن السبك بديع المعنى فانه آخر ما يبقى في الذهن ولانه ربما حفظ من دون سائر الكلام فيتعين أن يجتهد في رشايقه وحلاوته وجزالته وجميع خواتم سور القرآن في غاية الحسن ونهاية الكمال لانها بين • أدعية • ووصايا • وفرائض • وقضايا • وتحميد • وتهليل الى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى للنفوس بعدها تطاع ولا الى ما يعقبها تشوف — كالدعاء — التي ختمت به سورة البقرة — والوصايا — التي ختمت بها سورة آل عمران — والفرائض — التي ختمت بها سورة النساء — والتبجيل • والتعظيم — اللذين ختمت بهما سورة المائدة — والوعد • والوعيد — اللذين ختمت بهما سورة الانعام — والتحريض — على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به سورة الاعراف — والحض على الجهاد • وصلة الرحم — التي ختمت بهما سورة الانفال • ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه وتسلية ووصيته بالتهليل التي ختمت به سورة براءة • وتسايته التي ختمت بها سورة يونس ومثاها خاتمة سورة هود • ووصف القرآن ومدحه اللذين ختمت بهما سورة يوسف • والرد على من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ختمت به سورة الرعد • ومدح القرآن وذكر فائدته والعلّة في انزاله التي ختمت به سورة ابراهيم • ووصية الرسول التي ختمت بها سورة الحجر • وتسايته صلى الله عليه وسلم وطهائنته ووعد الله سبحانه الذي ختمت به سورة النحل • والتحميد الذي ختمت به سورة سبحان • وتحضيض الرسول صلى الله عليه وسلم على الابلاغ والاقرار بالبشرية والأمر بالتوحيد الذي ختمت به سورة الكهف • وما ذكر في نصف القرآن مثال لمن نظر في بقيته الى غير ذلك من فواصل القرآن

— القسم الرابع والعشرون —

(في براءة الاستهلال)

وهو أن يذكر الإنسان في أول خطبته أو قصيدته أو رسالته كلاماً دالاً على الغرض الذي يقصده ليكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه كما قيل لـ كاتب أ كتب إلى الأمير وعرفه بأن بقرة ولدت حيواناً على شكل الإنسان فكتب . أما يعد حمد الله الذي خالق الأنعام في بطون الأنعام . ومنه قوله تعالى « ألم غابت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غابهم سيغلبون » . ومنه قوله تعالى « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » . ومنه في القرآن كثير . . وشرطه أن لا يبدأ بشيء يُتطير منه كقوله الاخطل

إذا مُتَّ مات الجودُ وانقطع الندى ولم يبقَ إلا من قليلٍ مُصرَّدٍ
 . . وان يجنب التشيب بالاسم المستكره كقول جرير
 وتقول بوزعٌ قد دنت لغيرنا هلا هويت لغيرنا يا بوزع^(١)
 . . بل يتبدى بالمديح مثل قول أبزون العماني
 على منبر العلياء جدك يخطبُ وللبلدة العذراء سيفك يخطبُ
 وفي التهاني بمثل قول المتنبي
 المجدُ عوفي إذ عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الالمُ
 . . وقول الآخر
 أبشر فقد جاء ما تريدُ وبأدأ أعداءك المبيدُ
 . . وفي التشيب كمثله قوله
 زَمُوا الجمالَ فقلْ للعاذلِ الجاني لا عاصمَ اليوم من مدرار أجفاني

(١) هكذا في الاصل والمحفوظ

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئت لغيرنا يا بوزع

•• وفي المراتى بمثل قول أوس

أيتها النفسُ أنجلى جزعاً إن الذى تحذرين قد وقعا

(قال المصنف) عفا الله عنه هذا النوع قد قدمناه فى فصل حسن المطلع لكن الزنجاني رحمه الله أفرد له باباً فأفردناه على حكم ما أفردهُ وكان فى فصل حسن المطلع زيادات يحتاج إليها فذكرناها هاهنا وهذه الزيادة التى اقتضت إفراده

❧ القسم الخامس والعشرون ❧

(الانتقال من فن الى فن • ويسمى التخلص • والكلام عليه من وجوه)

الاول فى حقيقته • الثانى فى شرطه • الثالث فى الفرق بينه وبين الاقتضاب •
الرابع فى المعنى الذى جىء به من أجله • الخامس فى ذكر من هو أحق باستعماله
(أما الاول) فقال علماء علم البيان التخلص هو أن يأخذ المؤلف فى معنى من المعانى
فبينما هو فيه اذ أخذ فى معنى آخر غيره وجعل الاول سبباً اليه فيكون بعضه آخذاً
برقاب بعض من غير أن يقطع المؤلف كلامه ويستأنف كلاماً آخر بل يكون جميع
كلامه كأنما أفرغ ا فراغا (وأما الثانى) فمن شرطه أن يكون انتقاله من فن الى فن
ببديع وحسن رصف ووجازة لفظ ورشاقة معنى ليكون الذى انتقل اليه أقرب الى
القلب وأعلق بالنفس من المعنى الذى انتقل عنه (وأما الثالث) فالفرق بينه وبين
الاقتضاب أن التخلص لا يكون الا لعلاقة بينه وبين ما تخلص منه • وأما الاقتضاب
فليس شرطه أن يكون بينه وبين ما قبله علاقة بل يكون كلاماً مستأنفاً منقطعاً عن
الاول (وأما الرابع) فالمعنى الذى جىء به من أجله شيان • أحدهما معرفة حذق
المتكلم وقوة ملكته فى التلاعب بالكلام وتصرفه فيه وطول باعه واتساع قدرته فى
الفصاحة والبلاغة • والثانى التفنن بحصول ملاذ كثيرة وتكون لذته بأمور اقتضاها
اعمال الفكرة فيما يتخلص به من بديع المعنى ورشيق اللفظ وحسن النسق (وأما الخامس)

فالأحق باستعماله الشاعر فإن الشاعر تحصره القوافي والاوزان فيضيق عليه النطاق اذا اقتصر على معنى واحد فتدعو حاجته الى الخروج من فن الى فن ومن معنى الى معنى ليتسع نطاقه ويتحقق ارفاقه بخلاف الناثر فانه مطلق العنان ممدود الباع منبسط البنان يمضى حيث شاء ويتفنن في الانشاء . . . وقد ورد في القرآن العظيم من هذا النوع آيات كثيرة . منها قوله تعالى « قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفأنتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدوا لى الأرب العالمين الذى خلفنى فهو يهدين » لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم الى ذكر صفات الله عز وجل قال - ان أولئك أعداء لى الأ الله - فانقل بطريق الاستثناء المنفصل وهو خير من غيره من الكلام ومثله فى القرآن كثير

﴿ القسم السادس والعشرون ﴾

﴿ فى الاقتضاب . والكلام عليه من وجوه ﴾

الاول فى حقيقته . الثانى فى المعنى الذى أتى به من أجله . الثالث فى أقسامه الرابع فى أدواته . الخامس فى الفرق بينه وبين التلخيص . السادس فى ذكر اختلاف الأئمة فى الأبلغ منهما ﴿ أما الأول ﴾ فقال علماء علم البيان ان الاقتضاب ضد التلخيص وذلك أن يقطع الناظم كلامه الذى هو فيه ويستأنف كلاماً آخر غيره من مدح أو هجاء أو غير ذلك ولا يكون لثنائى علاقة بالأول ولا تلفيق بينه وبينه وهو مذهب القدماء والذاك قال أبو العلاء محمد بن غانم الغسانى ان كتاب الله العزيز خال من الاقتضاب والتلخيص . وهذا القول قاس لأن حقيقة التلخيص انما هى الخروج من كلام الى كلام آخر غيره بلطفية تناسب بين الكلام الذى خرج منه والكلام الذى خرج اليه وفى القرآن العظيم مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعد والتذكير والانداز والبشارة بالجنة الى أمر ونهى ووعد ووعد ومن محكم الى متشابه ومن صفة لنبى ونبى منزل

الى ذم شيطان مرید وجبار عنید بلطائف دقيقة ومعان آخذة بالقلب أنيقة . . فما جاء من التخلّص فی القرآن الکریم قوله تعالى « واتلّ علیهم نبأ إبراهيم إذ قال لابیہ وقومہ ما تعبدون قالوا نعبدُ أصناماً فنظّلُ لها عاکفین قال هل یسمعونکم إذ تدعون » الى قوله « فلو أن لنا کثرةً فَنَکونَ من المؤمنین » الآیات . هذا کلام یذهل العقول ويحیر الالباب وفيه کفاية لطالب البلاغة والمنتصب لهذه الصناعة فانه متى أنعم فيه النظر وتدبر أنباءه ومطاوی حکمته علم أن فی ذلك غنی لمن تصفح الکتب المؤلفة فی هذا الفن . ألا ترى أيها المتأمل ما أحسن ما رتب ابراهيم عليه الصلاة والسلام کلامه مع المشرکین حين سألهم أولاً عما یعبدون سؤال مقرر لاسؤال مستفهم ثم أنحى الى آلہتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع والى تقليد آبائهم الاقدمین فکشفه وأخرجه من أن يكون شبهة فضلاعن أن يكون حجة ثم أراد الخروج من ذلك الى ذکر الاله الذی لا تجب العبادة إلاله ولا یبنی الرجوع والانابة الا الیه فصور المسئلة فی نفسه دونهم لقوله - فانهم عدوّ لی الآ ربّ العالمین - على معنى انی فکرت فی أمری فرأیت عبادتی لها عبادة العدو وهو الشیطان فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخیر کله منه وأراهم بذلك انها نصیحة ینصح بها نفسه لينظروا فيقولوا ما نصحننا ابراهيم الابنا نصح به نفسه فيكون ذلك ادعى لهم الى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال - فانهم عدوّ لکم - لم تكن بتلك المثابة فتخلص عند تصویره المسئلة فی نفسه الى ذکر الله تعالى وأجرى تلك الصفات العظام من تفخيم شأنه وتعدد نعمه من لدن خلقه وإنشائه الى حين وفاته مع ما یرجو فی الآخرة من رحمته ليعلم بذلك أن من هذه صفاته حقیق بالعبادة وواجب على الخلق الخضوع له والاستکانة من عظمتہ ثم خرج من ذلك الى أدعية مناسبة فدعا الله بدعوات المخلصین وابتهل الیه ابتهاًل الأوابین لأن الطالب من مولاه والراغب الیه اذا قدّم قبل سؤاله وضراعتہ الاعتراف بالنعمة والاقرار بالاحسان کان ذلك أسرع بالاجابة وأنجح لحصول القصد والطلبۃ ثم أدرج فی ضمن دعائه ذکر البعث يوم القيامة ومجازات الله تعالى لمن آمن به بانابة الجنة ولمن ضل عن عبادته بالنار فجمع بین الترغيب فی طاعته والترهيب من معصيته ثم سأل المشرکین عما كانوا یعبدون من الاصنام سؤال

موجب لهم مستهزء بهم وذكر ما يُدفعون اليه عند ذلك من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتنتى العودة ليؤمنوا . فانظر أيها المتأمل الى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقاب بعض مع احتوائه على لطيفة دقيقة حتى كأنه معنى واحد وخرج من ذكر الاصنام وتقريره لآبيه وقومه من عبادتهم إياها مع ما هي عليه من التعرى عن صفات الالهية حيث لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع الى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الالهية وعظم شأنه وعدد نعمه ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح الا له ثم خرج من هذا الى دعائه إياه وخضوعه له ثم خرج منه الى ذكر يوم القيامة وثواب الله عز وجل وعقابه فتدبر هذه التخليصات اللطيفة وضم هذا الى غيره من تضمين هذا الكلام بأنواع من صناعة التأليف وهى الایجاز والكناية والتقديم والتأخير ثم إنابة الفعل الماضى عن الفعل المضارع . فأما الایجاز فلا خفاء به على العارف بما أشرنا اليه فى بابہ الذى سبق ذكره أولا وان من جملة قوله تعالى « وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوین » فانه جمع الترغيب فى طاعته والترهيب من معصيته مع عظمهما ونخامة شأنهما فى هذه الكلمات اليسيرة . وأما الكناية فقوله - وبرزت الجحيم للغاوین - والغاوون هنا كناية عن آبيه وقومه ويدل على ذلك قوله وقيل لهم . أين ما كنتم تعبدون من دون الله - لان كلامه فى الاول كان معهم فى عبادتهم للاصنام . وأما التقديم والتأخير فانه ذكر ابراهيم النعمة وتعدد الاحسان قبل الدعاء وطلب الحاجة . وأما انابة الفعل الماضى عن المضارع فقوله - وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوین وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله - بعد قوله - ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقابٍ سليم - وفى ذلك من الفائدة ما أشرنا اليه فى بابہ وقد سبق ذكره (وأما الثانى) فالمعنى الذى أتى به من أجله تشوف النفس بعد قطع الكلام الاول الى الكلام الثانى الذى بعده ولا سيما اذا لم يكن بفاصلة فانه يدل على تمكن المتكلم فى البلاغة وقوة ملكته فى التلاعب بالكلام وجودة فكرة المؤلف وحسن فطرة السامع وصحة ذهنه (وأما الثالث) فقال علماء البيان هو على قسمين . منه ما يكون بفاصلة . ومنه ما لا يكون بفاصلة وهو بالفاصلة أحسن

لأن بها تتشوف النفس الى المعنى الثانى فتكون له لذّة أشد مما اذا ورد بغتة (وأما الرابع) فأدواته فواصله وهى - أما بعد - وقيل إن أول من تكلم بهارسول الله ثم تداولها الناس بعده - وهذا - وهذه - وقد يذكّر لهما خبر كقوله تعالى « هذا ذكركم وإن للمتقين لحسن مآب » وقد لا يذكّر لهما خبر كقوله تعالى « هذا وإن للطاغين لشر مآب » وكما قال الشاعر

هذا وكم لى بالجنة سكرة أنا من بقايا شربها مخمور

.. وقد قال ابن الاثير فى جامعه فى قوله تعالى « واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار » الى قوله « جنات عدن مفتحة لهم الأبواب » ألا ترى ما ذكر قبل هذا ذكر من ذكر من ذكر من الأنبياء وأراد أن يذكر بعده بابا آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها فقال - هذا ذكر - ثم قال - وإن للمتقين لحسن مآب - ويدل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال - هذا وإن للطاغين لشر مآب - وذلك من فضل الخطاب الذى هو اللطف موقفاً من التخاص فاعرفه .. ومن بديع الاقتضاب قوله تعالى « ويل للمطففين » الى قوله « لرب العالمين » ثم اقتضب فقال « كلاً إن كتاب الأبرار لى عاتين » .. وهو فى القرآن كثير جداً وأكثر ما يرد فى ذكر القصص وهذا من النوع الاول من الاقتضاب لأنه بلا فاصلة .. وقال ابن الاثير ومما استطرف من هذا النوع قول ابن الزملى كانى^(١)

وليل كموج البر قعيدى ظلمة وبرد أعاليه وطول قرؤونه

سريت ونومى فيه نوم مشرذ كعقل سامان بن فهديودينه

على أولقى فيه التفات كأنه أبو جابر فى خطبه وجنونه

الى أن بدا ضوء النهار كأنه سناوجه قرّواش وضوء جبينه

وقال إن هذه الابيات لها حكاية وذلك أن هذا الممدوح كان جالساً فى ندمائه فى ليلة

(١) ابن الزملى كانى هذا تصحيح منا اعتماداً على حفظنا وفى الاصل ابن الزملى كلفه

.. وقد أورد الابيات التلوخى فى كتابه الاقصى القريب فى باب التخلص والاقتضاب

ولم يسم القائل

من ليالى الشتاء وفي جملتهم هؤلاء الذين هجاهم الشاعر كان البرقعيدى مغنياً وسليمان بن
فهد وزيراً وأبو جابر حاجباً فالتبس الممدوح من الشاعر أن يهجو المذكورين ويمدحه
(قال المصنف عفا الله عنه) هذا الذى ذكره ابن الاثير قد أوردته علماء علم البيان فى
باب الاستطراد وهو به أمس وأليق



❖ القسم السابع والعشرون ❖

(فى التطبيق)

ويسمى المطابقة والطباق والتكافؤ والتضاد . والكلام عليه من وجوه

الاول فى حقيقته . الثانى فى اشتقاقه . الثالث فى أقسامه (أما الاول) فقال علماء
علم البيان هو أن يجمع فى الكلام بين متضادين مع مراعاة التقابل بحيث لا يضم الاسم
الى الفعل ولا الفعل الى الاسم وهو كقوله تعالى « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً »
وقوله تعالى « وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود » . وقوله تعالى « سواء منكم من أسر
القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » . وقوله تعالى « قل
اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتُعزّ من تشاء وتذلّ
من تشاء بيدك الخير » الى قوله « وترزق من تشاء بغير حساب » . وقوله تعالى
« وأنه هو أضحك وأبكى » ومثله فى القرآن كثير . ومن ذلك فى أشعار العرب
ومخاطباتهم كثير . . فمن بديع أشعار العرب قول الحارث بن حلزة

بأنّا نورِدُ الرّاياتِ بيضاً ونُصدِرُهنَّ نُحمرّاً قدروينا

جمع فى هذا البيت بين الطباق والمقابلة . . وأبدع منه قول بعض المتأخرين

فأوردَها بيضاً ظمَاءً صُدُورُها وأصدَرَها بالرّيحِ ألوانها حمرُ

. . قال ابن الاثير أجمع جماعة علماء من أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة فى الكلام
مى الجمع بين الشئ وضده كالبياض والسواد والليل والنهار وخالفهم فى ذلك أبو الفرج

قدامة بن جعفر الكاتب فقال المطابقة ايراد لفظتين متساويتين في البناء والصفة مختلفتين في المعنى وهذا الذى ذكره قدامة هو التجنيس بعينه غير أن الاسماء لا مشاحة فيها إلا اذا كانت مشتقة ولننظر نحن فيما حمله على ذلك • والذى حمل قدامة على ذلك ما اقتضاه اشتقاق لفظ الطبايق وسنبينه (وأما الثانى) فاشتقاق الطبايق وأصله فى اللغة من طابق البعير فى سيره اذا وضع رجله • وضع يده وهذا يقوى قول قدامة لان اليد غير الرجل لا ضدها والموضع الذى يقعان فيه واحد فكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذى يجمعهما واحداً • • وأما الجماعة فيحتمل أن يكونوا رأوا أن الرجل مخالفة لليد فراعوا المخالفة والضد مخالف للضد لا اجتماع لهما وهذا عين التضاد • ويجوز أن يكون الجماعة سموا هذا الضرب من الكلام مطابقة تسمية مرتجلة لا اشتقاق لها ولا مناسبة وهذا هو الظاهر من هذا الأمر إلا أن يكونوا قد عاموا لذلك مناسبة لطيفة لم يطلع عليها غيرهم والصحيح هو الأول لأن بعضهم سماه التضاد وهذا دليل على مراعاة الاشتقاق (وأما الثالث) فقد قسم أرباب علم البيان الطبايق الى قسمين • لفظي • ومعنوي • • أما اللفظي فهو على قسمين • الاول ما قدمناه • والثانى أن يجمع بين شيئين موافقين وبين ضديهما ثم اذا اشترطهما بشرط وجب أن يشترط ضديهما بضد ذلك الشرط كقوله تعالى « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى » الآية • فكما جعل النيسير للنيسرى مشروطاً بالاعطاء والتقى والتصديق جعل ضده وهو العسر مشروطاً بأضداد تلك الامور وهى المنع وعدم الاتقاء والاستغناء والتكذيب • • وأما المعنوي فعلى قسمين الاول أن يزواج بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحترى

(١)

• • والثانى فى النفي كقول البحترى أيضاً

يُقَيِّضُ لى من حيثُ لا أعلمُ النوى ويسرى إلى الشوق من حيثُ أعلمُ
• • والطبايق فى القرآن كثير • • ومنه فى السنة قوله صلى الله عليه وسلم — علم الانساب

علم لا ينفع وجهل لا يضر - وقوله صلى الله عليه وسلم في مدح الانصار - إنكم لتقلون
عند الطمع وتكثرون عند الجزع .. ومن الطباق البديع قول الشاعر
إن هذا الربيع شئ عجيبٌ تضحك الأرض من بكاء السماء

❦ القسم الثامن والعشرون ❦

(المقابلة • والكلام عليها من وجوه)

الأول في حقيقتها • الثانى فى اشتقاقها • الثالث فى أقسامها • الرابع فى الفرق
بينها وبين الطباق (أما الاول) فقال جماعة من العلماء بهذا الشأن المقابلة ذكر الشئ
مع ما يوازيه فى بعض صفاته ويخالفه فى بعضها .. وقال بعضهم المقابلة أن تضع معانى
تريد الموافقة بينها وبين غيرها أو مخالفة فتأتى فى الموافق بما وافق وفى المخالف بما
خالف وتشترط شروطاً وتعدد أحوالاً فى أحد المعنيين فيجب أن تأتى فى الثانى بما
يوافقه بمثل ما شرطت وعددت وفيما يخالفه بأضداد ذلك كقوله تعالى « فأما من
أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى
فسنيسره للعسرى » وكقول الشاعر

فيا عجيباً كيف انفقنا فناصرٌ وفى مطوى على الغلّ غادرٌ

(قال المصنف عفا الله عنه) قال الامام نحر الدين رحمه الله هذا النوع فى فصل الطباق
وذكره الزنجاني فى فصل المقابلة والذى اختاره العلماء المتقدمون فى هذا الفن أن المقابلة
ذكر الشئ مع ما يوازيه فى بعض صفاته ويخالفه فى بعضها كما تقدم (وأما الثانى) فالمقابلة
مصدر من قابل الشئ الشئ يقابله مقابلة اذا واجهه وصار ماثلاً أمامه وهو من باب
المفاعلة كالمضاربة والمقابلة وأصله فى الاجرام يقال قابل الشخص الشخص والجبل الجبل
اذا واجهه وناوحه اذا صار موازياً له ماثلاً أمامه ثم توسع فيه حتى استعمل فى المعانى
ولما وضع المؤلف الكلمة بازاء الكلمة الأخرى والمعنى بازاء المعنى الآخر حصلت
المقابلة من جهة اللفظ تارة ومن جهة المعنى أخرى (وأما الثالث) فأقسامها ثلاثة •

مقابلة لفظية • وهى على قسمين وقد تقدم • ومقابلة معنوية • وهى على قسمين ايضا •
الاول أن يقابل معنى بمعنى مثل « إنَّ لك أن لا تجوعَ فيها ولا تمرى وأنك لا تظأُ
فيها ولا نضحى » وجهُ المقابلة فى هذه الآية أن - الجوع - هو خلو الباطن - والعرى -
خلو الظاهر - والظأ - احتراق الباطن - والنضحى - احتراق الظاهر • فقابل الخلو
بالخلو والاحتراق بالاحتراق • والثانى أن يجيء فى السلب كقول الفرزدق

لعمري لئن قلَّ الحصى فى رحالكم بنى نهشل ما لؤمكم بقليل

• والثالث المقابلة الفاسدة وهو أن يقابل الشئ بما لا يوافق ولا يخالفه كقول الكميت
وقد رأين بها حوراً منعمة بيضا تكامل فيها الدل والشنب

-والشنب- لا يشاكل الدل • وهذان القسمان ذكرهما الزنجاني فى تكلماته • والمقابلة
قريب من الطباق للمشابهة من بعض الوجوه والمخالفة من وجهين نذكرها بعد هذا
القسم (وأما الرابع) فالفرق بين المقابلة والطباق من وجهين • الاول أن الطباق
لا يكون إلا ضدّين غالباً مثل قوله تعالى « وهو الذى يُميتكم ثم يُحييكم » وأشبه ذلك
• والمقابلة تكون غالباً بالجمع • ن أربعة أضداد • ضدّين فى أصل الكلام • وضدّين فى
عجزه • وتبلغ الى الجمع من عشرة أضداد • خمسة فى الصدر • وخمسة فى العجز • • الثانى
لا يكون الطباق إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وغيرها • وقد ورد فى أشعار
العرب والمتأخرين أبيات كثيرة يتضمن البيت منها مقابلةتين وطباقين • • فن ذلك قول
الحارث بن حلزة

بأنّا نورِدُ الرايات بيضاً ونُصدِرُهنَّ حمرّاً قدروينا

• • ومن ذلك قول بعض المتأخرين

فأوردها بيضاً ظمأ صدورها وأصدرها بالرّى ألوانها حمر

• • قال ابن الاثير فى جامعه ان الطباق أحد أنواع المقابلة لانه لا يخلو الحال فى ذلك
من ثلاثة أقسام • اما أن يقابل الشئ بضده أو بغيره أو بمثله وليس لنا قسم رابع •
فأما الاول وهو مقابلة الشئ بضده كالسواد والبياض وما أشبه ذلك كقوله تعالى
« فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً » ألا ترى الى صحة هذه المقابلة البديعة حيث قابل

الضحك بالبكاء والقليل بالكثير . وكذلك قوله تعالى « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » وهذا أحسن ما يجيء في هذا الباب . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - خير المال عين ساهرة لعين نائمة - ومن هذا قول بعضهم في السحاب وله بلا حزن ولا فرح ضحك يراوح بينه وبكاء

فقابل الضحك بالبكاء والحزن بالسرور في بيت واحد إلا أن في ذلك نظراً من حيث ترتيب التفسير لا من حيث المقابلة لأن ترتيب التفسير يقتضى أن كان قال - بلا حزن ولا مسرة بكاء يراوح بينه وضحك - وهذا لا كبير عيب فيه . وإنما الأولى والأليق ما أشرنا إليه فاعرفه . . . وقال آخر

فلا الجودُ يُفنى المالَ والجَدُّ مَقْبَلٌ ولا البخلُ يَبقى المالَ والجَدُّ مُدْبِرٌ . . . ومثله قول البحترى

وأمة كأن قبَّحُ الجورِ يَسْخَطُها دهرًا فأصبح حسنُ العدلِ يُرضيها
فقابل القبح بالحسن والجور بالعدل والسخط بالرضا وذلك بديع في بابه فاعرفه .
وأما القسم الثاني وهو مقابلة الشيء بغيره فهو ضربان . أحدهما ما كان بين المقابل والمقابل له مناسبة وتقارب كقول بعضهم

يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفَرَةً ومن أساءة أهل السوء إحساناً
والظلم ليس ضد المغفرة وإنما هو ضد العدل إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل مناسبة له حسنت المقابلة بينها وبين الظلم وأمثال هذا كثير . وأما القسم الثاني أن يقابل الشيء بالشيء وبينهما بُعد ولا يناسبه بحال من الأحوال . أقول وذلك لا يحسن استعماله في التأليف . . . ومما جاء منه قول بعضهم

أَمْ هَلْ ظَعَائِنُ بِالْعُلَيَاءِ رَافِعَةٌ وإن تكامل منها الدل والشنب
فان ذلك غير مناسب لأنه إنما كان يحسن أن يكون مع الدل الغنج أو ماقاربه ومع الشنب اللبس أو ما يجري مجراه من اوصاف الثغر والفم . وأما الثالث فهو ان يقابل الشيء بمثله وهو ضربان . أحدهما التقابل في اللفظ والمعنى . والآخر التقابل في المعنى دون اللفظ . أما التقابل في اللفظ والمعنى فكقوله تعالى « وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرُؤًا مَكَرًا » وقوله

تعالى « فَانْسُوا اللَّهَ فَانْسِيهِمْ » . وأما التقابل في المعنى دون اللفظ فهي مقابلة الجملة لمثلها مستقبله كانت أو ماضية فإن كانت ماضية قوبلت بالماضية وإن كانت مستقبله قوبات بالمستقبله وربما قوبل الماضي بالمستقبل والمستقبل بالماضي وذلك إذا كان أحدهما في معنى الآخر . فمن ذلك قوله تعالى « قل إن ضللتُ فأنما أضل على نفسي وإن أهديتُ فبما يوحى إلى ربى » فإن هذا تقابل من جهة المعنى ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال وإن أهديت فأنما أهديت لها . . . وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى أن النفس كلما هو عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبال^١ عليها وضار لها فهو بسببها ومنها لأنها أماره بالسوء وكل ما هو لها مما ينفعها فبهديته ربها وتوفيقه إياها وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسند إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحتَه مع علو محله وسداد طريقته كان غيره أولى به . ومن هذا الضرب قوله تعالى « ألم يروا أناجعنا الليلَ ليسكنوا فيه والنهار مبصرًا إن في ذلك لآياتٍ لقوم يؤمنون » فانه لم يراعِ التقابل في قوله - ليسكنوا فيه فيه . ومبصرًا - لأن القياس يقتضى أن يكون والنهار ليبصروا فيه وإنما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ وهكذا النظم المطبوع الغير المتكلف لأن معنى قوله مبصرًا ليبصروا فيه طرق القلب في الحاجات . ومن مقابلة الشيء بمثله أنه إذا ذكر المؤلف ألفاظاً تقتضى جواباً فالمرضى عندنا أن يأتى بتلك الالفاظ في الجواب من غير عدول عنها إلى غيرها مما هو في معناها . فمن ذلك قوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » ومما عيب في هذا الباب قول بعضهم من اقترف ذنباً عامداً أو اكتسب جرماً قاصداً لزمه ما جناه وحق به ما توخاه . والأليق أن كان لزمه ما اقترف وحق به ما اكتسب ليكون أحسن طباقاً وإن كان ذلك جائزاً في الكلام من حيث أن معناه صواباً لكنه عدول عن الأليق والأولى في هذا الباب وأمثاله كثيرة فاعرفها . واعلم أن في تقابل المعانى بابا عجيب الامر يحتاج إلى فضل تأمل وزيادة نظر وتدبر وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور وبالعجاز من أبيات الشعر . . فما جاء من ذلك قوله تعالى في حق المنافقين « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا » إلى قوله « ولكن لا يشعرون » . وقوله تعالى « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا »

الى قوله « ولكن لا يعلمون » ألا ترى كيف فصل الآية الاخيرة بـ يعلمون والآية التي قبلها يشعرون وانما فعل ذلك لان أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة والعلم ولذلك قال - ولكن لا يشعرون - وأما النفاق وما فيه من المعنى المؤدى الى الفتنة والفساد في الارض فأمر دنيوى مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصاً عند العرب وما كان فيهم من التجارب والتعاون فهو كالمحسوس عندهم فلذلك قال - يعلمون - وأيضاً فإنه لما ذكر السفة في الآية الاخيرة وهو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقاً فقال - لا يعلمون - وآيات القرآن العظيم جميعها فصلت هكذا كقوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبغ الارض مخضرةً إن الله لطيفٌ خبيرٌ » . وقوله « له ما في السموات وما في الارض وإن الله لهو الغنى الحميد » . ومكمله « ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات والارض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا بأذنه إن الله بالناس لرؤوفٌ رحيمٌ » فإنه انما فصلت الآية بلطيف خبير لان ذلك في موضع الرحمة خلقه بانزال الغيث واخراج النبات من الارض ولانه خبير بمنفعتهم وضررتهم في انزال الغيث وغيره . وأما الآية الثانية فانما فصلت بغنى حميد لانه له ما في السموات وما في الارض فعرف الناس أن جميع ما في السموات وما في الارض له لا حاجة بل غنى عنها جواد بها لان ليس غنى نافعاً بغناه الا اذا كان جواداً منعماً واذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه واستحق عليه الحمد فذكر الحميد - ليدل على أنه الغنى النافع بغناه خلقه . وأما الآية الثالثة فانها فصلت - برؤوف رحيم - لانه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الارض لهم واجراء الفلك في البحر لهم وتسييرهم في ذلك الهول العظيم وجعله السماء فوقهم وامساكه اياها عن الوقوع حسن أن يفصل ذلك بقوله - رؤوف رحيم -

❦ القسم التاسع والعشرون ❦

(الاحتراس)

وهو أن يذكر لفظاً ظاهره الدعاء بالخير والنفع وذلك بما في ضمنه مما يوهم الشر فيذكر فيه كلمة تزيل ذلك الوهم وتدفع ذلك الوهن مثل قوله تعالى « يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا » وكان في العادة أن من تكلم في المهد لا يعيش ولا يمتدئ به العمر فصل الاحتراس بقوله تعالى -- وكهلاً -- يريد أنه ليس يموت عاجلاً كأمثاله ممن تكلم في المهد بل يعيش إلى أن يبلغ الكهولة • ومنه قوله تعالى « وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ » أزال بقوله -- من غير سوء -- توهم أن بياض اليد من برص وغيره • • وقد ورد في أشعار العرب من هذا كثير • من ذلك قول بعضهم

فسقا ديارك غير مُفسدِها صوب الرِّبيعِ وديمة تهى

فاحترس بقوله -- غير مفسدِها -- لأن تكرار الماء على الديار مما يوجب الدمار • • وقال آخر

ألا فاسمى يا دارمى على البلاء ولازال منهالاً بجرعائك القطرُ

فاحترس بقوله -- ألا فاسمى -- ومثله في القرآن والشعر كثير

❦ القسم الموفى ثلاثين ❦

(الاختصاص)

وهو عند الأصوليين التخصيص واختلفت فيه عبارات أهل العلم • فقال بعضهم هو إخراج صورة من حكم كان يقتضيها الخطاب به لولا التخصيص وهو شبيه بالنسخ من حيث اشتراكهما في الابس ومن حيث أن كل واحد منهما يقتضى اختصاص الحكم ببعض ما تناوله اللفظ إلا أنهما يفترقان من وجوه خمسة • الأول أن الناسخ أبداً

لا يكون إلا متأخراً عن المنسوخ كذا وقع في جميع ما نسخ من الكتاب والسنة إلا في آيتين . أحدهما قوله تعالى « مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ » فلها منسوخة بما قبلها وهو قوله تعالى « وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَزُرُّونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً » وهذا على خلاف الأصل وقد يعتذر عن هذا بأن آية الحول إنما نسخت بالسنة لكن لا يتأتى هذا إلا على قول من يقول إن السنة تنسخ الكتاب . وأما على قول أنها لا تنسخه فلا يتأتى هذا . وقد يقال إن آية الحول نزلت قبل آية الأشهر ولكن آية الأشهر أثبتت في الصحف قبلها فكان آية الحول مقدمة في النزول متأخرة في التلاوة (الثاني) أن النسخ لا يكون إلا بخطاب رفع به حكم الخطاب الأول والتخصيص قد يقع بقول وفعل وقياس وغير ذلك (الثالث) أن نسخ الشيء لا يكون إلا بما هو مثله في القوة أو بما هو أقوى منه في الرتبة والتخصيص جائز بما هو دون المخصوص في الرتبة (الرابع) أن التخصيص لا يقع في حكم واحد والنسخ جائز في مثله لاسيما على أصل من ينفي نسخ الشيء قبل وقته (الخامس) أن التخصيص ما أخرج من الخطاب ما لم يرد به والنسخ رافع ما أريد اثبات حكمه . والذي اعتد عليه المحققون أن التخصيص إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام أو ما يقوم مقامه بدليل منفصل في الزمان إن كان المخصص لفظياً أو بالحس إن كان عقلياً قبل تقرير حكمه . فقولنا - أو ما يقوم مقامه - احتراز من المفهوم فانه يدخله التخصيص . وقولنا - بالزمان - احتراز من المستثنى من الاستثناء . وقولنا - بالحس - لأن العقلي المخصص مقارن . وقولنا - قبل تقرير حكمه - احتراز من أن يعمل بالعام فإن الإخراج بعد هذا يكون نسخاً . . . والتخصيص يسميه أرباب علم البيان الاختصاص عندهم ولا يحسن إلا أن يكون اختصاص الشيء بمعنى ظاهر مثل قوله تعالى « وَإِنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى » اختصاصه دون سائر النجوم لأنها مُعْبَدَت . وقيل إن النجوم تقطع السماء طولا وهي تقطعها عرضاً . وقيل لأن المنجمين بطولوعها يتكلمون على المغيبات وما يحدثه الله في ملكه من الكائنات وينسبون ذلك إلى طولوعها وإن هذه الحوادث في كل عام من تأثيرها فرد الله ذلك عليهم بإعلامنا بأنها مدبرة بتدبيره مقدرة بتقديره متصرفه بمشيئته إذ هو ربها ورب كل شيء وهو على

كل شيء قدير . . ومن هذا النمط قوله تعالى « فيهما فاكهة ونخل ورمان » وهذا لا يتأتى إلا على قول من يقول أن الرمان والرطب فاكهة . وأما على قول من يقول أنهما ليسا من الفاكهة فلا يكون من هذا النوع . . ومن ذلك قوله تعالى « من كان عدواً لله وملائكته ورؤسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين » أعاد الله ذكر جبريل وميكال مع أنهما من الملائكة بلا خلاف لخصوصية فيهما إما لأمر اختص بهما اقتضى تخصيصهما أو لأن جبريل روح الله وأمينه على وحيه وميكال أمينه على خزائن فتحه ورحمته . وفي أشعار العرب كثير من ذلك نحو قول الخنساء أخت صخر

يَذْكُرْنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَنْدُوبُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ

وانما خصت هذين الوقتين لأن طلوع الشمس يذكرها بغارته على أعدائه وغروبها يذكرها بأقاربه ضيفانه فاخصت لهذين الوقتين من بين سائر الاوقات لهذين المعنيين . وعبارات التخصيص ثلاثة . الأولى انما جاءني زيد . الثانية جاءني زيد لاعمر . والثالثة ما جاءني الا زيد . فيفهم من الأولى تخصيص . طاق الحجة . أو تخصيص مجي معين ظنه مخاطب مخصوصاً بغيره أو مشاركا غيره فيه فأفاد إثباته لزيد ونفيه عن غيره دفعة واحدة ومن الثانية في دفعتين والثالثة بأصل الوضع تفيد نفي التشريك ولهذا لا يصح ما زيد الا قائم لا قاعد لانك بقولك - إلاقائم - نفيت عنه كل صفة تنافي القيام فيندرج فيه نفي القعود فيقع - لاقاعد - تكراراً . ويصح إنما زيد قائم لا قاعد فان صيغة - انما - موضوعة للتخصيص ويلزمه نفي الشراكة فليس له من القوة ما يدل عليه بالوضع ولهذا يصح زيد هو الجائي لا عمرو فدلالة الأولين على التخصيص أقوى ودلالة الثالثة على نفي التشريك وقد تذكر الثالثة في مثل ما اذا ادعى واحد أنك قلت قولاً ثم قات بخلافه فتقول ما قلت الا ما قاته قبل . وعليه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام « ما قلت لهم الا ما أمرتني به » ليس المعنى اني لم أزد على ما أمرتني به أن أقوله شيئاً ولكن المعنى اني لم أدع بما أمرتني به أن أقوله شيئاً ولم يذكر ما يخالفه . وحكم - غير - اذ وقع موقع - الا - حكم الأ . . وأما - انما - فلا اختصاص فيها يقع مع

المتأخر فاذا قلت انما ضرب عمرأ زيدا فلاختصاص فى الضارب كما قال سبحانه وتعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » واذا قلت انما ضرب زيد عمرأ فلاختصاص فى المضروب واذا قلت انما هذا لك فلاختصاص فى - لك - بدليل أنك تقول بعده لاغيرك واذا قلت انما لك هذا فلاختصاص فى - هذا - بدليل أنك تقول بعده لا ذاك . قال الله تعالى « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » فاذا وقع بعدها الفعل فالمعنى أن ذلك الفعل لا يصح الا من المذكور كقوله تعالى « إنما يتذكر أولو الالباب » . . . وقد يجمع معها حرف النفي إما متأخراً كقولك انما جاءنى زيد لا عمرو واما متقدماً كقولك ما جاءنى زيد وانما جاءنى عمرو . فهناك لو لم تدخل - انما - كان الكلام مع من ظن أيهما جاءك وان أدخلها كان الكلام مع من غلط فى الجأئى ولو قلت ان عمرأ جاءنى فان كانت المستغنى عنها فظهرت فائدة دخول - ما - على - إن - فى - انما - . . . واعلم أن موضوع - انما - أن يحىء فى أمر لا يدفع المخاطب صحته كقوله تعالى « انها يستجيب الذين يسمعون » أو ينزل بعده منزلته كقول الشاعر

إنما مصعبٌ شهيدٌ من الله تجلت عن وجهه الظلماءُ

فادعى كونه بهذه الصفة مما لا ينكره أحد . ومثله قوله تعالى حكاية عن اليهود « واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مُصلِحون » الذى يدعون انهم مصلحون أمر ظاهر معلوم فلذلك أكد الأمر فى الرد عليهم فجمع فيه بين - ألا - التى هى للتنبيه و - إن - التى هى للتحقيق - وهم - التى هى للتأكيد فقال « ألا انهم هم المفسدون » . . . وقال ابن الاثير وهم يرون بالتخصيص فى أعمال العام فى النفي والخاص فى الاثبات مثال ذلك الحيوانية والانسانية فان اثبات الانسانية يوجب اثبات الحيوانية ولا يوجب نفيا نفى الحيوانية وكذلك نفى الحيوانية يوجب نفى الانسانية ولا يجب من اثباتها اثبات الانسانية . . . ومما يدخل فى هذا الباب الاسماء المفردة الواقعة على الجنس الذى يكون الفرق بينها وبين واحدها تاء التأنيث فانه متى أريد النفي كان استعمال واحدها أبلغ ومتى أريد الاثبات كان استعمالها فى الجنس أبلغ . فالاول هو الخاص والعام نحو قوله تعالى « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » ولم يقل

بضوئهم لأن ذكر النور في حالة النفي أبان من حيث أن الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة فلو قال ذهب الله بضوئهم كان المعنى يعطى نفي تلك الزيادة وبقاء ما يسمى نوراً لأن الاضاءة هي فرط الانارة دليله قوله تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً » فكل ضوء نور وليس كل نور ضوءاً . والغرض من قوله - ذهب الله بنورهم - انما هو ازالة النور عنهم رأسافهو اذا أزاله فقد أزال الضوء . وكذلك قوله تعالى « ذهب الله بنورهم » ولم يقل أذهب الله نورهم لأن كل من ذهب بشئ فقد أذهب به وليس كل من أذهب شيئاً ذهب به لأن الذهاب بالشيء هو استصحاب له ووضي به وفي ذلك نوع احتياز للمذهوب به وامساك له عن الرجوع الى حالته والعود الى مكانه وليس كذلك الاذهاب للشيء لزوال معنى الاحتياز وهذا كلام دقيق يحتاج الى زيادة تأمل وانعام نظر فافهمه وقس عليه ما أشبهه وبالله التوفيق

- القسم الحادى والثلاثون -

(الاختراع)

قال علماء علم البيان . . الاختراع هو أن يذكر المؤلف معنى لم يسبق اليه واشتقاقه من التلين والتسهيل يقال نبت خريع اذا كان ليناً فكان المتكلم سهل طريقه حتى أخرجه من العدم الى الوجود . ومنه في القرآن كثير . . من ذلك قوله تعالى « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسألهم الله شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » ولم يُسمع بمثل هذا التمثيل البديع لأحد قبل نزول القرآن ولو سُمع لكان القرآن سابقاً ولا يكون مثله ولا قريباً منه وكذلك جميع أمثال القرآن ليس لها أمثال . . ومثال ذلك من السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم - حمى الوطيس - فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من تكلم بهذا حين قدم المسلمون خالد بن الوليد في غزوة مؤتة حين حمل خالد في العدو

- والوطيس - هو التنور فعبر بشدة حميه ووقوده عن شدة الحرب واتقادها واتقاد ناراها حين حمل خالد بن الوليد رضى الله عنه . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم - السعيد من وعظ بغيره - . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم - أما بعد - ومثل هذه الكلمات فى السنة كثير وليس هذا موضع إحصائها ولا محل استقصائها

القسم الثانى والثلاثون ❦

(الهدم)

وهو أن يأتى غيرك بكلام تضمن معنى فتأتى أنت بضده فكأنه قد هدم ما بنىه
المتكلم الاول كقول أبى تمام

وبروحى القمر الذى بمحجرٍ أضحى مصوناً للنوى مبدولا

هدمه بعض الشعراء فقال

وبروحى القمر الذى لم يُتَدَلْ بل حلّ وسط القلب لا بمحجرٍ

.. وقال البلاذرى

وقد يرفعُ المرءُ اللثيمُ حجابهُ ضعةً ودون العُرفِ منه حجابُ

هدمه الآخر فقال

ملكٌ أغرٌ محجَّبٌ معروْفُهُ لا يحجَبُ

• ومنه فى كتاب الله العزيز كثير .. من ذلك قوله تعالى « وقالت اليهود والنصارى نرى أبناء الله وأحباؤه » هدمه الله تعالى بقوله « والله لا يحب الظالمين » • وقوله « نرى أن الله من ولدي وما كان معه من إله » • وقوله تعالى « فلم يعدّ بكم بذنوبكم » قديره إن كنتم فيما ادعيتم صادقين فلم يعد بكم بذنوبكم • ومنه قوله تعالى « وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله » هدمه الله عليهم بقوله « ذلك قولهم بأفواههم » • وقوله « ما اتخذ الله من ولدٍ » • ومنه قوله تعالى « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله » هدمه الله بقوله « والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » • ومثله فى القرآن الكريم كثير وفى الشعر هو كثير أيضاً

القسم الثالث والثلاثون

(الاستفهام)

وهو على قسمين . استفهام العالم بالشيء مع عامه به . ومراده بذلك معارف ستة
 (الاول) التقرير ومرادك باستفهامك عن ذلك الشيء أن يقربه الفاعل كقوله
 تعالى حكاية عن قوم نمرود «أأنتَ فعلتَ هذا بآلِتنا يا ابراهيم» ولا شبهة أنه ليس
 غرضهم أن يقر لهم بوجود كسر الاصنام ولكن غرضهم أن يقرّ بأن ذلك منه لامن
 غيره (الثاني) يراد به الانكار وهو كقوله تعالى «أفأصفاكم ربكم بالبنين» . وقوله
 تعالى «أصطفى البناتِ على البنين» والانكار هاهنا في نفس الفعل أنكر الله عليهم كونهم
 جعلوا الملائكة إناثا وقالوا هم بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وكذلك
 قوله تعالى «اللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ» المقصود إنكار أصل الاذن لانكار
 انه كان من غير الله وأضافوه الى الله . وكذلك قوله تعالى «أَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَرَمٌ أَمْ
 الْأُنثَيْنِ» تقديره لو وجدتم التحريم لكان محرماً إما ذا أو ذاك ثم يستدل ببطلان
 الاصلين على بطلان القسمين على بطلان أصل التحريم . ومثله قولك الرجل الذي
 يدعى أمراً وأنت تنكره - متى كان هذا أفي ليل أم نهار - وتقديره لو كان لكان إمامي
 ليل وإمامي نهار ولما لم يوجد فيهما ثبت أنه ليس بموجود أصلاً . فكذلك يقول في
 الآية فإنها نفي لأصل الاذن لنفي أقسامه وذلك أبلغ في النفي . وكذلك قوله تعالى
 «أَنَّا نُمَكِّمُوهَا وَأَنَّمْ لَهَا كَارِهُونَ» حصل الانكار هاهنا بنفس الالتزام . . . وكذلك
 قول الشاعر

* أَتَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفَى مُضَاجِمِي *

. . . واعلم أن الاستفهام بمعنى الانكار حاصله راجع الى تثبيت السامع على فساد ذلك
 الشيء حتى يرجع الى نفسه فيخجل ويرتد عنه فعلى هذا لا يتصور الا بالحال على سبيل
 أن يقال له - أنت في دعواك كمن يدعى المحال - وعلى هذا جعل قوله تعالى «أفأنت

تَسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي السَّمْعَ » وليس اسماع الصم مما يدعيه أحد فيكون لذلك الانكار وانما المعنى فيه تنزيل من يحاول اسماعهم منزلة من يحاول اسماع الصم وانما قدم الاسم في هذه الآية ولم يقل - أَقْتَسِعَ الصَّمَّ - لمعنى وهو اختصاصه صلى الله عليه وسلم كأنه تعالى قال له صلى الله عليه وسلم أنت خصوصاً تظن أنك تقدر على اسماعهم فتكون بمنزلة من ظن أن لنفسه قدرة على اسماع الصم . . . واعلم أن حال المفعول في ذلك كحال الفاعل فاذا قدِّمَتِ المفعول توجه الانكار الى كونه بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل فاذا قلت - أزيداً تضرب كان على هذا الحكم ولهذا قدِّم - غير - في قوله تعالى « قل أغير الله أَخْذُ وَلِيًّا » . ومن ذلك قوله تعالى « أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ » وقد تقدم بيانه فانهم بنوا كفرهم على أن البشر ليس بمثابة أن يتبع ويطاع . . . واعلم أن صيغة المستقبل إما أن يكون الاسم مقدماً أو الفعل فان كان الاسم مقدماً اقتضى شبهة بما اقتضاه في الماضي بمطابقته من الاقرار بكونه فاعلاً فالانكار لذلك . فثالث ذلك قوله تعالى « أَمَّ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ » (الثالث) الاستفهام للمبالغة في الاستحقار مثل قولك للرجل تستحقره - أنت تمنعني أنت تضربني - ومنه قوله تعالى « أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ » . وقوله تعالى « قل أغير الله أَخْذُ وَلِيًّا » (الرابع) يأتي للمبالغة في التعظيم كقولك - أهو يسأل الله أهو يمنعه حقوقهم - ومنه قوله تعالى « أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا » الى قوله « أَلَيْلَةٌ مَّعَ اللَّهِ » (الخامس) يأتي للمبالغة في بيان الخساسة كقولك - أهو يسمع لهذا أو يرتاح الى الجميل - ومنه قوله تعالى « أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » (السادس) يؤتى بالاستفهام ليقع في النفس عذوبة المستفهم عنه واستحلاؤه كقول الشاعر

أَيَا ظَنِيَّةَ الْوَعْدَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ وَبَيْنَ النِّقَا أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ

تقديره أأنت الظبية أم أم سالم . أتى بالاستفهام هاهنا ليوقع في النفس موقعاً عظيماً من الحسن وبديع المحاسن حتى يشكل حالها كمثل محاسنها فيبقى عند ناظرها من ذلك تخيل لا يفرق بسببه بينها وبين الظبية . وهذا النوع يسمى عند أرباب الصناعة التجاهل . . . ومن بديع التجاهل قول مهيار الديلمي

أَنْتِ أَمَرْتِ الْبَذَرَ أَنْ يَصْدَعَ الدُّجَى وَعَلَّمْتِ غَصْنَ الْبَانِ أَنْ يَتِمَّلَا
.. ومن بديعه أيضاً قول الآخر

وَعُقَارِ عَيْشٍ مَنْ عَاقَرَهَا عَيْشٌ أُنِيقُ
هِيَ لِلزَّهْوِ نِظَامٌ وَالِى الْهَوِ طَرِيقُ
قَاتُ لَمَّا لَاحَ لَى مِنْهَا شَعَاعٌ وَبَرِيقُ
أَشَقِيقُ أَمْ عَقِيقُ أَمْ رَحِيقُ أَمْ حَرِيقُ

.. وأما القسم الثانى من الاستفهام فهو أن يستفهم عن شئ لم يتقدم له به علم حتى
يحصل له به علم . ومنه فى القرآن العظيم وفى الشعر كثير وهذا هو أصل الباب

- القسم الرابع والثلاثون -

(المزلزل)

وهو أن يكون فى الكلام لفظه لو غير وضعها أو اعرابها تغير المعنى . ومنه فى
القرآن العظيم كثير .. من ذلك قوله تعالى « أَيَاكَ نعبدُ وَأَيَاكَ نستعِينُ » لو كسرت
الكاف لتغير المعنى . ومن ذلك قوله تعالى « أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » لو ضُمَّت لاختل المعنى .
ومن ذلك قوله تعالى « وَيَلُومُنَّذِرُ الْمَكْذِبِينَ » . ومن ذلك قوله تعالى « وَاذِ
رَأَيْتَ أَهْلَ الْبَيْتِ إِذْ يَخُذُّونَ الْعَهْدَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ » لو غير اعراب
ابراهيم واعراب العلماء لاختل المعنى .. ومنه فى الشعر قول الوطواط
رسولُ الله كَذَبُهُ الْأَعَادَى فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لِلْمَكْذِبِ

ن كسرت ذال المكذب كان حسناً وان فتحت كان قبيحاً وكفراً .. ومن هذا المعنى
قوله تعالى « فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ » بفتح الذال ولو كسرت الذال كان قبيحاً وكفراً

﴿ القسم الخامس والثلاثون ﴾

(التعجب)

ومنه في القرآن العظيم كثير • من ذلك قوله تعالى « فَاَصْبِرْهُمْ عَلَى النَّارِ »
 - ما - هاهنا تعجبٌ والتقدير تعجبوا من صبرهم على النار وقيل هي الاستفهامية
 والتقدير فأى شئ صبرهم على النار • • ومن التعجب قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
 مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » والخلاف فيها كالخلاف في الأولى • • ومن ذلك قوله
 تعالى « قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » أى ما أشد كفره • ومثله في القرآن كثير • •
 ومنه في الشعر قول بعضهم

أَيَا شِعْمًا يُضَى بِلَا انْقِطَاعٍ وَيَا بَدْرًا يَلُوحُ بِلَا نَحَاقٍ
 فَأَنْتَ الْبَدْرُ مَا سَبَبُ انْقِطَاعِي وَأَنْتَ الشَّمْعُ مَا سَبَبُ احْتِرَاقِي

﴿ القسم السادس والثلاثون ﴾

(الساب والايحباب)

قال علماء علم البيان هو أن يوقع الكلام على إثبات شئ وينفيه في كلام واحد
 وخطبة واحدة أو بيت واحد • وهو في القرآن العظيم كثير • • ومن ذلك قوله تعالى
 « هُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ » • وقوله تعالى « هُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ » • • ومنه في
 الشعر قول السموءل بن عاديا الهودى
 وَتُنَكِّرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَاهُمْ وَلَا يُنَكِّرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

❧ القسم السابع والثلاثون ❧

(الهزل الذى يراد به الجِد)

وهو فى القرآن العظيم فى قوله تعالى « فاليَوْمَ الذين آمنوا من الكفار يَضْحَكُونَ »
 روى أن أهل الجنة يُفتح لهم باب من النار فيقولون لمن كان يضحك منهم فى الدنيا
 من الكفار أن يدخلون الجنة فيقولون نعم فيقولون لهم هلموا فيتبادرون الى الجنة فيغلق
 الباب دونهم ويضحك منهم المؤمنون ويردون خائبين وليس مراد المؤمنين بذلك القول
 الضحك منهم وانما مرادهم بذلك نبيكتهم وتشديد الحزن عليهم .. ومنه قوله تعالى
 « إِنَّ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ » يعنى يوم القيامة .. ومنه فى السنة قوله
 صلى الله عليه وسلم للعجوز التى سألته عن دخولها الجنة فقال لا يدخل الجنة عجوز
 هزل بها وصدق وقال حقاً فان الله تعالى أخبر عن أهل الجنة فقال « عُرْبًا أتراباً
 لأصحابِ اليمين » وترتب الانسان مساويه فى العمر أو مقاربه .. ومنه فى الشعر قوله
 اذا ما تميمي أُنَاكَ مُفاخرأ فقل عدّ عن ذا كيف أكلُك للضبِ
 .. وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى وصف القرآن وهو الجِد ليس بالهزل فالمراد به
 الهزل الذى لا يراد به الجِد

❧ القسم الثامن والثلاثون ❧

(التلميح)

وهو أن يشير فى فحوى الخطاب الى مثلي سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة من
 غير أن يذكره كقول بشار بن عدى
 اليومَ سحرٌ ويبْدو فى غدٍ خَبْرٌ والدَّهرُ ما بين إناعام وإبَّاس

أشار به الى قول امرئ القيس - اليوم خمرٌ وغدا امرؤ - حين بلغه قتل أخيه (١) وهو يشرب فصار مثلاً .. وكقول أبي بكر الخوارزمي

كَأَنَّكَ لَا تَرَوِينَ بَيْتًا لِشَاعِرٍ سِوَى بَيْتِ مَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ

.. وكقول أبي فراس

وَلَا خَيْرَ فِي دَفْعِ الْأَذَى بِمِثْلِهِ كَمَا رَدَّهَا يَوْمًا بِسَوْءَتِهِ عَمْرُو

أشار بذلك الى قصة عمرو بن العاص مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .. وقد يسمى أخذ بعض ألفاظ المثل اقتباساً وإيراد المثل كما هو تضميناً .. ومما جاء من التاميم في الكتاب العزيز قوله تعالى « واذكر أخا عادٍ إِذْ أَنْذَرْنَاهُ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ » . وقوله تعالى « أَلَا بُعْدَ أَلْمَدِينِ كَمَا بَعِثْتُ نَمُودَ » . وقوله تعالى « صَاعِقَةٌ مِثْلُ صَاعِقَةِ عَادٍ وَنَمُودَ » الآية .. ومن ذلك قوله تعالى « أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبْنِهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي » الى قوله « فَأَنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ » . ثم قال « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً » . ومن ذلك قوله تعالى « هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى أَزِفَتِ الْآزِفَةُ » ثم قال « لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ » .. ومثله في القرآن كثير

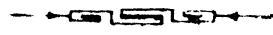
القسم التاسع والثلاثون

(النسخ والساخ والمسخ)

فأما النسخ ففي القرآن العظيم كثير . وهو على ثلاثة أقسام . منه ما نسخ لفظه وحكمه . ومنه ما نسخ لفظه وبقي حكمه . ومنه ما نسخ حكمه وبقي لفظه .. أما

(١) ليس هو من قول امرئ القيس وإنما هو من قول مهلهل حين بلغه قتل جساس أخاه كليياً . وامرؤ القيس لم يقتل له أخ فان كان قاله حين بلغه قتل بني أسد أباه حجراً فربما اه كتبه محمد بدر الدين

مانسخ لفظه وحكمه فقد روى عن قتادة وغيره قالوا كنا نقرأ سورة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم - وقالوا كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - لو أعطى ابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب - . . . وأما ما نسخ حكمه وبقي لفظه ففي القرآن العظيم منه كثير . . . وأما السالخ والمسخ فليس في القرآن العظيم منهما شيء لأنه لم يسبق قبله كلام فيسسخ منه ولم يتقدم معانيه فيقصر عنها فيمسح لانه الكلام القديم الذي لم يشبهه كلام ولم يتقدم عليه نثر ولا نظام وسندكر في القسم الذي ليس في القرآن منه شيء ما قاله أهل هذه الصناعة في السالخ والمسخ ان شاء الله تعالى



القسم الرابعون

(التعديد . ويسمى أيضاً سياق الاعداد)

وهو ايقاع أسماء مفردة على سياق واحد فان روعي في ذلك ازدواج أولزوم تجنيس أو مطابقة أو نحوها فذلك الغاية في الحسن كقواهم وضعنا في يده زمام الحل والعقد . والقبول والرد . والامر والنهي . والاثبات والنفي . والبسط والقبض . والابرام والنقض . والهدم والبناء . والمنع والعطاء . . . ومنه قول المتنبي

الخليلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني والحربُ والطعنُ والقرطاسُ والقلمُ

. ومنه في القرآن كثير . . . من ذلك قوله تعالى « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » . . . ومن ذلك قوله تعالى « وأنّ الى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكي وأنه هو أُمات وأحيا وأنه خالق الزوجين الذكور والأنثى من نطفة اذا تمنى وأن عليه النشأة الأخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعري وأنه أهلك عاداً الأولى ونمودَ فما أبقى وقوم نوح من قبل

أنهم كانوا هم أظلم وأظنى .. ومنه قوله « والله يقبض ويبسط »

❦ القسم الحادى والاربعون ❦

(المَوْجَّة)

وهو ان يمدح بشئ يقتضى المدح لشيء آخر كقول المتنبي
نهبت من الاعمار مالو حويته لهنت الدنيا بأنك خالد
أول البيت مدح بفرط الشجاعة وآخره بعلو الدرجة . وفى القرآن العظيم منه كثير
.. ومنه قوله تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رؤساء بينهم
تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيأهم في وجوههم من أثر
السجود » مدحهم في أول الآية بالشدة على الكفار ثم بالرحمة بينهم ثم بالخشوع
والخضوع ثم بالتدلل وحسن المسئلة ثم حسن السياء وصباحة الوجوه . ومثله قوله
تعالى « التائبون العابدون الحامدون السائحون الذاكرون الساجدون الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله » .. ومن هذا النوع قوله
تبارك وتعالى « ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول »
يجوز ان تكون - تقول - راجعة الى - الطائفة - ويجوز أن تكون عائدة على النبي
صلى الله عليه وسلم

❦ القسم الثانى والاربعون ❦

(المحمل الضدين)

وهو أن يكون الكلام محملاً للشيء وضده . ومنه فى القرآن العظيم كثير .. من ذلك
قوله تعالى « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » يحتل أن يكون أراد

بورائهم - أمامهم ويحتمل أن يكون - وراءهم - وهو يطلبهم ومنه قوله تعالى
« والمطلقاتُ يتَرَبَّصْنَ بأنفسهنَّ ثلاثةَ قروءٍ » - والقروءُ - يطلق على الحيض والطمهر
• ومثل ذلك قوله تعالى « قال إنه يقول إنها بقرةٌ صفراءُ » قال المفسرون أراد
سوداء • ومثله في الشعر قول الشاعر

* يغادرُ الجونة أن تغيبا *

- والجون - الاسود - والجون - الابيض وهو من الازداد • • ومنه قول بشار في
رجل خاط له قباء وكان الخياط أعور

خاطَ لي زيدٌ قباءَ ليتَ عينيه سواءَ
فأحاجي الناسَ طُرّاً أمديحاً أم هجاءَ

وكان سبب ذلك أن بشاراً خاط له زيد قباء فقال هذا إن شئت لبسته على وجهه وإن
شئت لبسته على بطنائه فقال له بشار وأنا أقول فيك شعراً إن شئت جعلته مدحاً وإن
شئت جعلته ذمّاً وأنشده البيتين • • وقد أخذ المتنبي هذا المعنى فقال

أيا ابنَ كروّسٍ يا نصفَ أعمى وان تفخرْ فيا نصفَ البصيرِ

وكان ابن كروّسٍ أعور • • وينخرط في هذا السلك قوله تعالى « إنك لأنتَ الحليمُ
الرّشيدُ » إذا جعل هذا من باب التهكم به والازراء عليه كان ذماً • ولهذا قال بعض
المفسرين أرادوا - انك لأنتَ الاحق السفية - وإن أريد به المدح فالتقدير - انك
أنتَ الكامل الحليم الرشيد فكيف يبدو منك مثل هذا لأنه ذكر الحليم والرشيد
بالالف واللام التي هي لاستغراق الجنس أو للعهد • • ومثله في السنة قول النبي صلى الله
عليه وسلم - منُ جعل قاضياً ذُبح بغير سكين - فإن أريد به الذم يكون التقدير من
منُ جعل قاضياً فقد قتلَ بغير سكين لأنه ليس في قدرته اقامة الحق على وجهه واجراء
الأحكام على القانون المستقيم فيكون قد كلف ما لا طاقة له به ومن كلف ما لا طاقة له
به فهو في ألم شديد يشبه ألم من ذبح بغير سكين ومن أراد المدح قال انه لشدة تحرزه
في أحكامه واجتهاده في نقضه وإبرامه وانعامه النظر فيما يحدث من الوقائع ويتجدد من
خفايا الاحكام والنظر في أمر الوصايا ومال الإيتام الى غير ذلك من الامور المشقة يحصل

له من الألم مقدار ألم من ذبح بغير سكين بل أشد لأن من ذبح بغير سكين يقاسى الألم في حال ذبحه ثم يستريح والحاكم بهذه الأمور مستقرّ التعب دائم التكد مشتغل القلب منقسم الفكر دائم النظر فنسأل الله اللطف بنا وبه انه على ما يشاء قدير

القسم الثالث والاربعون

(التجريد)

وهو على قسمين .. الاول خطاب الغير والمراد به المتكلم وهو أولى باسم التجريد وفائدته مع التوسع في الكلام أن يثبت الانسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوته له وذلك قد يكون فضيلة كقول الحيص بيص

إلام يراك المجد في زى شاعر
وقد نجلت شوقاً فرُوع المنابر
وأنت نصبت الشعر عاماً وحكمة
ببعضهما يتقاد صعب المفاخر
أما وأبيك أخير انك فارس المقال
ومحي الدارسات الغوارر
وإنك أتعبت المسامع والنهى
بقولك عما في بطون الدفاتر

.. وقد تكون لنعقصة ولكن يؤثر ابدائه إما لتشك كقول النابغة

حننت الى راياء نفسك باعدت
مزارك من رياء وشعباً كما معا
فما حسن أن تأتى الأمر طائعاً
وتجزع إن داعى الصبابة أسعما
وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى
على كبدى من خشية أن تقطعما
بنفسى تلك الارض ما طيب الرُّبا
وما أحسن المصطاف والمتربعا

.. أو يكون لغير التشكى وذلك كالاغتنار كما قال المتنبي

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق إن لم تسعد الحال
واجز الأمير الذى نعماء بادية
بغير قول ونعمى القوم أقوال

.. القسم الثانى خطاب المتكلم لنفسه مخيلاً لها أن معه غيره كما قيل

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تَرِدْ
وهذا النوع في القرآن العظيم منه كثيرٌ وسند كره في فصل تلوين الخطاب ان شاء الله
تعالى وقد ذكرنا منه طرفاً في أنواع الالتفات فانظره هناك فهو كثير

❦ القسم الرابع والاربعون ❦

(الرجوع والاستدراك)

وهو من أنواع الاعتراض ولكن علماء هذا الشأن أفردوا له باباً • وهو على
قسمين • • الاول أن تذكر شيئاً وترجع عنه كقولهم والله ما معه من العقل شيء
الأمقدار ما يوجب الحجة عليه كقول زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدمُ بلى وغيرها الأرواحُ والديمُ

• • القسم الثاني من الاستدراك وهو أن يبتدىء كلامه بما يؤهم السامع أنه محوتم
يستدرك ويأخذ في المدح كقول أبي مقاتل الضرير

لا تقل بشري ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان

وهذا النوع غير مستحسن عند الخذاق فإن السامع ربما يتطير من أول الكلام فيتأذى
ولا يلتذ بما بعده والاستدراك في الكتاب العزيز كثير كقوله تعالى « بلى من كسبَ
سيئةً وأحاطت به خطيئته » وقوله تعالى « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن » وقوله
تعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر » على قراءة
من خففَ فرفع - البر - وقوله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم » وقوله تعالى « قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي »
• • وفي القرآن كثير



﴿ القسم الخامس والاربعون ﴾

﴿ السؤال والجواب ﴾

وهو أن يحكى كلاماً يقال ثم يجيبه يقال أيضاً • وهو في القرآن العظيم كثير • من ذلك قوله تعالى « وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمرُكم أن تذبجوا بقرة قالوا ألتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » الى قوله « فذبجوها وما كادوا يفعلون » • ومنه قوله تعالى « قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال إن رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون لجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون قال لئن اتخذت إلهاً غيري لاجعلنك من المسجونين قال أولو جنتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين » • وفي الشعر منه كثير من ذلك قول امرئ القيس

ويوم دَخَلْتُ الخَدَرَ خَدَرَ عَنِيْزَةٍ فقالت لك الويلاتُ إنك مُرْجَلِي
فقلتُ لها سيري وارْخِي زِمَامَها ولا تمنعينا من جَنَّاكِ المَعْلَلِ
ومن بديعه قول بعض المتأخرين

وكاملة الأوصافِ وأفرّة الحيا اذا افتخرتُ بالحسن اعجزها المثلُ
شكوتُ اليها ما أجنُّ من الجوى فقالت اذا اشتدَّ الجفا عذْبُ الوصلِ
فقايتُ أصمَّ العاذلون مَسامِي فقالت اذا صحَّ الهوى بطلَّ العذلُ
فقاتُ فماذا عندكم لمدلّه فقالت له إما الحياة أو القتلُ
اذا شئتُ أن تحظى لدينا فكن لنا فريداً فلا مالٌ لديك ولا أهلُ
فكم هالكتُ في حُبنا من معاشر وما نهوا صفو الحياة ولا علوا
ولا ظفروا منا بأيسرِ طائل انطمعُ بالتفريط في وصلنا جهلُ

•• ومن ذلك قول الباخريزي

قد قلتُ لها هجرتني ما العلةُ صدَّتْ وتمايلتْ وقالتْ قلْ له
قال علماءُ البيان أحسن هذا النوع ما كثرتْ فيه القلقة

﴿ القسم السادس والاربعون ﴾

(التوهم • ويسمى الابهام أيضاً)

وهو أن يجاء بكلمة توهم أخرى • ومنه قوله تعالى « يومئذ يُوفيهم الله دينهم الحق » يومهم من لا يفهم أو يعلم العربية أن دينهم حق لأن دينهم إذا قرأها بالرفع من لا يفهم ولا يعلم العربية اقتضى ذلك أن دينهم حق وليس كذلك • ومنه قوله تعالى « قل ما عند الله خيرٌ من اللّهُوِّ ومن التجارة » من لا يفهم العربية ولا يفهم المعنى يعتقد أن مانافية وأنه ليس عند الله خير من اللّهُوِّ ومن التجارة • ومنه قوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » من لا يعرف العربية إذا سمع هذه الآية اعتقد أن الله تعالى يخشى العلماء والعارف بالعربية والقراءة ينصب الجلالة ويرفع العلماء فيظهر له أن العلماء هم الذين يخشون الله • ومنه قوله تعالى « فويلٌ للمصلين » من لا يعلم المعنى اعتقد أن الويل لاحقٌ بالمصلين ولهذا قال بعض الجهال

ما قال ربك ويلٌ للذين سهوا بل قال ربك ويلٌ للمصايين

• • وقد يقع من ذلك في الشعر كثير • ومنه قول سُحَيم

فجاءَ على وحشيته وتخاله على ظهره سباً جديداً يمانياً

فقوله - يمانياً - يومهم أنه سباً بالشين • وكذلك قول المتنبي

فإن الفِشامَ الذي حوله لتحد أرجلها الأروسا

فقوله - أرجلها - يومهم أنه القيام بالقاف وإنما هو بالفاء والفِشام الجماعات



❦ القسم السابع والاربعون ❦

(التشعيب)

وهو أن يكون في صدر الكلام كلمة من عجزه مثل قوله تعالى « قد نرى تقاب
وجهك في السماء فلتولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام » وقوله
تعالى « ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلك وما أنت بتابع
قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض » . ومثل قول الشيخ أبي العلاء
قد أوردت عند الخيام وأعشبت شُعب الرجال ولون رأسي أغبر
ولقد سلوت عن الشباب كمالا غيري ولكن للحزين تذكر
.. وقال آخر

وما هجرتك النفس يا عزُّ أنها قاتتك ولكن قل منك نصيها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا بقول إذا ما جئت هذا حبيبها
أهابك إجلالا وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها

❦ القسم الثامن والاربعون ❦

(الاستثناء)

وهو أن يذكر شيئاً ثم يرجع عنه أو يدخل شيئاً ثم يخرج منه بعضه . أما
الاستثناء ففي القرآن منه كثير . فمنه قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير » الى قوله تعالى « الا ما اضطررتم اليه » . ومنه قوله تعالى « قل لا أجد في
ما أوحى الى محرماً على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دماً مسحوقاً أو لحم خنزير »
ومثله في القرآن كثير . وأما الرجوع فلا ينبغي أن يكون في القرآن منه شيء لأن

المتكلم به لا يلبق بجلاله أن يوصف بالرجوع عن شيء • وأما ماسوى القرآن ففيه منه كثير من ذلك في الاستعمال قولهم ليس له عقل الا ما تقوم عليه به الحجة • وأما في الشعر فقد ورد في أشعار كثيرة • • منها

أليس قليلاً نظرةً إن نظرتها إليك ولكن ليس منك قليل

• • ومنه قول الآخر

وما بي انتصار إن عدّ الدهر ظالماً على بلى إن كان من عندك النصر

• • ومنه قول النابغة

ولا عيبَ فيهم أن سيوفهم بهنّ قلّول من قراع الكتائب

﴿ القسم التاسع والاربعون ﴾

(الغرابة • والظرافة • والسهولة)

أما الغرابة فقال ابن قدامة • • هي أن يكون المعنى مما لم يسبق إليه على جهة الاستحسان فيقال ظريف وغريب إذا كان عديم المثال أو قايلاًه والقرآن العظيم كله سهل ممتنع ألفاظه سهلة ومعانيه نادرة وأسلوبه غريب قدمازجت القلوب عذوبته وحلت في العيون طلاوته وراق في السماع سماعه واستقر في الطباع انطباعه فلهذا لم يُسأَم على ترداده ولم تملهُ النفوس على دوام إirاده فكل آية منه حسنة المساق وكل كلمة منه عذبة المذاق وكل معنى منه دقّ ورقّ • • ومن هذا النوع في أشعار العرب والمخضرمين والمتأخرين كثير لا يحصى • • فمن ذلك قول بعض العرب

هوى صاحبي ريج الشمال إذا جرت وأشفي لقلبي أن تهبّ جنوبُ

يقولون لو عزّيت قلبك لارعوى فقلت وهل للعاشقين قلوب

• • وقال آخر

ولا تحسباً هنداً لها القدرُ وحدها سحجةً نفس كل غالية هندُ

فما خلفَ اجفاني شؤونٌ بخيلةٌ ولا بينَ أضلاعي لها حَجْرٌ صلدٌ
.. وقال آخر

تقولُ ساءُ الحىِّ تأملُ أن ترى
وكيفَ ترى ليلى بعينِ ترى بها
وتلتذُّ منها بالحديثِ وقد جرى
حديثُ سواها في خروقِ المسامعِ

.. وقال آخر

لا خيرَ في الحبِّ وقفاً لا تحركهُ
لو كان لي صبرها أو عندها جزعُ
إذا دعى باسمِها داعٍ ليحزننى
لأحملُ اليومَ فيها والغرامَ بها

.. وقال مسلم بن الوليد

عيني لعينك حينَ تنظرُ (١)
ومن العجائبِ أن معنىً واحداً
هو منك سهمٌ وهو منى مَقْتَلُ
لكنَّ عينك سهمٌ حتفٌ مرسلُ

.. وقال آخر

وماذا عسى الواشونَ أن يتحدّثوا
نعم صدقَ الواشونَ أنتِ عزيزةٌ
على وإن لم تصفُ منك الخلائقُ
سوى أن يقولوا إننى لك عاشقُ

.. وقال أبو تمام

أقولُ وقد قالوا استرحتَ بموتها
من الكربِ روحُ الموتِ شرٌّ من الكربِ
.. وقوله أيضاً

وقالوا عزاءُ الموتِ للنفسِ مدفعُ
ومن الغريبِ السهلِ الظريفِ قولُ أبى تمامٍ فى قصيدته التى أولها

مافى وقوفك ساعةً من باسٍ تحيى بقايا الاربعِ الادراسِ
إقدامُ عمرو فى سباحةِ حاتمٍ فى حلمٍ أحنفٍ فى ذكاءِ إياسِ

(١) كذا فى الاصل ولم نقف عليه فى المطبوع من شعره

لا تشكروا ضربى له من دُونَهُ مثلاً شروداً فى الندى والباسِ
فأله قد ضرب الأقلّ لنوره مثلاً من المشكاة والنبراسِ
وهذه الابيات على غاية من الغرابة وعلى نهاية من الظرافة والاطابة واغرب ما فيها أن
أبا تمام لما أنشد قوله

إقدامُ عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحف فى ذكاء إياس
قال بعض من حضر فى مجلس الخلافة شبه أمير المؤمنين بكل بوال على عقبه فأنشد فى
الحال بديهاً * لا تشكروا ضربى له من دونه * البيتين . فقال له الخليفة تمنّ فقال
تمنيت الموصل فكان الخليفة توقف عن ذلك فقال له حكيم عنده اعطها له فانه
لا يصل اليها فانتى من قوة فكرته شممت رائحة كبده فتوجه اليها فمات فى الطريق . وهذا
النوع القرآن كله منه فانه من غرابة الأسلوب وبداعة السياق وجودة الانساق على
غاية لا تدرك وطريقة لبعده مثالها لا تسلك . . ومن هذا النوع قول زهير

وما كان من خير كبير قائماً توارثه آباء آبائهم قبل
وهل يُنبت الخطى الأوشيجهُ وتُغرس إلا فى منابتها النخل
على مُكثريهم حق من يعترهم وعند المقلين السماحة والبذل

(قال المصنف عفا الله عنه) هذا البيت قد ذكر أرباب هذه الصناعة أنه أمدح بيت
قالته العرب وقد طعن عليه بعض الخذاق منهم وذكر فيه عيوباً منها أنهم لو كانوا كرماء
ما كان فيهم مقل . ومنها أنه جعل حق المعترى على المكثرين واجباً عليهم ولم يوجبه
على المقلين فكان المكثرون عليهم اكرام الضيف واجبا ولم يكن واجباً على المقلين
فاقتضى ذلك أن يكون اعطاء المكثرين عن كظم واعطاء المقلين عن كرم فصار المقلون
أحسن حالا من المكثرين وأكرم أنفساً وعليه ما أخذ غير هذه ولسنا بصدد استيفائها
وهذا الباب واسع جداً وما ذكرناه فيه مقنع

﴿ القسم الموفى خمسين ﴾

(ما يوههم فساداً • وليس بفساد)

وهو أن يقرن الناظم أو النائر كلاماً بما ليس يناسبه أو يقدم التشبيه على ذكر المشبه • • ومنه في القرآن كثير وكذلك في أشعار العرب • • أما القرآن • فنه قوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » قرنها بقوله « وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن » الآية واتبعها • بقوله « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً » الآية فليس قبلها وبعدها ما يناسبها • ومنه قوله تعالى « إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تنظم فيها ولا تضحي » الذي يقتضيه المعنى المناسب ظاهراً أن يقول إن لك أن لا تجوع فيها ولا تنظم وأنت لا تعرى فيها ولا تضحي • ومنه قوله تعالى « فان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » وغير ذلك بل ما ورد به القرآن العزيز هو الاحسن وسندكر ان شاء الله المناسبة في ذلك • • فأما آية اليتامى فقد ذكر أئمة التفسير في المناسبة وجوها • أحدها ما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت هذا في اليتيمة تكون عند وصيها فيعجبها حسنها ومالها فيمنعها عن الأزواج ليتزوجها بمهر دون مهر مثلها ويجوز مالها فأعلم الله المؤمنين أن من خشي منهم أن يقع في مثل ذلك مع اليتامى فانكح ما طاب له من النساء من غير اليتامى • وقبل المعنى فان كنتم من التقوى على حد تخشون أن تلوا مال اليتيم خشية عدم الاقساط فانكحوا ما طاب لكم من النساء يعني اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً فان كان بهذه المثابة من خوف الله والتقوى لا يخشى عاينه من الجور والميل وعدم العدل بين نسائه بدليل ما عقبه به من قوله « فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » وقد ذكر أئمة التفسير في الجمع غير ذلك اقتصرنا على هذا خشية التطويل • وأما آدم عليه السلام فقد تقدم في المناسبة انها تارة يقصد فيها مناسبة اللفظ والمعنى وتارة يراعى فيها مناسبة اللفظ فقط

وثارة يراعى فيها مناسبة المعنى وهذه الآية منه وهو الذى أريد لأن - الجوع - خلو
الباطن عن الغذاء - والتعرى - خلو الظاهر عن الثياب - والظماً - احتراق الباطن
بالحرارة - والضحى - احتراق الظاهر فظهرت المناسبة من حيث المعنى فيها . . وأما آية
الصلوات والمحافظة عليها فقد سئل عنها بعض أجلة أهل العلم رضى الله عنهم فقال لما
أمر الله تبارك وتعالى بالمحافظة على حقوق الخلق والحق ليحصل لهم الكمال نعم لما كانت حقوق
الآدميين منها ما هو متعلق بالحياة وقد ذكر ذلك قبلها ناسب أن يذكر الحقوق المتعلقة
بالمات بعدها . وقد ذكر أهل التفسير رضى الله عنهم فيها أجوبة كثيرة اقتصرنا على
هذا منها . وقد وقع فى اشعار العرب الاقدمين والمتقدمين من الاسلاميين والمتأخرين
من هذا النوع كثير . من ذلك قول امرئ القيس

كأنى لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خاخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل خلى كرى كرتة بعد إجفال
.. قال بعض النقاد ان هذا فاسد لانه جعل التغزل مجاوراً للشجاعة فى البيت
والاجود أن يجاور الشجاعة بالشجاعة والغزل بالغزل فيقول

كأنى لم أركب جوداً ولم أقل خلى كرى كرتة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خاخال

.. ومن هذا النوع قول المتنبي

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال جرحى هزيمة ووجهك وضاح وثرعك باسم
.. وهذا الذى ذكره النقاد قد رده جماعة من الخذاق بما حكى أن سيف الدولة قال
للمتنبي هذا فاسد المجاورة لانك أثبت بالتشبيه قبل ذكر المشبه والاجود أن تقول
وقفت وما فى الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثرعك باسم
تمر بك الابطال كلى هزيمة كأنك فى جفن الردى وهو نائم
.. فقال المتنبي أيده الله مولانا الامير ان صح الذى استدرك صح الذى استدرك على

امرئ القيس وهو أعلم بالشعر منى فقد أخطأ امرؤ القيس واسات انا ومولانا يعرف
أن الثوب لا يعرفه البزاز كعرفة الناسج لأن البزاز يعرف جلته والحائك يعرف جلته
وتفاريقه لانه هو الذى أخرجه من الغزلية الى الثوبية . . وانما قرن امرؤ القيس لذة النساء
بلذة ركوب الخيل للصيد وقرن السباحة فى سبأ البحر للاضياف بالشجاعة فى منازلة
الاعداء وأنا ذكرت الموت فى أول البيت فأتبعته بذكر الردى وهو الموت لتجانسهما
ولما كان الجريح المنهزم لا يخلو وجهه من أن يكون عبوساً وعينه من أن تكون باكية
قلت - ووجهك وضاح وثغرك باسم - لأجمع بين الاضداد فى المعنى وان لم يتسع اللفظ
لجمعهما فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً . . ومن ذلك قول بعضهم

فانك ان تهجو تمها وترتشى سرابيل قيس أو سحوق العمام
كمهزق ماء فى الفلاة وغرّه سراب أذاعته رياح السمائم

.. وقال آخر

إنى وتركى ندا الا كرمين وقدحى بكفى زناداً شحاحا
كتاركة بيضها بالعرأ وملبسة بيض أخرى جناحا
يجب أن يكون كل بيت من الاولين مع بيت من الاخرين لانه أجود وأنسب . . ومن
هذا النوع أيضاً قول الشاعر

فيا أيها الحيران فى ظلمة الدجى ومن خاف أن يلقاه بنى من العدا
تعال اليه تلق من نور وجهه دليلاً ومن كفيه بجرأ من الندأ

قال النقاد هذا فاسد التفسير لانه قابل البنى بالسباحة وكان يجب أن يقابل بغير ذلك
فيقول تنظر أسداً حامياً وليناً مانعاً . وقد قيل فى هذا البيت انه دل على الشجاعة
بلازمها لأن الشجاع لا يكون بخيلاً ولذلك قال الشاعر

لا تطلبن من البخيل شجاعة ان البخيل يخاف أسباب الردى
من لا يجود بماله يوم الندأ أنى يجود بنفسه يوم اللقا

وقد تعسف لهذه الابيات وجوه من المعانى وضروب من التصحيح تخرج بها عن أن
تكون فاسدة ليس هذا موضع استيفائها وفيما ذكرت كفاية ومقنع والله الهادى والموفق

❖ القسم الحادى والخمسون ❖

(فى النادر والبارد)

فأما البارد فليس فى القرآن العظيم منه شئٌ وسيأتى بيانه فى الفن الثالث الذى ليس فى القرآن العظيم منه شئٌ . . وأما النادر فالقرآن مشحونٌ به فإن أكثر ألفاظه نادرة الوجود ومعانيه مستوفية المقصود كل كلمة منه جامعة لمعان شتى وكل آية تحتوى على معانٍ لغير المتكلم به لا تنأتى وكل سورة إحكام أحكامها لا ينحصر وإعجاز إيجازها قد أعجز البشر وفيه النادر الحسن والاحسن . . فمن الآيات التى لم ينسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها قوله تعالى « فلما جاء أمرنا وفار الثور » الى قوله « وقيل بعداً للقوم الظالمين » ولهذا ان ابن المقفع لما عارض القرآن ووصل الى هذه الآية قال هذا مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله وترك المعارضة وزق ما كان اختلقه . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فآلقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » جمعت هذه الآية أمرين ونهيين وخبرين ووعدين . . ومن هذا النوع فى القرآن كثير بل القرآن كله حسن وأحسن وليس هذا موضع استقصاء الاحسن وفى أشعار العرب من هذا كثير وقد تقدم بيانه

❖ القسم الثانى والخمسون ❖

(المساواة والتقصير)

وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص . والقرآن العظيم 'جله' بل كله على هذا النمط . وأما التقصير فليس فى القرآن منه شئٌ وسيأتى بيانه فى الفن الثالث

﴿ القسم الثالث والخمسون ﴾

(التصريح بعد الابهام • ويسمى التفسير)

قال أئمة هذا الشأن المراد بالتفسير بعد الابهام تفخيم المبهم واعظامه لانه هو الذي يطرق السمع أولاً فيذهب السامع فيه كل مذهب كقوله تعالى « وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » فسر ذلك الامر بقوله - أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين - وفي ابهامه أولاً وتفسيره بعد ذلك تفخيم للمبهم وتعظيم لشأنه فانه لو قال تعالى - وقضينا اليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين - لما كان بهذه اثباته من الفخامة فان الابهام أولاً يوقع السامع في حيرة وتفكر واستعظام لما قرع سمعه فيتشوف الى معرفة كنهه والاطلاع عليه وعلى حقيقته . . . ومن هذا الباب قوله تعالى « إهدنا الصراط المستقيم صراط الذي أنعمت عليهم » لما جاء في الاول من التنبيه والاشعار بأن - الصراط المستقيم - هو صراط المؤمنين فدل عليه بأبلغ وجه كما تقول - هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم - ثم تقول - فلان - فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الاكرم والأفضل لانك بدأت بذكره مجزئاً ثم بينته مفصلاً فجعلته عالماً في الكرم والفضل كأنك قلت من أراد رجلاً جامعاً لخصلتين جميعاً فعليه بفلان . وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى « وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد » الى قوله « يرزقون فيها بغير حساب » ألا ترى كيف قال - أهدكم سبيل الرشاد - فابهم سبيل الرشاد فلم يبين أى سبيل هو ثم فسر ذلك فافتتح كلامه بدم الدنيا وتصغير شأنها لان الاخلاص اليها أصل الشر كله ثم ثنى ذلك بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن المستقر ثم ثلث بذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليثبت عما يتألف وينشط لما يزلف فكانه قال سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا والرغبة في الآخرة والامتناع عن الاعمال السيئة خوفاً للمقابلة عليها والمسايرة الى الاعمال الصالحة

وجاء المجازاة عليها .. وكذلك قوله تعالى « واذ يرفع ابراهيمُ القواعدَ من البيت » ولم يقل قواعد البيت لما في ابهام القواعد ولما في تبيينها بعد ذلك من الايضاح وتفخيم حال المبهم بما ليس في الاضافة .. ومن هذا الباب قوله تعالى « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً » الى قوله « فأطاعُ إلى إله موسى » الآية لما أراد تفخيم ما التمس من بلوغه اسباب السموات أبهمها أولاً ثم فسرهما تائياً ولأنه لما كان بلوغهما أمراً عجيباً أراد أن يورده على صورة مشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه لتتشوف اليه نفس هامان ثم أوضحه بعد ذلك .. ومما يدخل في هذا الباب الابتداء بذكر الضمير ثم الافصاح بذكر صاحبه وحده كقوله تعالى « وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن » فانه لما أتى بالضمير الذي هو منه قبل صاحبه الذي هو في القرآن كان ذلك تفخيلاً له وتعظيماً من أمره ولوقال - وما تكون في شأن وما تتلو من قرآن - ولم يذكر الضمير لما كان للكلام تلك الفخامة التي كانت له مع ذكر الضمير .. ومثل هذا قولهم الكريم العالم الفاضل - ثم يقال - فلان - وقد سبق الكلام عليه .. وأما الابهام من غير تفسير فكثير شائع في القرآن العزيز كقوله تعالى « إنَّ هذا القرآنَ يَهْدِي لى أَقْوَمُ » أى الطريقة أو الحالة أو الملة التي هى أقومها وأشدها وأى ذلك قدرت لم تجده له مع الافصاح ذوق البلاغة الذى تجده مع الابهام وذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب وإيقاعه على محتملات كثيرة وهذا لا يخفى على العالم برموز صناعة التأليف فاعرفه .. ومما يدخل في هذا الباب الاستثناء العدى وهو ضرب من التأليف لطيف المأخذ عجيب المغزى وانما يفعل ذلك طلباً للمبالغة لأن له تأثيراً شديداً في القلب وموقعاً عظيماً في النفس وفائدته أنه أول ما يطرق سمع المخاطب ذكر العقد في العدد فيكبر موقع ذلك عنده وهو شبهه بما ذكرنا من الابهام ثم التفسير بعدهما يسوى بينهما .. فن ذلك قوله تعالى « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبثَ فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً » فانه انما قال - ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً - ولم يقل تسعمائة وخمسين عاماً لفائدة حسنة وهى ذكر ما ابتلى به نوح عليه الصلاة والسلام من أمته وما كابده من طول المقام ليكون ذلك تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتبهيها له فان ذكر رأس العدد الذى هو منتهى

العقود وأعظمها أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع قوة صبره وما لاقاه من قومه . . ومن بدیع التفسير بعد الابهام قوله تعالى « انما أعظمكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى » ولو حذف - واحدة - كان الأمر كما ذكرنا وذهبت تلك الفخامة التي في الابهام وزال ما فيه من الغموض وانقطع شوق النفس الى التفسير وفسر الواحدة - بقوله أن تقوموا لله مثنى وفرادى . . ومنه قوله تعالى « والمؤتفكة أهوى ففشاها ما غشى » . ومنه قوله تعالى « فغشيهم من اليم ما غشيهم » . ومنه « وفعلت فعلتك التي فعلت » . ومنه في الاستعمال قولهم فؤاد فيه ما فيه . . ومنه قول الشاعر في وصف الحمر

فقد مضى ما مضى من عقل شاربها وفي الزجاجة باقٍ يطلبُ الباقي
.. ومنه قول الآخر

مضى ما مضى حتى علا الشيبُ رأسه فلما علاه قال للباطل ابعُدِ
.. وقال آخر
سأغسلُ عنى العارَ بالسيف جالباً على قضاء الله ما كان جالباً
فاعرف ذلك وقس عليه



القسم الرابع والخمسون

(التعقيب المصدري)

وانما يُعتمد الى ذلك لضرب من التأكيد لما تقدمه والاشعار بتعظيم شأنه أو بالضد من ذلك . . مثال الاول قوله تعالى « ويوم يُنفخُ في الصورِ ففزعَ من في السموات ومن في الارضِ » الى قوله « هل تجزونَ ألا ما كنتم تعملون » فقوله - صنع الله - من المصادر المؤكدة لما قبلها وهو كقوله « وعند الله . وصيغة الله » ألا ترى أنه لما جاء ذكر هذا الأمر العظيم الدال على القدرة الباهرة من النفخ في الصور وإحياء

الموتى والفرع واحضار الناس للحساب وتسيير الجبال كالسحاب في سرعتها وهي عند الرؤية لها والمشاهدة كأنها جامدة عقب ذلك بأن قال - صنع الله - أى هذا الأمر العجيب البديع صنع الله والمعنى ويوم ينفخ فى الصور وكان كيت وكيت من الاشياء الباهرة وأثابة الله المحسنين ومعاقبة المجرمين فجعل هذا الصنع من جملة الامور التى هى أنفسها وأنى بها على الحكمة والصواب حيث قال - صنع الله الذى أتقن كل شئ - يعنى أن مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من إحكام الاشياء واتقانه لها واجرائه اياها على الحكمة أى انه عالم بما يفعل العباد وبما سيرجعون اليه فيكافئهم على حسب أفعالهم ثم لخص ذلك بقوله « من جاء بالحسنة » الى آخر الآيتين . فانظر أيها المتأمل الى بداعة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة ايجازه وفصاحة تفسيره وأخذ بعضه برقاب بعض كأنه أفرغ افراغا واحداً ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشفاشق . ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب الكلام كان كاشاهد بصحته والمنادى على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون الا ما قد كان ألا ترى الى قوله - صبغة الله . وصنع الله . ووعد الله . وفطره الله - بعد ما وسماها بإضافتها اليه بسمه العظيم كيف تلاها بقوله - الذى أتقن كل شئ - . . . وأما الثانى وهو ضد الاول وذلك ما يراد به تصغير الشأن كقولهم اذا ذكر انساناً يريدون ذمه - قد ركب هواه . واستمر على غيه . وتمادى على جهله . وسحب ذيل عجيجه - وما أشبه ذلك ثم يقول - صنع الشيطان الذى غلب النفوس وميل الالباب - ومثل هذا كثير فاعرفه

— القسم الخامس والخمسون —

(النفى والاثبات)

وهو أعلى ضرب من البلاغة كثير الفوائد عذب الموارد . وقد تكلم فيه أرباب علم الكلام وأرباب علم البيان وقالوا ان نفى الخاص يدل على ثبوت العام ولا يدل نفيه

على نفيه . وقد بينا أن زيادة المفهوم في اللفظ توجب زيادة الالتئاذ به للحصول جملة من الملاذ دفعة واحدة ولذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص واثبات الخاص أحسن من اثبات العام . أما الاول فكقوله تعالى « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » ولم يقل بضوئهم لأن النور أعم من الضوء إذ يطلق على الكثير والقليل وانما يقال الضوء على القدر الكثير . ولذلك قال تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا » وهاهنا دقيقة وهو أنه قال - ذهب الله بنورهم - ولم أيقبل أذهب نورهم لأن الازهاب بالشيء لا يمنع من عود ذلك الشيء بخلاف الذهاب إذ يفهم من ذلك استصحابه في الذهاب ومقتضى ذلك منعه من الرجوع . وكذلك قوله تعالى « قال الملاء من قومه إنا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة » معناه لاضلالة واحدة بي ويلزم من ذلك أن لا يثبت له فرد من الضلال البتة ولا كذلك لو قال ليس بي ضلال لان اسم الجنس يقال على الكثير والقليل فيجوز أن يكون المنفي هو الكثير . ومما يشبه ذلك قوله تعالى « ولا تقل لهما أف » فان هذا يدل على النهي عن الضرب أيضاً لاعلى أن التأنيف أعم بل لأن المقصود من منع التأنيف هو الاكرام وعدم الاهانة والاهانة بالضرب أكثر من الاهانة بالتأنيف . الثاني كقوله تعالى « وجنة عرضها السموات والارض » ولم يقل طولها لان العرض أنقص إذ كلما له عرض فله طول ولا ينعكس . ومما يتعلق بهذا انه اذا كان الشيء يشبه أشياء بعضها أتم في التشبيه أو أوفق من بعض فالاولى والألام الاقتصار على ما هو أتم وأوفق فان ذكر الكل فالاولى الابتداء بالادنى والاضعف ليكون انتقال الذهن الى الأعلى بتدرج ولأن التشبيه بالأعلى الذل والانتقال من لذة الى ما هو دونها غير مُلذ ولا مستحسن فلذلك قال الاشترا النخعي

حَمَى الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ لَمَعَانُ بَرَقَ أَوْ شَعَاعُ شَمْسٍ

. واذا كان للشيء صفة يغنى ذكرها عن ذكر صفة أخرى أو يدل عليها كان الاقتصار عليها أولى من ذكرها لان ذكرها كال تكرار وهو ممل واذا ذكر فالاولى تقديم المدلول عليها وتأخير الدالة حتى لا تكون الآخرة قد تقدمت الدلالة عليها وقد يخل بذلك لمقصود

آخر كما في قوله تعالى « وكان رسولا نبيا » فانه آخر نيبا لاجل السجع . واذا كان ثبوت شيء أو نفيه يدل على ثبوت آخر أو نفيه كان الأولى الاقتصار على الدال على الآخر فان ذكرنا فالأولى تأخير الدال وقد يخل بذلك لمقصود كما في قوله تعالى « ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » وعلى قياس ما قلنا ينبغي أن يقتصر على صغيرة وان ذكرت الكبيرة فلتذكر أولا . ومثله قوله تعالى « فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما » وعلى ذلك القياس يكتب بقوله - ولا تقل لهما أف - وان ذكرنا فيقول - ولا تنهرهما ولا تقل لهما أف - . . . واذا تكررت الصفات فان كان للمدح فالأولى الانتقال من الأدنى الى الأعلى ليكون المديح مزيداً لتزايد الكلام وان كان للذم فقد قالوا ينبغي الابتداء بالاشد ذماً وهو مشكل . وقد يجوز أن يستعمل نفي الخاص لنفي العام ويسمى هذا عكس الظاهر وهو من المجاز البديع . ومثاله قول على رضي الله عنه في وصفه لمجلس رسول الله صلى عليه وسلم - انه لاتثنى فلتانه - أى تذاع والمراد أنه لافئات له البتة وانما يعرف ذلك لأنه نكرة في معرض المدح وانما يكون كذلك اذا كان المراد ما ذكرناه . ومنه - ليس بهاضب فينجحر - والمراد أنه لاضب بها . . . وكذلك قول بعضهم

تردين جلاب الحياء فلم يرى لذيولهن على الطريق غبار

والمراد انهن لا يخرجن ولا يمشين . وهذا ينبغي ان يكون من باب تنسيق الصفات لكن فيه زيادة اقتضت افراده

القسم السادس والخمسون

(في الضمائر وما يتعلق بها)

اعلم وفقنا الله واياك أن الضمير لا يخلو إما أن يكون معلوماً أو لا يكون كذلك . فالأول تأكيده بضمير آخر وعدم تأكيده بذلك سواء في البلاغة كما في قوله تعالى « بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » مع قوله تعالى « نعلم ما في نفسى ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب » وذلك لأن قدرة الله تعالى وعلمه معلومان

فاستوى حذف الضمير المؤكد واثباته معهما . والثاني الأولى فيه والأفصح تأكيد الضمير بضمير آخر وذلك إذا أريد تقوية المتعلق به . وحينئذ إما أن يكون الضميران متصلين أو منفصلين أو أحدهما متصل والآخر منفصل . أما المتصلان فكقوله تعالى « قال أقتلت نفساً زكيةً بغير نفسٍ لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً » وإنما أكد هنا دون قصة السفينة لارادته في قصة الغلام زيادة النكر . . وأما المنفصلان فكقول المتنبي

فانك أنت أنت وأنت منهم وجدك بشر المليك الهمام

والغرض المبالغة في زيادة المدح . . وأما إذا كان أحد الضميرين منفصلاً والآخر متصلاً فكقوله تعالى « قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى » وهاهنا دقائق . أحدها الاتيان بلفظة - إن - المشددة لتفيد تأكيد ثبوت ما بعدها . وثانيها تكرير الضمير يدل على تأكيد ما يتعاق به . وثالثها ذكر - الأعلى - معرّفاً يدل على أن غيره لا يكون كذلك بخلاف على وأعلى . ورابعها أن - الأعلى - بصفة أفعل يشعر بزيادة العلو . وخامسها حذف لام العلة يفيد زيادة علة لعدم الخوف لأن قوله - لا تخف - علة لعدم الخوف لأنه نهى عنه واشتقاقه بعد ذلك بقوله - إنك أنت الأعلى - منع أيضاً من الخوف لأن الأعلى لا يخاف الأدنى

- القسم السابع والخمسون -

(الفصل والوصل)

وهو العلم بمواضع العطف والاستثاف والتهدى الى كيفية ايقاع حروف العطف في مواقعها وهو من أعظم أركان البلاغة حتى قال بعضهم حدد البلاغة معرفة الفصل والوصل . . واعلم ان فائدة العطف التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ثم من الحروف العاطفة ما لا يفيد إلا هذا القدر وهو الواو وهو المراد بالذكر هاهنا والعطف (٢٤ - فوائد)

والمعطوف عليه على ثلاثة أقسام . الاول عطف مفرد على مفرد وهو يقتضى التشريك فيما يوجب الاعراب . الثانى عطف الجمل التى فى قوة الافراد ويقتضى التشريك أيضاً . الثالث الجمل التى ليست فى قوة المفرد . وهى على قسمين . قسم يكون فيه معنى أحد الجملتين لذاته متعلقاً بمعنى الأخرى كما اذا كانت كالتوكيد لها فلا يجوز ادخال العاطف لأن التوكيد والصفة متعلقان بالمؤكد والموصوف لذاتيهما والتعلق الذاتى يغنى عن لفظ يدل عليه فالتأكيد كقوله تعالى « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » . وكقوله تعالى « واذا تتلى عليه آياتنا وتلى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً » ولم يقل وكأن لأن المتصور من التشبيه بمن فى أذنيه وقر التشبيه بمن لا يسمع إلا أن الثانى أباح . . وكذلك قوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ مبينٌ » . وقوله تعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى » الانبئات فى الآيتين جميعاً تأكيد لنى ما نفى . . وأما قوله تعالى « إن هذا إلا مآك كرمٌ » فيحتمل أن يكون تأكيداً لقوله « ما هذا بشراً » اذ المرتفع عن البشرية من المخلوقات اما هو الملك ولان الناس اذا شاهدوا فى الانسان من الخلق الحسن والخلق الجميل ما يعجبوا منه قالوا ما هذا بشرٌ لان غرضهم أن يقولوا انه ملك فلما كان ذلك مفهوماً قبل التصريح به كان التصريح به تأكيداً ويحتمل أن يكون صفة له فان اخراجه عن جنس البشرية يتضمن دخوله تحت جنس آخر لا تحت الملك على الخصوص فان القسمة غير محصورة فى النوعين فجعله ما كاتعين لذلك النوع وتميز له عن غيره . الثانى أن لا يكون بين الجملتين تعاق ذاتى فان لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العطف ولذلك عابوا أبا تمام فى قوله

لا والذي هو عالمٌ أن الهوى صبرٌ وأن أبا الحسين كرمٌ

اذ لا مناسبة بين مرارة الهوى وبين كرم أبى الحسين . ثم ان كان المحدث عنه فى الجملتين شيئين لغير المناسبة فى الذى أخبر بهما والذى أخبر عنهما والمراد بالمناسبة أن يكونا متشابهين كقولك زيد كاتب وعمر وشاعر أو متضادين تضاداً على الخصوص كقولك زيد طويل وعمر قصير وكقولك العلم حسن والجهل قبيح . فلو قلت زيد طويل

والخليفة قصير أخلّ المعنى عند السامع اذ لم يكن لزيد تعلق بمحدث الخليفة ولو قلت زيد طويل وعمرو شاعر اختل اللفظ اذ لا مناسبة بين طول القامة والشعر . . وان كان المحدث عنه في الجملتين شيئاً واحداً كقولك فلان يقول ويفعل فيجب الاتيان بالعاطف فان الغرض جعله فاعلا للامرین وترك العاطف يوهم أن الثاني رجوع عن الاول والاجتماع لزيادة الاشتراك كقولك المعجب من انك تنهى عن شيء وتأتي مثله . وكقول الشاعر

لا تَطْمَعُوا أَنْ تَهْنِئُوا وَنُكِرَ مَكْمٌ وَأَنْ نَكْفَ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتَوَّذُوا
أَي لا تَطْمَعُوا أَنْ تَرَوْا اِكْرَامَنَا أَيْ كَمْ يَوْجِدُ مَعَ اِهَانَتِكُمْ أَيْ أَنَا وَبِجَامِعِهَا فِي الْحَصُولِ . .
والعاطف تارة يجب اسقاطه وتارة يجب اثباته وتارة يخير بين اسقاطه واثباته . . أما
الذي يجب اسقاطه فهو اذا كان اثباته يخل بالمعنى كقوله تعالى « واذا قيل لهم لا تفسدوا
في الارض قالوا انما نحن مُصْلِحُونَ » أَلَا انهم هم المفسِدُونَ » فقوله - أَلَا انهم هم
المفسِدُونَ - كلام مستأنف وهو اخبارٌ من الله تعالى فلو أتى بالواو العاطفة لكان اخباراً
عن اليهود بأنهم وصفوا أنفسهم بأنهم مفسدون فيختل المعنى ويتناقض الكلام . .
وكذلك قوله تعالى « واذا خلوا الى شياطينهم قالوا اإنّا معكم انما نحن مُسْتَهْزِؤُنَ
اللّهِ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » فهذا اخبار من الله تعالى وفي الحقيقة جواب سؤالٍ مقدر لانه
تعالى لما أخبر عنهم بأنهم قالوا كيت وكيت تشوَّف السامعون الى العلم بتصير أمرهم
فكانه قيل فماذا فعل الله بهم فقال « اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُحُهمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ »
. . وأما ما يجب اثبات العاطف فيه فقوله تعالى « يُخَادِعُونَ اللّاهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ
وَمَكْرُوا وَمَكْرَ اللّاهِ » فان كل واحدة من الجملتين خبر من الله تعالى . ومثله في القرآن
العظيم كثير . وأما الذي يخير بين اسقاطه واثباته فهو اذا كان اسقاطه لا يخل بالمعنى
واثباته لا يفيد معنى زائداً . وسيأتى بيان ذلك ان شاء الله تعالى



﴿ فصل ﴾

يشتمل على ذكر جل عطف بعضها على بعض
بالواو • والفاء • ونم • واختلاف معانيها

• فمن ذلك قوله تعالى « هو يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ » عطف أولاً بالواو لان الاطعام والاسقاء ليس فيهما ترتيب واجب مع أن تأخير الاسقاء أولى ولذلك أخره في الذكر وعطف ثانياً بالفاء اذ لامهلة بين المرض والشفاء وعطف بثم لما بين الامانة والاحياء من المهلة ومع ذلك نسب الموت الى الله لما في ذلك من اظهار القدرة والقهر ونسب المرض الى نفسه لان الادب أن لا ينسب الى الله تعالى الا ما يحمد والموت وان كان مذموماً لكنه عند قائل هذا محمود لانه على يقين من السعادة الاخرية • ومن ذلك قوله تعالى « فحملته فانتبذته به مكاناً قصياً فأجاءها المخاض الى جذع النخلة » انما عطف بالفاء مع أن بين مجيء المخاض والحمل مهلة لان المهلة التي بين حملها ومخاضها كانت مدة يسيرة قيل كانت يوماً وقيل كانت ثلاث ساعات وعليه أكثر المفسرين حتى يتميز حملها عن سائر النساء ويكون ذلك كرامة لها فعلى هذا يكون المراد بالآية بيان ذلك • • وجميع أفعال المطاوعة اذا كانت على معانيها فانما يعطف عليها بالفاء لا الواو وتقول دعوته فأجاب وأعطيته فأخذ ولا يحسن أعطيته وأخذ ولادعوته وأجاب قال الله تعالى حكاية عن ابليس « وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى » وكذلك تقول كسرتة فانكسر ولا تقول كسرتة وانكسر • وأما اذا كان فعل المطاوعة على غير معناه فقد يحسن العطف عليه بالواو كما في قوله تعالى « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه » • ومن المعطوف بالواو أيضاً قوله تعالى « وإنا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » ولو قال لنى هدى أو على ضلال لم يحسن لان على - تفيد الاستعلاء وهو مناسب للحق - وفى - تفيد الوعاء والكافر كأنه مغموس فى الضلال • • ومن هذا النوع قوله تعالى « انما الصدقات للفقراء

والمساكين والعاملين عابها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل»
ما عدل عن اللام في الاصناف الاخرة الا لبيان ان تلك الاصناف أحق بالصدقات ينبنى
أن توضع فيهم وضع الشيء في الوعاء وكرر في ابيان أن سبيل الله أولى بذلك فتأمل
فهو كثير في القرآن

القسم الثامن والخمسون

(في الوصف)

والوصف أصله الكشف والاظهار من قولهم - وصف الثوب الجسم - اذا لم
يستره ونم عليه . . وأحسنه ما يكاد يمثل الموصوف عياناً ولاجل ذلك قال بعضهم أحسن
الوصف ما قلب السمع بصراً . . ومنه في القرآن العظيم كثير مثل قوله تعالى في وصف البقرة
التي أمر بنو اسرائيل بذبحها لما سألوها أن توصف لهم بقولهم « أدع لنا ربك يبين لنا
ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك » وقوله لما سألوها
أن يصف لهم لونها « قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين »
وقوله لما سألوها بيان فعلها قال انه « يقول انها بقرة لاذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث
مسلمة لا شية فيها » فجمع في هذه الآية جميع الاحوال التي يضبط بها وصف الحيوان
فان الحيوان عند البيع والاجارة وسائر وجوه التمايكات يحتاج فيه الى معرفة سنه ولونه
وعمله ثم يفتقر فيه الى معرفة عيوبه فنفي الله سبحانه وتعالى عن تلك البقرة كل عيب
بقوله - لا شية فيها - فجمع في هذه الآية جميع وجوه الوصف فانه في الاول وصف سنه وفي
الثاني وصف لونها وفي الثالث وصف خلقها وعملها . . ومن ذلك قوله تعالى « مثل
الجنة التي وعد المتقون » أي صفة الجنة التي وعد المتقون كيت وكيت . ومنه قوله تعالى
« مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا » وقوله تعالى « الذين ينفقون » الآية . وقوله
تعالى « مثل الحياة الدنيا » الآية . . ومن هذا الباب في القرآن كثير لا يحصى وكذلك

في السنة النبوية وكذلك في الشعر . . ومن بديع ما ورد في الشعر قول أبي تمام في وصف سحابة

ديمةٌ سحت العهاد سكوب مستغيثٌ بها النرى المكروب

لوسعت بقعة لأعظام أخرى لسمى نحوها المكان الجديب

. . والوصف قريب من التشبيه إلا أن الفرق بينهما أن التشبيه مجاز والوصف راجع إلى حقيقة وذاته . وفي القرآن العظيم والكلام الفصيح منه كثير

٥ - القسم التاسع والخمسون

(تنسيق الصفات بغير حرف نسق)

وهو أن تصف الشيء بصفات عديدة متوالية . أما لتعظيمه . وأما لتحقيقه . وأما لبيان خصوصية فيه . ومنه في الكتاب العزيز كثير . . أما في التعظيم فمثل قوله تعالى « هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم » إلى آخر السورة . وأما في التحقير فكقوله تعالى « ولا تطع كل حلاف مهين هازي مشاء بنميم مناع للخير معتدي أثيم مجتل بعد ذلك زنيمة » . وما لبيان الخصوصية وإظهار الكرامة فكقوله تعالى « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً » الآية . ومنه في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم - ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني . مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يآلفون ويؤلفون - ومن الذم - ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة أسوأكم أخلاقاً الزنارون المتفيهقون - . . ومن هذا

النوع في الشعر كثير . من ذلك قول العباس يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة الأرامل

. . وقول حسان

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

القسم الستون

(حسن النسق)

وهو أن تأتى بكلمات من النثر أو النظم متتاليات ومتعاقبات منسوقة بعضها على بعض بحرف العطف كل كلمة إذا أفردت كانت تقوم بمعنى مفرد مستقل وكل بيت إذا جرد من تلوه استقل معناه ولم يفتقر الى غيره وان ضم اليه تلوه صارا كأنهما بيتاً واحداً .
ومنه فى الكتاب العزيز قوله تعالى « وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين » فانت ترى هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذى تقتضيه البلاغة لانه سبحانه بدأ بالاهم اذ كان المراد اطلاق أهل السفينة من سجنها ولا يتيهأ ذلك الا بانكشاف الماء عن الارض فلذلك بدأ بالارض فأمرها بالانقلاع ثم علم سبحانه أن الارض اذا ابتلعت ما عليها ولم تنقطع مادة السماء تأذى بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها وربما ينزل من السماء أكثر مما تبتلع الارض فأمرها بالاقلاع بعد أن أمر الارض بالابتلاع ثم أخبر بغيض الماء عند ما ذهب ما على الارض وانقطعت مادة السماء وذلك يقتضى أن تكون نائمة الجملتين المتقدمتين ثم قال تعالى - وقضى الامر - أى هلاك من قدر هلاكه ونجى من قضيت نجاته وهذا كنه الآية وحقيقة المعجزة ولا بد أن تكون معلومة لاهل السفينة ولا يمكن علمهم بها الا بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم ولذلك اقتضت البلاغة أن تكون هذه الجملة رابعة الجمل وكذلك استواء السفينة على الجودى أى استقرارها على المكان الذى استقرت فيه استقراراً لا حركة معه لتبقى آثارها عبرة لمن يأتى بعد أهلها وذلك يقتضى أن تكون بعد ما ذكرنا . وقوله سبحانه وتعالى - وقيل بعداً للقوم الظالمين - وهذا دعاء أوجبه الاحتراس ممن يظن أن الهلاك ربما شمل من لا يستحق فدعا الله سبحانه وتعالى على الهالكين وسأهم ووصفهم بالظلم احتراساً من هذا الاحتمال وذلك يقتضى أن يكون بعد كل ما تقدم والله أعلم . فانظر

الى حسن هذا النسق كيف وقع القول فيه وفق الفعل سواء .. وقد حكى ان ابن المقفع العبدى عارض آى القرآن فلما باغ الى هذه الآية أمسك عن المعارضة وقال هذه الفصاحة التى لا تبارى والبلاغة التى لا يسابق المتكلم بها ولا يجارى والقول الفصل الذى لا يختلف فيه ولا يتمارى . وهذا فى الشعر كثير .. ومن أحسنه قول ابن شرف القيروانى

جاوَزَ علياً ولا تحفَلْ بحادثةٍ اذا ادَّرَعْتَ فلا تسأل عن الاسلِ
سَلَّ عنه وانطِقْ به وانظر اليه تجدْ ملء المسامع والافواه والمقل

❦ القسم الحادى والستون ❦

(المدح والذم)

وفى كتاب الله تعالى منه كثير . المدح للمؤمنين . والذم للكافرين ومدحه هو المدح على الحقيقة . وذمه هو الذم على الحقيقة .. وقد مدح الله تعالى نفسه بقوله « اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » . وقوله تعالى « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لم يلد ولم يُولَدْ ولم يكن له كفواً أحدٌ » حتى قال بعض العلماء لكل أحد نسبة ونسبة الله تعالى - قل هو الله أحد - ومدح الله عز وجل نبيه بآيات كثيرة كقوله تعالى « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِراً وَنَذِيراً وداعياً الى الله باذنه وسِرَاجاً مُنِيراً » ومدح نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى آيات كثيرة . منها قوله تعالى « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً » ومدح المؤمنين بقوله تعالى « النَّابِئُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ » . وذم سبحانه وتعالى الكافرين بآيات كثيرة . منها قوله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللهُ » الآية . وذم المنافقين بقوله « وَمَنْ النَّاسِ مِنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ

وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وما يُخَادِعُونَ اللَّهَ أَشْفَهُمْ
وما يشعرون في قلوبهم مَرَضٌ مُّزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ١٠ ۝ وأما مدح
الناس بعضهم بعضاً فينبغي لمن أراد أن يمدح أحداً أن يمدحه بألفاظ حسنة مستعذبة
واضحة المعنى رائقة اللفظ غير حوشية ولا قلقة وأن تكون القصيدة أو الرسالة حسنة
المطلع بديعة النخلص عذبة المقطع وأن يكثر في وصف الممدوح ونشر مآثره وتعدد
مكارمه ونحو ذلك ويكثر من ذكر النوع الذي يميل إليه من المكارم ويجب أن يوصف
به من المآثر ونحو ذلك ۝ ۝ وقد قال قدامة الأوصاف التي يمدح بها أربعة ۝ الأول
العقل ويدخل فيه الحياء والثبات والسياسة والكفاءة وثقافة الرأي والصدع بالحجة
والحلم عن سفاهة السفهاء وأمثال ذلك ۝ الثاني الشجاعة ويدخل فيها المهابة والحماية
والدفاع والاختد بالثأر والنكاية في العدو وقتل الاقران والسير في المهامه وأشباه ذلك ۝
الثالث العفة ويدخل فيها القناعة وقلة الشره وطهارة الإزار ونحو ذلك ۝ الرابع العدل
ويدخل فيه السماحة والاطلاق والتبرع بالنائل واجابة السائل وقراء الضيف ۝ ويحدث
من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمات والوفاء بالوعد ۝ ومع العفة ترك الشره
والرغبة عن المسألة والاقتصار على أدنى معيشة ۝ ومع العدل البروانجاز الوعد ۝ ويحدث
من تركيب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة على الحريم ۝ ومع العدل الائتلاف
وترك الخلاف ۝ ويحدث من تركيب العفة مع العدل الاسعاف بالقوة والايثار على النفس
ونحو ذلك ۝ ۝ واستوعب زهير الاقسام الاربعة فقال

أخى ثقة لا تهلك الجمر ماله ولكنهُ قد يهلك المال نائله

رسفه بالعفة لقلّة امعانه في اللذات وبالسخاء ووصفه بالشجاعة والعقل فقال

وَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلُهُ لِإِذْهَابِ ضَيْمٍ أَوْ لُخْصَمٍ يَجَادِلُهُ

وأما قوله - أخى ثقة - فهو وصف بالوفاء وهو داخل فيما ذكرنا ۝ وفي الذم يأتي
بأضداد ما تقدم ۝ وقيل أحسن الهجاء ما لا تستحي العذراء من انشاده ۝ وقيل في
الذم أن تأتي بالألفاظ المنكية والمعاني المشجية والمقاصد المؤلمة المبكية ويتوخى أقبح
معائب المهجوة وأعظم وجوه الازدراء به ولهذا المعنى حرّمه الله ورسوله وعم بالنهم

والانكار كل من يحفظه أو يقوله

﴿ القسم الثاني والستون ﴾

﴿ الحمد والشكر ﴾

وقد اختلف العلماء فيهما فقال قوم وهم الجمهور الحمد هو ذكر ما في الانسان من
المآثر الحسنة والصفات المستحسنة والشكر ثناء يقصد به مجازاة المنعم . . وقال بعض أهل
العلم ان الحمد وصف الخلال كقول الخنساء أخت صخر

وما بانغت كفوً امرئ . متناولا . من المجدِ الآ والذي نأت أطولُ

وما باغ المهدون للناس مدحةً . وان أطبوا الأ التي فيك أفضلُ

والشكر وصف الافعال كقول الشاعر

وانكم بقية حتى قيس وهضبتُ التي فوق النصاب

تبارون الرياح اذا تبارت وتمتثون أفعال السحاب

يذكرني مقامي في ذراكم مقامي أمس في ظل الشباب

.. وقيل ان الحمد والشكر سواء . وقال أهل اللغة - حمدت الرجل - اذا شكر

له صنيعه - وأحمدته - اذا وجدته محموداً . . وقال ابن الانباري - حمد - مقلوب ما

وقد قيل كيف يكون الحمد والشكر سواء والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفر

والذي أختاره أن الحمد أعم من الشكر وانه قد يحمد الشخص على ما فيه من

الاخلاق الجليلة والصفات الجميلة ويحمد على حسن خاقه من الصباحة والجمال والكمال

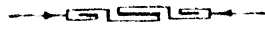
ويحمد على ما فيه من الفصاحة والبلاغة والنجابة ويحمد على كثرة انعامه واحسانه والثناء

انما يكون للمنعم عليك فقط فاذا حمدت أحداً ان نويت بالحمد الشكر له على ما اسد

اليك من الانعام والاحسان كان هذا الحمد هو الشكر لانه مجازاة لمنيع ومكاف

لاحسان فقد اتيت بأعلى درجات الشكر هو الذي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه

وسلم بقوله الحمد رأس الشكر وهو الذى يجوز اطلاقه على الشكر واطلاق الشكر عليه وان أردت بالحمد الثناء على صفاته الجميلة الكاملة التى خلقه الله عليها فهذا أخو المدح وهو علاه ويجوز اطلاقه على المدح واطلاق المدح عليه وان أردت بالمدح وصفه بكمال الجمال والجلال وحسن الشيم والخلال والثناء عليه بما أسدى اليك والى غيرك من الانعام والافضال فهذا هو الحمد الكامل ولا يجوز أن يطلق عليه الشكر والمدح فهذا هو الحق . . . وقد تكلم المفسرون فى الحمد والشكر والفرق والجمع بينهما وبين المدح ومن علم ما ذكرته هنا سهل عليه الاختلاف والاتلاف والله الموفق للصواب لا رب غيره



— ❧ القسم الثالث والستون ❧ —

﴿ تأكيد المدح بما يشبه الذم ﴾

وهو كقولهم بحار العلم إلا أنهم جبال الحلم . . . ومنه قول بديع الزمان هو البدر إلا أنه البحر زائراً يسوى أنه الضرعام لكنه الوابل وهذا من نوع الغلو والإغراق وسيأتى بيانه عقيب هذا القسم ان شاء الله تعالى . وهذا النوع فى القرآن كثير



❧ القسم الرابع والستون ❧

﴿ المبالغة ﴾ وتسمى الافراط والغلو والايغال .

ومعنى هذه الاسماء متقاربة وبعضها أرفع من بعض

قال علماء علم البيان المبالغة الزيادة على التمام وسميت مبالغة لبلوغها الى زيادة على المعنى لو أزيلت تلك الزيادة وأسقطت كان المعنى تاماً دونها لكن الغرض بها تأكيد ذلك لمعنى فى النفس وتقريره . وفى القرآن العظيم والكلام الفصيح والاشعار منه كثير . . .

أما الكتاب العزيز فقوله تعالى « اذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا » . ومنه قوله تعالى « وقد
مَكُرُّوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ » وقد قيل ان
هذه الآية ليست من باب المبالغة بل حكاية عما وقع . ومنه قوله تعالى « تكادُ السَّمَوَاتُ
يَنْفَطِرُنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا » . وقوله تعالى « ولَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ
بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى » الآية . . . وأما الكلام الفصيح
فقد روى عن العرب أنهم قالوا فلان يهدُّ الجبال ويصرع الطير ويفزع الجن ويزوى
الماء . . . وقال بعض العرب في فرسه - يحضر ما وجد أرضاً وإن الوابل ليصيب عجز
ولا يبلغ معرفته حتى أنال حاجتي - . وذهم اعرابي رجلاً فقال - يكاد يمدى لؤمه مر
تسمى باسمه - . وقالت سكيئة - ما لبستُ بنتي الدرَّ إلا لتفضحه - ومنه في الشه
كثير . . . فمن ذلك

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليل حتى نظم الجزع ناقبه

.. وقال المتنبي

لقيتُ الرَّوَّابِيَّ وَالشَّخَايِبَ دُونَهُ وَجِبتُ هَجيراً يَتْرُكُ الْمَاءَ صَادِياً

.. وقال آخر

لو كان يَقْعُدُ فَوْقَ النَّجْمِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ لَقِيلَ اقْعُدُوا يَا آلَ عَبَّاسٍ

.. وقال آخر

فَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلِي بِأَرْضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي وَيَدُنِي تَبْعِدُهَا
مِنْ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ وَدُ جَلِيسُهَا إِذَا مَا مَضَتْ أَحْدُوْتُهُ لَوْ تُعِيدُهَا
وَكَيْفَ يَوَدُّ الْقَلْبُ مَنْ لَا يَوَدُّهُ بَلَى قَدْ تَرِيدُ النَّفْسُ مَنْ لَا يُرِيدُهَا

.. وقال آخر

وَحَدِيثُهَا السَّحَرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُجْنِ قَتَلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَعَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يَمْلَأْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمَحْدَثُ أَنَهَا لَمْ تَوْجَزْ

شَرَكُ النُّفُوسِ وَنَزْهَةٌ مِثْلُهَا لِلْمُطْمَئِنِّ وَعُقْلَةٌ الْمُسْتَوْفِرِ
والاشعار في هذا الباب كثيرة لا تحصى

— القسم الخامس والستون —

(الرثاء والتعزية)

فأما الرثاء فهو مدح الميت بما كان فيه من المناقب المذكورة والمحاسن الماثورة . ومنه قوله تعالى في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام « وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ » . وقوله تعالى « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » . وقوله تعالى في حق نوح عليه الصلاة والسلام « وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ » . وأما التعزية فهو أن يذكر ما يتوصل به إلى تسلية مخلفي الميت وتصبيرهم واطفاء نار شكهم . وفي القرآن من ذلك كثير وهي كثيرة في أشعار المتقدمين والمتأخرين . . . أما القرآن فقوله تعالى « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » . وقوله تعالى « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ » . وقوله تعالى « ذُكَّاؤِينَ مِنْ نَجِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا » . وقوله تعالى « كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وقوله تعالى « أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ » . وقوله تعالى « وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ » . وقوله تعالى « وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » . وقوله تعالى « وَلَمَّا صَبَرْتُمْ لَهَوْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ » . وأما الاشعار فقد ورد منها في هذا كثير لا يحصى . . . فمن أحسن ذلك قول بعضهم

مضى ابن سَعِيدٍ حَيْثُ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقُ وَلَا مَغْرِبُ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفَاحُ
وَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مُفْرَدًا وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَاحُ
لَنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْمَرَاتِي وَحُسْنُهَا لَقَدْ عَظُمَتْ مِنْ قَبْلُ فِيهِ الْمَدَاحُ

.. ومن بديع التعزية قول بعضهم

أيتها النفسُ أجملِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا

.. وقول بعضهم

قِسْمَةُ الْمَوْتِ قِسْمَةٌ لَا تَجُورُ كُلُّ حَيٍّ بِكَاسِهَا مَخْمُورُ

.. وقول الخنساء

يَذْكُرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَنْدُوبُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
وَلَوْ لَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكَوْنَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أَسْلَى النَّفْسَ عَنْهُ بِالنَّاسِي

﴿ القسم السادس والستون ﴾

﴿ في الشكاية ﴾

وهي في القرآن على قسمين . ملفوظ بها . وغير ملفوظ بها . . أما الملفوظ بها

ففي قوله تعالى « انما أشكو بثي وحزني الى الله » . . ومن الشعر قول بعضهم

الى الله أشكو لا الى الناس أنى أرى الأرض تطوى والاخلأ تذهبُ

.. وقال آخر

ولا خير في شكوى الى غير مُشْتَكِي ولا بُدَّ من شكوى اذا لم يكن صبرُ

.. وأما غير الملفوظ بها ففي القرآن منه كثير . من ذلك قوله تعالى « قال رب إن

القوم اسضعفوني وكادوا يقتلونى » . وقوله تعالى حكاية عن نوح عليه الصلاة

والسلام « قال ربّ إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً » الى قوله « وأسررت لهم أسراراً » . وقوله تعالى « وأفوض أمري الى الله إن الله بصير بالعباد » ومثله في القرآن كثير وفي الشعر كثير . . فمن بديعه قول الشاعر

يا الهى قد أثقتنى الذنوبُ فاعفُ عني فاعفو منك قريبُ
وتجاوز عن مُذنبٍ بخطايا . . عن الخير قلبه محجوبُ
كل يوم يمضى عليه ويدرى انه من حياته محسوب
وهو في غفلة بعيد من الخط ير قريب منه الخطا والذنوب
.. ومن بديعه أيضاً قول بعضهم

يا من يُناجى بالضمير فيسمعُ أنتَ المعدّ لكلِّ ما يُتوقع
يا من يُناجى للشدائد كلها يا من اليه المشتكى والمفزعُ
يا من خزائن جوده في قول كن امن فان الفضل عندك أجمعُ
مالى سوى قرعى لبابك حيلةٌ فاذا رددت فأى باب أقرعُ
ومن الذى أدعوا واهتف باسمه ان كان برك عن فقيرك يمنع
حاشى لجودك أن يقنط راجياً الفضل أجزل والمواهب أوسع
.. وفي هذا الباب أشعار كثيرة لا تحصى

❦ القسم السابع والستون ❦

(الحكاية)

وهو ان يحكى كلام المتكلم اما بلفظه أو بمعناه والقرآن العظيم مشحون بذلك . وهو على قسمين . ظاهر . ومقدر . . أما الظاهر فكما حكاه الله سبحانه وتعالى من قول الملائكة « قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » . ومنه قوله تعالى « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت

النصارى» وكذلك كل ما حكاه الله تعالى من أقوال القرون الخالية والامم الماضية . وأما المقدرفكقوله تعالى « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » التقدير يقولون - ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - دليل ذلك انه رد عليهم بقوله « قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً » ومثله في القرآن العظيم كثير

﴿ القسم الثامن والستون ﴾

(الاقضاء)

وهو طلب الموعد بالسالف . وهو على ضربين . حسن . وخشن . فالحسن مرغوب فيه لانه يحصل المقصود وينجز الموعد . . وأما المذموم فهو سبب الحرمان وحسم لمادة الاحسان . وقد وقع منه في الكتاب العزيز القسمان . . أما الحسن فنقل قوله تعالى « ربنا وآتنا ما وعدتنا على رؤسك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد » وقوله تعالى « قل رب احكم بالحق » وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون . . وقوله تبارك وتعالى « ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » استنجزوا وعده الكريم وهو قوله تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » . . وأما الخشن فورد منه في القرآن كثير أيضاً . فمنه قوله تعالى « واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » الآية . وقوله تعالى « وقالوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب » . وقوله تبارك وتعالى « فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين » . وفي الشعر منه كثير



﴿ القسم التاسع والستون ﴾

(التذكير)

وهو التنبيه لمن غفل أو سهى عن شكر نعمة أسديت إليه ومن أنزلت لديه نسيها أو تناساها لتقوم عليه حجة المنعم وليوقظ من نوم غفلته في ليل نسيانه أو تناسيه المظلم . وفي الكتاب العزيز منه كثير من ذلك قوله تعالى « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم » . وقوله تعالى « اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين » . اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآنا كم ما لم يأت أحدنا من العالمين » . وقوله تعالى « فقولا له لينا لعله يتذكر أو يخشى » ومعناه لعله يتذكر سترنا له وانعامنا عليه في أمر النيل اذ تضرع الينا فأجرينا له النيل لما التمس قومه منه اجراء النيل أو يخشى انتقامنا منه في الدنيا بالفرق وفي الآخرة بالنار والحرق . . والفرق بين الاقتضاء والتذكير أن التقاضى لاستبعاد حصول المطلوب لطول مدة انتظار المرغوب . والتذكير انما يكون عن غفلة أو نسيان كقول بعضهم

جئتكَ للاذكارِ مُستعِرضاً لالتقاضيكَ وَحُوشيتنا
ولستَ بالمهلِكِ لَكِنَّا لكثرةِ الاشغالِ أنسيتنا

﴿ القسم الموفى السبعين ﴾

(الوعد والوعيد)

• أما الوعد فهو اطماع باحسان في المستقبل وهو على قسمين . تحقق الوقوع وهو وعد الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى « وعد الله لا يخلف الله وعده » . وقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد » ووعد مرجو وقوعه وهو وعد العباد . والوعد يكون

في الخير والشر لكن استعماله في الخير أكثر قال الله تعالى « جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مائياً » . وقال تعالى « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفشحاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً » . وفي هذه الآية شاهد للمعنيين . وقد ورد في القرآن العظيم وفي الشعر منه كثير . أما القرآن فنه ما قدمنا . ومنه قوله تعالى « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا » . وقوله تعالى « وعدكم الله مغام كثيرة تأخذونها » . وقوله تعالى « ربنا وآنا ما وعدتنا على أسلك » . . . وأما الوعيد فهو تخويف بسوء المجازاة في المستقبل تحذيراً من الوقوع في المخالفات . وفي القرآن العظيم منه كثير . فمن ذلك قوله تعالى « آمنوا بما نزلنا مُصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أديبارها أو نأمنهم كالمنا أصحاب السبب وكان أمر الله مفعولاً » . وقوله تعالى « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » . وقوله تعالى « ومن يعص الله ورسوله ويتمدد حدوده يُدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » . وقوله تعالى « والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور » الى قوله « وما للظالمين من نصير »

القسم الحادى والسبعون

(العتاب والانداز)

وهو دليل بقاء المودة ودوام عقد الالفة والصحة . والفرض به ازالة ما فى النفوس من الوحشة لأن مجريانه يظهر ما فى القلوب من آثار الجناية ويبعد ما فى البواطن من تأكيد أسباب العنابة إذ لولا بقاء المودة الخفية لحصلت القطيعة بالكلية ولم يخرج الى عتاب ولم يرغب فى الاعتبار ولهذا قيل

* وَيَتَوَلَّوْا الْوُدَّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ *

ومنه في القرآن العظيم كثير .. فمن ذلك قوله عز وجل « عفا الله عنك لم اذنت لهم » . وقوله تعالى « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك » . وقوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » . وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة » الى قوله « والله عليم حكيم » .. وفي القرآن من جميل العتاب شيء كثير .. وأما الانذار ففي القرآن منه كثير لا يحصى . فمنه قوله تعالى « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون » . ومنه قوله تعالى « وأنذرتهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر » الآية . وقوله تعالى « وأنذرتهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون »

❖ القسم الثاني والسبعون ❖

(الاعتاب)

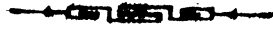
وهو رجوع الانسان عما عتبت عليه بسببه يقال عتبه فاستعتب أى أرجعته فارنجع . ومنه قوله تعالى « فان يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم بمعتبين » . وفي الحديث - اما محرمنا فيزداد واما مسيئنا فيستعتب .. ومنه قول الشاعر
عتبت عليه فما أعتبا وعنه اعتذرت وقد أذنبنا

❖ القسم الثالث والسبعون ❖

(الاعتذار)

وهو التوسل الى محو الذنب وازالة أثر الجرم مأخوذ من قولهم اعتذرت المنازل اذا درست .. ومنه قوله تعالى « يعتذرون اليكم اذا رجعتهم اليهم قل لا تعتذروا » الآية . وقوله تعالى « واذا قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم

عذاباً شديداً قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون • وقوله تعالى « تبرأنا اليك ما كانوا إيانا يعبدون »



— القسم الرابع والسبعون —

(تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل)

يفعل ذلك لضرب من المبالغة • وفي القرآن العظيم منه كثير • فمن بديع ماجاء منه قوله تعالى « قالوا يا موسى إما أن نتلقى وإما أن نكون نحن الملقين » قولهم - يا موسى إما أن نتلقى - تخيير منهم له وحسن أدب راعوه معه كما يفعل أرباب الصناعات اذا تلاقوا في تقديم بعضهم على بعض كالمتناظرين قبل أن يتخاضوا في الجدل وانما قالوا - وإما أن نكون نحن الملقين - ولم يقولوا وإما أن نتلقى كما قالوا - يا موسى إما أن نتلقى - لرغبتهم في أن يلقوا قبله وتشوفهم الى التقدم عليه وذلك لما فيه من تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل • • ومما يجرى على هذا المنهاج قوله عز وجل « فأزوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف: إنك أنت الأعلى » فتوكيد الضمير هاهنا في قوله - لا تخف انك أنت الأعلى - نفي الخوف من قلب موسى وأثبت في نفسه الغلبة والقهر ولو قال لا تخف انك الأعلى أو - وأنت الاعلى - لم يكن في التأكيدي لنفي الخوف من قلب موسى كما له من القوة في تقرير الغلبة ونفي الخوف بقوله - انك أنت الاعلى - وذلك لأن في هذه الثلاث كلمات وهي قوله تعالى - انك أنت الاعلى - ست فوائد • الاولى إن المشددة التي من شأنها التأكيدي لما يأتي بعدها كقولك زيد قائم ثم تقول إن زيدا قائم فني قولك ان زيدا قائم من الاثبات لقيام زيد والتقرير له ما ليس في قولك زيد قائم • الثانية تكرير الضمير في قوله تعالى - انك أنت - ولو قال فأنت الاعلى لما كان بهذه المثابة من التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره • الثالثة لام التعريف في قوله - الاعلى - فلو قال انك أنت أعلى ففكره وكان صالحاً لكل واحد من جنسه كقولك

وجله فانه يصلح ان يقع على كل واحد من الرجال واذا قلت الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف وجعلته عالماً فيهم . وكذلك قوله - انك أنت الاعلى - أى أنت الاعلى دون غيرك . الرابعة لفظ أفعل الذي هو من شأنه التفضيل ولم يقل العالى . الخامسة اثبات الغلبة من عال . السادسة الاستئناف في قوله - انك أنت الاعلى - ولم يقل لانك أنت الاعلى لانه لم يجعل علة انتفاء الخوف عنه لانه عال وانما نفي الخوف عنه أولاً بقوله - لا تخف - ثم استأنف الكلام بقوله - انك أنت الاعلى - فكان ذلك أبلغ في تقرير الغلبة لموسى عليه الصلاة والسلام واثبات ذلك في قلبه ونفسه . فهذه ست فوائد في هذه الكلمات الثلاث فانظر أيها المتأمل الى هذه البلاغة العجيبة التي تحيّر العقول وتذهب الالساب ومعجز هذا الكلام العزيز الذي أعجز البلغاء وأخف الفصحاء ورجل فرسان الكلام (فان قيل) لو كان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ من الاقتصار على أحدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه في كتابه حيث هو أحق بما هو أبلغ من الكلام وقد رأينا في الكتاب العزيز مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر كقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » فما الموجب لذلك ان كان تأكيده الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ في بابه من الاقتصار على أحدهما دون الآخر فقد كان يجب عند ذكر الله تعالى نفسه لانه أحق بالأبلغ من العلاء وان كان الامر بخلاف ذلك فكيف قلنا ان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ (الجواب) عن ذلك انا نقول توكيد المتصل بالمنفصل انما يرد في الكلام لتقرير المعنى واثباته في الذهن وما يختص بالله تعالى لا يفتقر الى تقرير ولا اثبات لانه اذا قيل عنه انه على كل شيء قدير لم يحتاج في ذلك الى توكيد حتى يتحقق ويتبين أنه على كل شيء قدير بل علم وعرف أنه على كل شيء قدير وأن قدرته جارية على كل مخلوق فعوار هذا من الأمر المعروف الذي لا يعتريه شك ولا يعترضه ريب وما هذا سبيله في الوضوح والبيان فلا حاجة فيه الى التوكيد اذ كان التوكيد من شأنه التقرير للمعنى المراد اثباته في النفس وكون الله سبحانه على كل شيء قدير ثابت في النفوس فلم يحتاج الى تقرير

وأثبت (فان قيل) فقد ورد في القرآن العزيز عند ذكر الله تعالى نفسه التأكيد بالضمير المنفصل للضمير المتصل كقوله تعالى « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » الى قوله « انك أنت غلامُ الغيوب » كما أنك على كل شيء قدير . فما السبب في هذا وهلا كان الجميع شرعاً واحداً (فالجواب على ذلك) انا نقول توکید الضميرين أحدهما بالآخر في هذه الآية لا ينقصر علينا ما أشرنا اليه أولاً لانه ان وقع الاختصار على أحدهما دون الآخر فإن القول في ذلك ما تقدم في الآية الأولى وان جرى بهما معاً فان ذلك أبلغ في بابه وأكد والله تعالى أحق بما هو أبلغ من الكلام وأكد . ولتمثل لك في استعمال الضميرين معاً والاختصار على أحدهما دون الآخر مثلاً تتبعه فقول إذا كان المعنى المقصود أمراً معلوماً قد ثبت في النفس ورسخ في الالباب فأنت بالخيار بين أن تؤكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه وبين أن تقتصر على أحدهما دون الآخر لانك ان وكدت الكلام فيه أعطيت المعنى حقه وان لم تؤكد فانه لا يحتاج الى تأكيد لبيانه وظهوره فان كان المعنى المقصود خفياً ليس بظاهر ولا معلوم فالأولى تؤكد أحد الضميرين بالآخر لتقرره وتكسبه وضوحاً وبياناً . ألا ترى الى قوله موسى عليه السلام - قلنا لا تخف انك أنت الاعلى - فانه كان ظهور موسى عليه السلام على السحرة وقهره لهم أمراً مستقرآ في ضمن الغيب لا يعلم ولا يعرف وأراد الله عز وجل أن يخبره بذلك ليذهب عنه الخوف والحذر بالأبلغ من الكلام ليكون ذلك أثبت في نفس موسى وأقوى دليلاً عنده في انتفاء الخوف عنه فوكید الضمير المتصل بالمنفصل فجاء المعنى كما ترى واو لم يؤكّد كان ذلك أيضاً اخباراً لموسى عليه الصلاة والسلام بنفي الخوف عنه واستظهاره على السحرة ولكن ونس له من التقرير في نفس موسى عليه الصلاة والسلام ما لقوله انك انت الاعلى فاعرف (وعلى) نحو من ذلك قوله تعالى - قالوا يا موسى اما أن تأتي وإما أن نكون نحن الملقين - فان ارادة الالتقاء قبل موسى لم يكن معلوماً عنده لانهم لم يدعروا بما في أنفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقالة خطابهم لموسى الى ما هو تؤكد ما هو لهم بالضميرين علم أنهم يريدون التقدم عليه واللقاء قبله لان من شأن مقابلة خطابهم لموسى عليه الصلاة والسلام

بمثله أن يقولوا اما أن تأتي واما أن تأتي لتكون الجملتان متقابلتين حيث قالوا عن أنفسهم - واما أن نكون نحن الملقين - استدل بذلك على ارادتهم الالتقاء قبله فهذه معان لطيفة ورموز غامضة لا ينتبه لها إلا الفطن اللبيب فاعرفها

— القسم الخامس والسبعون —

الخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية
المؤكد كدّة بانّ المشددة وتفضيل احدهما على الاخرى

وذلك كقولنا قام زيد وان زيدا قائم فقولنا قام زيد معناه الاخبار عن زيد بالقيام وقولنا ان زيدا قائم اخبار عن زيد بالقيام أيضاً الا أن في الثانية زيادة ليست في الاولى وهي توكيده بان المشددة التي من شأنها الاثبات لما يأتي بعدها من الكلام . . ومن هذا النحو قوله تعالى « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلووا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن » فانهم انما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بان المشددة فقالوا في خطاب المؤمنين - آمنا - ولاخوانهم - انا معكم - لانهم في مخاطبة اخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد من أن ينزلوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط وكان ذلك مُتقبلاً منهم ورائجاً عند اخوانهم وما قالوه للمؤمنين فانما قالوه تكلفاً واظهاراً للايمان خزيّاً ومداجة وكانوا يعلمون أنهم او قالوا بأوكد لفظ وأشدّه لما راج لهم عندهم الاّ رواجاً ظاهراً لاباطناً ولأنهم ليس لهم من عقائدهم باعث قوى على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به اخوانهم من العبارة المؤكدة فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين بخلاف ما قالوه في خطاب اخوانهم وصرّحوا في كلامهم لـ اخوانهم أن ما خاطبوا به المؤمنين انما هو هزء فقالوا « انما نحن مستهزؤن » . . وهذه نكت دقيقة ولطائف خفية لا توجد في نوع من الكلام العربي الاّ في القرآن الكريم وما أكثر ذلك وأمثاله في آياته وأوفره مودعاً في غرضه فاعرفه وقس عليه ترشد

❧ - القسم السادس والسبعون ❧

(في لام التأكيد)

اعلم وفقنا الله وإياك أن علماء علم البيان وعلماء العربية اتفقوا على أن هذه اللام تدخل في الكلام لنوع من المبالغة وذلك أنهم اذا عبروا عن أمر يعز وجوده أو يعظم أمر احداثه ووقوعه جرى بها محققة لذلك وشاهدة . . فمن ذلك قوله تعالى « أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونهُ أم نحن الزارعون لو نشاء ابعثناه حطاماً » . وقوله تعالى « أفرايتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون » ألا ترى كيف دخلت اللام في آية المطعوم دون آية المشروب وانما جاءت كذلك لان جعل الماء العذب مالحاً ليس بعظيم ولأن كثيراً ما اذا جرت المياه العذبة على الاراضى المتغيرة التربة احالتها الى الملوحة والمرارة فلم يحتاج في جعل الماء العذب مالحاً الى زيادة تأكيد فلذلك لم تدخل عليه لام التأكيد المفيدة زيادة التحقيق وأما المطعوم فان جعله صعب فلذلك قرن بلام التأكيد زيادة في تحقيق أمره وتقرير ايجاده . وكونه هكذا يفعل بكل كلام فيه نوع خصوصية

❧ - القسم السابع والسبعون ❧

(في الاقتصاد والافراط والتفريط)

قال ابن الاثير رحمه الله الاقتصاد أن يكون المعنى المضمن في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه في منزلته . . وأما التفريط والافراط فهو أن يكون المعنى المضمن في العبارة بخلاف ما يقتضيه منزلة المعبر عنه إما لأنخطاؤه دونها وهو التفريط وإما تجاوزاً عنها وهو الافراط لان أصل التفريط في وضع اللغة من فرط في الامر اذا قصر فيه وضيعه وأصل الافراط في وضع اللغة من أفرط في الامر اذا تجاوز عنه . . والتفريط

عيب في الكلام فاحش كقول الأعشى

وما مزبذ من خليج الفرا تـ جـون غواربه تـلتطم
بأجود منه بماعونه اذا ما سناؤهم لم تـغم

فانه قد مدح ملكا يجود بماعونه - والماعون - هو كل ما يستعمل من قدوم أو فاس أو قصيعة أو قدر وما أشبه ذلك فلا سبيل الى جملة مدحا البتة بل هو الى الذم أقرب منه الى المدح فهذا من أقبح التفريط فاعرفه . وأما الافراط فهو بمنزلة ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن رجلا جاءه فيكلمه فقال ما شاء الله وشئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعتني لله ندًا قل ما شاء الله وحده . . ومن هذا الباب قول عنزة

وأنا المنية في المواطن كلها والطعن مني سابق الأجل

فان الطعن لا يسبق الأجل لأن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر ويروى بالياء باثنتين من تحتها وهو أقرب أمراً من كونه بالياء الموحدة غير أن كليهما افراط . . واعلم أن علماء علم البيان في استعمال الافراط على ثلاثة أضرب . فمنهم من يكرهه ولا يراه صوابا كأبي عثمان الجاحظ فيما روى عنه ومنهم من يختاره ويؤثره كقدامة بن جعفر الكاتب فانه كان يقول الغلو عندى أجود المذهبين فان أحسن الشعر أ كذبه . ومنهم من يذهب الى التوسط بين الغلو والتفريط وهو الاقتصاد وذلك أن يجعل الغلو وهو الافراط مثلاً ثم يستثنى فيه بأو أو يكاد أو ما جرى هذا المجرى فيدرك مراده ويسلم من عيب عائب أو طعن طاعن وذلك كقول بعضهم في مدح الحسين

يكاد يمسه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

. . . وكقول أبي عبادة البحرى

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما فى وسعه لسمى اليك المنبر

وهذا المذهب المتوسط أليق المذاهب الثلاثة وأدخلها فى الصنعة فاعرفه (قال المصنف عفا الله عنه) أما الاقتصاد والافراط فقد ورد فى الكتاب العزيز منه شئ كثير وقد تقدم بيانه وأما التفريط فليس فى القرآن منه شئ

القسم الثامن والسبعون

(الغزل)

وهو من محاسن النظم والغزل التصابي والاشتهار بمودة النساء ولهذا قال بعضهم
أيام تدعوتني الشيطان من غزل وكن يرويني اذ كنتُ شيطانا
واشتقاقه من الرقة لان المتغزل يرقق ألفاظه حتى يستميل بها القلوب ويعدها للرسائل
والوسائل بين المحب والمحجوب . وينبئ أن تكون ألفاظه مُستعذبة ومعانيه مُلهية
مُطربة . وينبئ أن يكثُر فيه من ذكر الاجرع والحمى . ولعاع . والنقى . وطويلع .
وقبا . والعقيق . وحاجر . والمنحنى وما أشبه ذلك من الألفاظ مثل ذكر المنازل التي
ترشّف ذكرها القلوب وتصبو اليها النفوس من غير أن تراها وكذلك يُكثّر فيه من
ذكر الحنين والتشويق والتحزين . وقد يحتاج في بعض المواضع الى ذكر السكرم
والشجاعة والفصاحة والبراعة لميل بذلك قلب المحجوب ويكون مدعاة الى نيل المطلوب
ألا ترى الى قول بعض الشعراء

يَوَدُّ بَأْنَ يُمَسِّيَ عَلِيلاً لَهَا
وَيَهْتَرُ لِمَعْرُوفٍ فِي طَلَبِ الْعُلَى
اذا سمعت منه يشكوى ترأسه
لتخمد يوماً عند سلمى شئامه

.. ومثل قول المتنبي

أَبْقَنْتُ أَنْ سَعِيداً أَخَذْتُ بَدْمِي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرَّمَحِ مُعْتَقِلاً
اراد انها اذا رآته على هذه الصورة المليحة هويته فنالها من هواه كما نال المتنبي من
هواها فكأنه أخذ بشاره .. ومنه قوله في هذه القصيدة أيضاً

علّ الأمير يرى ذليّ فيشفع لي الى التي جعلتني في الهوى مثلاً

يشير الى أنها اذا أحبت الأمير عامت مقدار المحبة وعزرت من بحبها كما قيل

انما يرحم المحبّ المحبّون ويحنو على المشوق المشوق

والقرآن العظيم من جملة إعجازه كثرة الشجاعة وترقيقه للقلوب واستمالته للنفوس بحيث أ

لا يسمعه أحد إلا ومال إليه قلبه وامتلات به جوانحه وانطوت على مثل حجر الغضا ضلوعه وجرت على صفحات خده دموعه وفيه من وصف الجنة ونعيمها ومنازل الزاني وطيب رسومها ما يشوق القلوب الى لقاءها ويسوق النفوس الى الحلول بفنائها مثل قوله تعالى « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم » . وقوله تعالى « إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر » . وقوله تعالى « ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم » . وقوله تعالى « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً » الى آخر السورة . وقوله تعالى « وإن خاف مقام ربه جنتان ذواتا أفنان » الى آخر السورة . وفي القرآن العظيم من هذا النوع كثير

❦ القسم التاسع والسبعون ❦

(في التشيب)

وهو اللفظ الدال على محاسن النساء ومحاسن أخلاقهن وتصرف أحوال الهوى معهن ويدخل فيه الشوق والتذكر لمعاهد الأحبة وتغيرها بالرياح الهابّة والبروق اللامعة وأمثالها . . . ومن محاسن التشيب قول بعضهم

لو جادهن غداة رمن رواحا	غيث كدمي ما أردن براحا
ماتت بفقد الظاعنين ديارهم	فكأنهم كانوا لها أرواحا
النائبات النافذات نواظراً	والنافذين أسنة وسلاحا
وأرى العيون ولا كأعين عامر	قدراً مع القدر امتاح متاحا
متوارثي مرض العيون وانما	مرض العيون بأن يكن صحاحا
لا عيب فيهم غير شح نسائهم	ومن الساحة أن يكن شعاحا

طَرَقَتْهُ فِي أَثَرِهَا خِلَاتُ لَهُ وَهَذَا مِنَ الْغُرَرِ الصَّبَاحِ صَبَاحَا
وَبَسَمْنٍ عَنْ بَرْدٍ تَأَلَّفَ نَظْمُهُ فَرَأَيْتُ ضَوْءَ الْبَرْقِ نَمَتْ لَهَا
أَبْرَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْعَيُونِ أَسِنَّةً وَهَزَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْقُدُودِ رِمَاحَا
يَا حَبِّذَا ذَاكَ السَّلَاحُ وَحَبِّذَا وَقْتُ يَكُونُ الْحَسَنُ فِيهِ سِلَاحَا

والأشعار في مثل هذا كثيرة . وفي القرآن العظيم من وصف النساء كثير مثل قوله
تبارك وتعالى « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا ممن كنن مسلمات مؤمنات
قانتات ثابتات عابدات ساجدات ثيبات وأبكارا » . وقوله تعالى « حور مقيمات
في الخيام » . وقوله تعالى « قاصرات الطرف » الآية . وفي القرآن العظيم كثير

— القسم الموفى ثمانين —

(الاستدراج)

قال ابن الأثير وهو التوصل الى حصول الغرض من الخطاب والملاطفة له في بلوغ
المعنى المقصود من حيث لا يشعر به . وفي ذلك من الغرائب والدقائق ما يؤثّر في السامع
ويطربه لأن بناء صناعة التأليف عليه ومنشأها . ومن هذا الباب قوله تعالى « واذكر
في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبدني الى قوله
« فتكون للشيطان وليا » هذا الكلام يهز أعطاف السامعين ويهيج نفوس المتأملين
فعليك أيها المشرح لهذه الصناعة امعان النظر في مطلوبه وترداد الفكر في اثنا عشر واتخاذ
قدوة لك ونهجاً تعتقبه ألا ترى حين أراد إبراهيم أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً
فيه من الخطأ العظيم الذي عصى به أمر العقل كيف رتب الكلام معه في أحسن
سياق وانتظام مع استعانة المجاملة واللفظ واللين والادب الجميل والخلق الحسن
مستصحباً في ذلك نصيحته وذلك أنه طلب منه أولاً نقله عن خطبته طاب منبه على
تماديهِ موقظ له من افراطه وقلة تناهيه لأن المعبود لو كان حياً مميّزاً سميعاً بصيراً

مقدراً على الثواب والعقاب إلا أنه بعض الخلق لا يُشك في نقص عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلق كالملائكة والنبين فكيف بمن جعل المعبود جاداً لا يسمع ولا يبصر ثم نفي ذلك بدعوته الى الحق مترقياً به ومتلطفاً فلم يهتم أباه بالجهل المطلق ولا نفسه بالعلم الفائق ولكن قال ان معي لطائف وشيئاً منه وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب أني وإياك في مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجحك من أن تضل فتنبه ثم نأت بتشيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك وعدو أبيك آدم هو الذي ورطك في هذه الورطة وألقاك في هذه الضلالة إلا أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لامعانه في الخلاص لم يذكر من جنابة الشيطان إلا الذي يختص منها بالله عز وجل وهي عصيانه واستكباره ولم ياتفت الى ذكر معاداته لآدم وبنيه ثم رجع ذلك بتخويفه سوء العاقبة وما ينتج عليه من الوبال ولم يخل هذا الكلام من حسن أدب حيث لم يصرح بالعقاب اللاحق بأبيه ولكنه قال - اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن - فذكر الخوف والمس اعظاماً لهما وترك العقاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياء أكثر من العذاب وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله - ياأبت - توسلا اليه واستعطافاً فقال له في الجواب «أراغب أنت عن آلهي يا ابراهيم ان لم تنته لأرجنك واهجرني ملياً» ألا ترى كيف أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغازط العناد فناداه باسمه ولم يقابل قول - ياأبت - ببيان وقدم الخبر على المبتدأ في قوله - أراغب أنت عن آلهي يا ابراهيم - لانه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب أحد عنها ومن هذا الباب قوله تعالى « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » الى قوله « ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام والطف مغزاه فانه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذباً فكذبه يعود عليه ولا يتخطاه وان كان صادقاً فيصيبكم بعض الذي يعدكم ان

تعرضتم له . وفي هذا الكلام من حسن الأدب والانصاف ما أذكره لك أيها المتأمل وأقول انما قال يصبكم بعض الذي يعدكم وقد علم أنه نبي صادق وان كل ما يعدهم به لابد من أن يصيبهم لا بعضه ولأنه احتاج مع أدلة خصم موسى أن يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقابلة خصمه غير المشتط فيه وذلك حين وصفه الله بكونه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يقر به لكنه أردفه بقوله « يصبكم بعض الذي يعدكم » ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيبرههم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافياً فضلاً من أن يتعصب له وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل وكذا قوله « ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » أي لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله بالنبوة ولا عضده بالبينات فتبين أيها المتأمل لهذه الدقائق اللطيفة الصنع تدل على التيقظ في صناعة التأليف

قسم الحادى والثمانون

(خذلان المخاطب)

وهو الامر بعكس المراد وبدل ذلك على الاستهانة بالمأمور وقلة المبالاة بأمره أي انا مقابلك على فعلك ومجازيك بحسبه . فمن ذلك قوله تعالى « واذا مس الانسان ضرّاً دعا ربهُ منيباً اليه ثم اذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً انك من أصحاب النار » . فقوله - قل تمتع بكفرك - من باب الخذلان كأنه قال له اذ قد أبيت ما أمرت به من الايمان والطاعة فمن حقتك أن لا تؤمر به بعد ذلك ونأمرك بتركه . وهذا مبالغة في خذلانه لان المبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على ضد ما أمر به . . ومن هذا الباب قوله تعالى « قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه » فان المراد بهذا الامر الوارد على

وجه التخيير المبالغة في الخذلان على ما سبق ذكره . وفي هذا الكلام معنيان لطيفان . الاول أى أن عبادتكم لله وعبادتكم لغيره انما تنفع أو تضر لكم لالسواكم فالله تعالى مستغن عن عبادتكم له . الثانى توعدده لهم بالمقابلة على فعلهم من غير تصريح بالوعيد وذلك أبلغ من الاصرار به لوقوع الموعد فى حيرة من أمره وترامى وهمه عند ذلك الى كل خطب عظيم من المجازاة والمقابلة كقولك لمن عصاك افعل ما شئت أى انى مقابلك عليه . وهذا نوع من علم البيان شريف

- القسم الثانى والثمانون -

(التعليق والادماج)

وهو أن يدمج مدحاً بمدح أو هجواً بهجواً أو معنىً بمعنى كما قال المتنبي
الى كم ترد الرسل عما أتوا به كأنهم فيما وهبت ملام
أدمج رد الرسل برد اللوم وكلاهما مدح . . وقوله أيضاً
حسنٌ فى وجوه أعدائه أقبح من ضيفه رأته السوام
أدمج الحسن مع القبح وكلاهما مدح وصفه بالكرم لأن ابله اذا رأته ضيفه علمت أنه
ينحرفها له وقد سمي العسكري هذا النوع فى كتاب الصناعتين له المضاعف وأنشد فيه
وأسرعت نحوك لما دعوت ت كأتى نوالك فى سرعته

. . ومثله فى وجيه الدولة

وبات أسعدنا حظاً بصاحبه من كان فى الحب أشقانا بصاحبه
وقاعدة هذا الباب أن يكون أحد المعنيين تلويحاً والآخر تصريحاً . وفى القرآن العظيم
من هذا النوع كثير



❧ القسم الثالث والثمانون ❧

(الاستخدام)

وهو أن تكون الكلمة لها معنيان فيحتاج اليهما فيذكرها وحدها فيستخدم المعنيين كما قال الله تبارك وتعالى « لا تقرّبوا الصلاة وأنتم سُكَارَى » والصلاة هاهنا يحتمل أن تكون فعل الصلاة أو موضع الصلاة فاستخدم الصلاة بلفظ واحد لأنه قال سبحانه « إلا عابرى سبيل » فدل على أنه أراد موضع الصلاة . وقال تعالى « حتى تعلموا ما تقولون » فدل على أنه أراد فعل الصلاة . . . وأنشدوا للبحرئى

فسقى الغضا والساكنيه وانهم شَبَّوهُ بين جوانح وقلوب

- الغضا - يحتمل أن يكون الموضع ويحتمل أن يكون الشجر فاستخدم المعنيين به
- والساكنيه - أراد المكان والشجر بقوله - وانهم شبَّوه - ومن ذلك لبعض العرب
إذا نزل السماء بأرض قومٍ رَعِيناهُ وإن كانوا غُضابا
- والسماء - يحتمل معنيين المطر والنبات فاستخدم المعنيين بقوله - إذا نزل - يعنى المطر
- رعيناه - يعنى النبات . . . وكما قال الشيخ أبو العلاء

وفقيه أفكارُهُ شَدَنَ للنعم - مان ما لم يَشِدْهُ شعرُ زيادٍ

يحتمل معنيين أحدهما أن يكون النعمان بن المنذر الملك والآخر أن يكون النعمان بن ثابت الفقيه فاستخدم المعنيين بلفظ واحد فقال - شَدَنَ للنعمان - يعنى أبا حنيفة رضى الله عنه وقال - شعر زياد - يعنى النعمان بن المنذر لأن زياداً هو النابغة مدح النعمان . . . وكما قال أبو تمام

وإذا مشيت تركت بصدرِكَ ضعفاً ما بجلتها من شدّة الوسواس

لأن - الوسواس - يحتمل معنيين وهو البلبال الصدر وصوت الحلى فاستخدم المعنيين بقوله - تركت بصدرِكَ - يعنى البلبال وبقوله - ضعف ما بجلتها - يعنى صوت الحلى . . . ومنه اسمٌ من ملأى ومن صدء عني وجفاني لغير ذنبٍ وجُرمٍ

والذى ضنّ بالوصلِ علينا مثل ما ضنّ بالهوى قلبُ نعيمٍ
هذا استخدام فى الاعراب لان قلب مرفوع بالخبر وفاعل ضن وهو أيضاً استخدام
فى المعنى لانها بمعنى قلب من المقلوب لان الاسم - معن - فهو معكوس - نعم - فاعرفه
• ومنه فى الكتاب العزيز كثير •• من ذلك قوله تعالى « وكان وراءهم ملك يأخذ
كل سفينة غصباً » يحتمل أن يكون أراد - وراءهم - أى فى طلبهم ويحتمل أن يكون
أراد أمامهم • ومن ذلك قوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء »
- والقراء - الحيض والقراء أيضاً الطهر واللفظ يحتمل المعنيين فاعرفه

القسم الرابع والثمانون

(التفقير)

وهو أن يأتى فى البيت ذكر نكتة أو بيت أو رسالة أو خطبة أو غير ذلك فيومى
اليها الشاعر أو النائر مثل قوله تعالى « فيهن قاصرات الطرف » فان امرأ القيس
أوما اليه بقوله

من القاصرات الطرف لو دبّ محولٌ من الذرّ فوق الأنف منها لأثرا
•• ومنه قول الآخر

الومُ زياداً فى ركاكةٍ رأبه وفى قوله أى الرجال المهذبُ
وهل يحسن التهذيبُ منك خلائقاً أرق من الماء الزلال وأطيب



الفن الثاني

ما يتعلق بالالفاظ من الفصاحة كما أن ما يتعلق بالمعاني من البلاغة ولهذا قيل معنى بليغ ولفظ فصيح يقال أفصح الأعجمي وفصح اللحن . وهذا الفن يسمى أيضاً البديع . والبديع علم يبحث فيه عن أحوال الالفاظ المؤلف من حيث لا يمكن أن يوثق به إلا بحسن انتظام وهو ينقسم الى أقسام

(الاول التهذيب)

وهو تخلص الالفاظ من ثقل العجمية وهجنة الحوشية وفظاظة النبطية وأن يترك الكلام عذب المساق حسن الاتساق قريباً من فهم السامع عذب المساغ في اللهوات والمسامع يدخل الأذن بغير إذن ويتصور معناه في العقل بدقيق التدبر ولطيف التفكير . والقرآن العظيم كله من أوله الى آخره على هذه المثابة غير ما فيه من المتشابه فانه يحتاج الى الامعان في التذكر وترديد التدبر وذلك أيضاً على غاية ما يكون من الحسن فكل في بابه قد استوفى بديع نصابه قد بسقت اشجاره وعذبت ثماره واتسقت ألفاظه واستحكمت معانيه وحسن رونقه وعظمت حلاوته وطلاوته لا تملأ الاسماع مع كثرة ترداده ولا تنفر منه الطباع مع ابراقه وارعاده بل هو الذي أحكمت آياته وفصلت وكملت معانيه في ألفاظه وحصلت وأحكمت أحكامه وأصلت فهو كما قال الله تعالى « كتابه أحكمت آياته ثم فصلت » قد سلم من حوشى الالفاظ ورذ لها ونخلص من فظاظة العجمة وثقلها وكل كلمة منه حلت محلها وقرنت بمنلها فهو كما قال البحترى

واذا دجت أقلامه ثم انتحت برقت مصابيح الدجى فى كنبه

فاللفظ بقرب فهمه فى بعده منا ويبعد نيله فى قربه

حكم سحائبها خلال بنانه هطالة وقلبيها فى قلبه

كالروض مؤثلقاً بحمرة نوره وبياض زهرته وخضرة عشب

وكانها والسمع معقود بها شخص الحبيب بدا لعين محبه

وهذه الابيات من أحسن ما قيل فى التهذيب وأبلغ ما نظم فى التنقيح والترتيب ويتعين

على كل ناظم ونائر أن لا يملى قصيدة أو رسالة أو خطبة حتى يتلمحها بعين بصيرته
ويقدح لها زناد فكرته وقريحته ويهذب ألفاظها ويحقق معانيها ويحسن مساعها ويؤسس
مبانيها كما قيل

لا تعرضن على الرواة قصيدة مالم تبلغ قبل في تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذب عدوه مثل وساوس تهذي بها

- القسم الثاني -

(الانسجام)

وهو أن يأتي الكلام سهل المساق عذب المذاق حسن الاتساق منحدراً في الاسماع
كتحدر الماء المنسجم حتى يكون للجمل من المنثور والبيت من الموزون موقعاً في
النفوس وعدوبة في القلوب ما ليس لغيره مع بعده من التصنع وأكثر ما يقع غير
مقصود كمثل الكلام الموزون الذي تأتي به الفصاحة في ضمن الترغفوا كأنصاف أبيات
وقعت في أثناء الكتاب العزيز وفي السنة وقد وقع من ذلك كثير في الخطب والرسائل
ومن^(١) أن يكون بيتاً أو نصف بيت وقد وقع في غير القرآن بيتان فصاعداً وليس بشعر
وان لم يقصد . فاما القرآن العزيز فلم يقع فيه من ذلك إلا مثل البيت الواحد أو النصف
والبيت المفرد لا يسمى شعراً وأيضاً فإن الشعر انما يسمى شعراً لكونهم شعروا به أي
فطنوا . وهذا انما جاء عفواً في درج الكلام . . فما ورد من ذلك في القرآن
العزيز قوله تعالى « وجفان كالجوابي وقدور راسيات » فوافق هذا في درج الكلام
قول امرئ القيس

امرؤ القيس رهين مولى بالفتيات
مكرم الضيف بلحم وشحوم البكرات
في جفان كالجوابي وقدور راسيات

• • وقد قال بعض أهل العلم بالعروض ان الذى فى القرآن من ذلك ليس بمتزن ولا موافق لبحر بيت امرئ القيس وهو صحيح • • ومن ذلك قوله تعالى « إن يَنْتَهِوا يَغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ » • وقوله عز وجل « نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » • وقوله تعالى « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ » والثلاوة أيضاً لا تستقيم على الوزن انما الوزن يكون على تحبوا دون النون كما قال بعض الشعراء

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ

• • وقد جاوز الحذاق الماهرون بأوزان القريض العالمون بضروبه واجزائه وتقطيعه هذه الابيات فلم يجدوها موزونة بل مباينة لأوزان الشعر إما بزيادة أو نقصان ولولا خشية التطويل لبينت ذلك

القسم الثالث

(الاشتقاق) ويسميه بعضهم الاقتضاب أيضاً

وهو من باب التجنيس وان عُدَّ أصلاً برأسه

وهو أن يجيء بالفاظ يجمعها أصل واحد فى اللغة كقوله تعالى « فَأَقِمْ وَجْهَكَ

لِلدِّينِ الْقَيِّمِ » • • وقول أبى تمام

عَمِمْتَ الْخَلْقَ مِنْ نَعْمَاكَ حَتَّى غَدَا الثَّقَلَانِ مِنْهَا مُثْقَلَانِ

(قال المصنف عفا الله عنه) هذا الباب أولى بأن يكون من أجناس التجنيس والآية

التي استشهد بها هى من التجنيس المغاير والبيت الذى استشهد به من التجنيس المماثل •

وسند ذكر أجناس التجنيس وأقسامه فى فصل مفرد بعد ان شاء الله تعالى • • وما يشبه

هذا النوع وليس منه ويسمى المشابهة قوله تعالى « إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ » • •

وقول البحترى

وَإِذَا مَا رِيَّاحُ جُودِكَ كَهَبَتْ صَارَ قَوْلُ الْعِدَاةِ فِيهَا هَبَاءً

ذكره الزنجاني في تكملته .. قال ابن الاثير الاشتقاق على قسمين . صغير . وكبير .
 فالصغير أن تأخذ أصلاً من الاصول فتجمع بين معانيه وان اختلفت صيغته ومبانيه
 كتركيب س ل م فانك تأخذ معنى السلامة في تصرفه نحو سلم وسلم وسلمان
 وسلمى والسليم للديع أطلق عليه ذلك تفاؤلاً بسلامته . وعلى هذا جاء غيره من
 الاصول كقولنا هشتك هاشم وحاربك محارب وسالمك سالم وأصاب الارض صيب لأن
 الصيب هو المطر الذى يشتد صوته ووقعه على الارض . وأمثال ذلك كثير .. ولهذا
 الضرب من الكلام رونق لا يخفى على العارف بهذه الصناعة .. فما جأ منه قول بعضهم
 * أمحلتى سلمى بكاطمة أسما *

.. وكذلك قول الآخر وهو جرير بن عطية
 وما زال معقولاً عقلاً عن النداء وما زال محبوساً عن الخير حابس
 .. وقال غيره

* ان قومي لهم جدادُ الجديد *

.. وشكى الى بعض الخلفاء جور عامل له وُسئل أن يكتب اليه كتاباً فقال ما ترك
 فضة الا فضها ولا ذهباً الا اذهبه ولا غنية الا غنمها ولا مالا الا مال عليه فأى شئ
 بعدُ يكتب اليه . وأمثال هذا كثير فاعرفها .. قال ابن الاثير وأما الاشتقاق الكبير
 فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحداً يجمع تلك
 التراكيب وما تصرف منها وإن تباعد شئ من ذلك رُدَّ بلفظ الصيغة والتأويل اليها كما
 يفعل الاشتقاقيون . ولنضرب لذلك مثلاً فنقول ان لفظة ق ر م من الثلاثي لها
 ستة تراكيب وهى قرم . قمر . رمق . رقم . مقر . مرق . فهذه التراكيب الستة
 يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة - والقرم - والقمر - شدة شهوة اللحم - وقمر - الرجل
 اذا غلب من يقامره - والرقم - الداهية وهى الشدة التى تلحق الانسان من أمره
 وعيش - مرمق - أى ضيق وذلك نوع من الشدة أيضاً - والمقر - شبه الصبر يقال أمقر
 الشئ اذا أمر وفي ذلك شدة على الذائق وكراهة - ومرق - السهم اذا نفذ من الرمية
 وذلك لشدة مضائه وقوته .. واعلم انه اذا سقط من تركيب الكلمة شئ جاز ذلك في

الاشتقاق لأن الاشتقاق ليس من شرطه كمال تراكيب الكلمة بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتأخيرها أدت الى معنى واحد يجمعها . . فنال ما سقط من تركيب الثلاثي لفظة و س ق فان لها خمسة تراكيب وهي و س ق . و ق س . و ق س . و س ق . و س ق . و س ق . و جميع هذه الكلمة تدل على القوة والشدة - فالوسق - من قولهم استوسق الامرأى اجتمع وقوى - والوقس - ابتداء الحرب وفي ذلك شدة على من يصيبه - والسوق - متابعة السير وفي هذا عناء وشدة على السائق والمسوق - والقسوة - شدة القلب وغلظه - والقوس - معروف وفيه نوع من الشدة والقوة لسرعة السهم واخراجه الى ذلك الرمي المتباعد . . واعلم انا لاندعى أن هذا يطرّد في جميع اللغة بل قد جاء شئ منها كذلك وهذا مما يدل على متانتها وحكمها لأن الكلمة الواحدة تتقلب على ضروب من التقليل وهي مع ذلك دالة على معنى واحد وهذا من أعجب الأمور التي توجد في لغة العرب واعذبها فاعرفه

- القسم الرابع -

(الجزالة والردالة)

أما الجزالة فقد تقدم الكلام عليها والقرآن العظيم من وجوه اعجازه جزالة ألفاظه وهو من أوله الى آخره لايس "حلل الجزالة والفصاحة سالم من الردالة والفظاعة . . وأما الردالة فهي في غير القرآن فمنها في المنظوم والمشور كثير . . أما المنظوم فنل قول بعض العرب

زياد بن عيينة نحت حاجبه واستانه بيض وقد طرّ شاربه
ومثله ما أنشد سيويه في كتابه
إذا ما الخبز تأدّمه بلحم فذاك أمانة الله الزيد
. . ومثل قول أبي العتاهية

ماتَ الخليفةُ أُنْهَيا النِّقْلانَ فكانتْ أَفطرتُ في رمضان
وأما النثر فنثـل قولهم - فلان لثيم الخليم كأن كفه ميم وكأن عقله جيم ان واصلته منع
وان أعطيته قطع - والقرآن العظيم أجل وأعظم من أن يكون فيه شيء من ذلك أو يماثله

﴿ القسم الخامس ﴾

﴿ السهل الممتنع ﴾

وهو الذى يظن من سمعه لسهولة ألفاظه وعذوبة معانيه أنه قادر على الاتيان
بمثله فاذا أراد الاتيان بمثله عزَّ عليه مثاله وامتنع عن طالب معارضته فلا يناله والقرآن
العظيم كله على هذا المنوال خلا ما فيه من المتشابه والحروف التى فى أوائل السور
فاذا فسرت كانت كذلك • ومنه فى السنة كثير • • من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
- تنكح المرأة لجمالها ومالها وحسبها عليك بذات الدين تربت يداك - • وقوله صلى
الله عليه وسلم - اياكم وخضراء الدِّمَن قالوا وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى
المنبت السوء - • وقوله صلى الله عليه وسلم - المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء
وعودوا كل جسد ما اعتاد - • وقوله صلى الله عليه وسلم - الخيل معقود فى نواصيها الخير
الى يوم القيامة ظهورها عز وبطونها كثر - • وأما فى النثر والنظم فقليل • مثاله فى
النثر قول العماد الكاتب - ولو جعل الله حظه من الذهب كحظه من الادب لاستجدى
من سعته قارون واستعان بفصاحته هارون - • ومنه فى الشعر مثل قول مروان
ابن أبى حفصة

أَسودُّ لها من غَيلِ خفانِ أَشْبُلُ	بَنو مَطرٍ يَومَ اللقائِ كانوا
لجاريهم بين السماكين منزل	هُمُ يَمنعون الجارَ حَتى كانوا
أجابوا وان أعطوا أطباوا وأجزلوا	هُمُ القومُ إِنْ قالوا أَصابوا وان دُعوا
كأولهم -م فى الجاهلية أول	بها ليلُ فى الاسلامِ سادوا ولم يكن
وان أحسنوا فى النثبات وأجلوا	ولا يَستطيعُ الفاعلونُ فعالهم
وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل	ثلاثُ بامثال الجبالِ حُباهمُ

﴿ القسم السادس ﴾

(الرشاقة والجهامة)

فأما الرشاقة فقد ذكرناها آنفاً وفي القرآن العظيم منه كثير .. وأما الجهامة فليس في القرآن منها شيء فان الجهامة لا تكون الا عن غلط طبع وشدة حصر ولكن القرآن العظيم منزّه عن ذلك

﴿ القسم السابع ﴾

(الفك والسبك)

أما الفك فهو أن يفصل المصراع الاول من المصراع الثاني أو الفقرة الاولى من الفقرة الثانية أو الجملة الاولى من الجملة الثانية ولا تتعلق الثانية بشيء من معنى الاولى مثل قول زهير

حى الديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الارواح والديم

.. ومن ذلك قول المتنبي

جللاً كما بي فايك التبريح أغذاء ذا الرئشاً لاغن الشبح

.. وهذا النوع منه في القرآن كثير فانه يأتي بجملة أثر جملة ليس لها تعلق بالتي قبلها والنحاة يسمون ذلك الجمل المعترضة .. وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت أو الرسالة أو الخطبة بعضها ببعض من أوله الى آخره . ولهذا قيل خير الكلام المسبوك المحبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض . والقرآن العظيم آياته كلها كذلك فاعرفه



﴿ القسم الثامن ﴾

﴿ الحل والعقد ﴾

وهو أن يأخذ لفظاً منظوماً فيشره أو منشوراً فينظمه مع الاتفاق في المعنى . . وهذا القسم يختص بالإنشاء معروف بالكتاب البلقاء الفصحاء وهو من أجل ما يمتثل به وأعظم ما يترفعون بسببه . . وفي القرآن العظيم من جنسه وهو ما ورد فيه من آية مجملة فسرته آية أخرى أو مفسرة أجملتها آية أخرى فأشبه ذلك الحل والعقد . . وأكثر ما يقع هذا النوع في الشعر والرسائل فإن الشعر معقود والنثر يحلله والنثر محلول والشعر يعقده وللماهرين في صناعة الإنشاء من هذا كثير ليس هذا موضع ذكره إذ ليس غرضنا في هذا الكتاب إلا اثبات ما وقع في الكتاب العزيز من فنون الفصاحة وعيون البلاغة وبدائع البديع أو ما يجري مجرى ذلك

﴿ القسم التاسع ﴾

﴿ الازدواج ﴾

وهو أن يزواج بين الكلمات أو الجمل بكلام عذب وألفاظ حلوة . . ومثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . وقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » . وقوله تعالى « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم » . ومثله قوله تعالى « وكان الله عليهما حكيماً » وقد جاء في الكلام الفصيح وأشعار العرب وغيرها مؤثافاً ومختلفاً ويكون كلمة وكلتين . . ومنه الحديث - أما محسناً فيزداد وأما مسيئاً فيستغيب - . . ومنه قول الشاعر عتب عليه فما أعتبا وعنه اعتذرت وقد أذنبنا

❦ القسم العاشر ❦

(تضمين المزدوج)

وهو أن يقع في الفقرات لفظان مسجمان بعد مراعاة حدود الاسجاع والقوافي الأصلية كقوله تعالى « وتفقّد الطيرَ فقال مالى لا أرى الهذهُ أم كان من الغائين لأعدّ به عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطانٍ مبينٍ فكث غير بعيدٍ فقال أحطت بما لم تحط به وجئتُك من سبإٍ بنياً يقينٍ » بعد مراعاة اللفظ في مقاطع الآى وهى - الغائين ومبين - . ومنه فى الشعر والنثر كثير . فمن النثر قول بعض البلغاء فلان رفع دعامة الجِد والمجد باحسانه وبرَّرَ بالجد والجِد على أقرانه . . . ومثاله من النظم قول الشاعر

تعودَ رسمَ الوهب والنهبِ فى العُلا وهذانِ وقتَ اللطفِ والعُنفِ دأبهُ
فى اللطفِ أرزاقُ العبادِ هباته وفى العُنفِ أعمارُ العداةِ نهايهُ

❦ القسم الحادى عشر ❦

(التسجيع . والكلام عليه من وجوه)

الاول فى أقسامه . الثانى اختلاف العلماء فى جواز استعماله وحظره . الثالث فى شرطه وما ينبى أن يكون فيه (الاول) قد اختلفت عبارات أرباب هذه الصناعة فى التسجيع فقال قوم هو على ثلاثة أقسام . المتوازى . والمتطرف . والمستحسن . . . أما المتوازى فهو رعاية الكلمتين الاخيرتين فى الوزن والروى . وذكر الروى فى النثر توسعة فى الكلام والآ فالروى مخصوص بالشعر . مثاله من كتاب الله تعالى قوله عز وجل « فيها سُرُورٌ مرفوعةٌ وأُكُوبٌ موضوعةٌ » . . . ومثاله من السنة النبوية قول صلى الله عليه وسلم - اللهم اعط منفقاً خلفاً واعط ممسكاً خلفاً - . . . وأما المتطرف فهو

أن تنفق الكلمتان الأخيرتان في الحرف الأخير دون الوزن . مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً » . . . ومنه قول بعض البغاة - جنبه محط الرجال ونجم الآمال - . . . وأما المتوازن فمثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما لصراط المستقيم » . . . وقال قوم هو على ثلاثة أقسام . قصير . موزن . ومتوسط . معجز . وطويل . مفصح . مبين للمعنى . مبرز . . . أما الأول وهو القصير فاعلم أن أقصر الفقرات القصار في السجع ما يكون من لفظين كقوله تعالى « والعاديات ضبحاً فالمواريات قدحاً فالغيرات صبحاً » . وقوله تعالى « والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً » . وقوله تعالى « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر » . . . وأطول الفقرات القصار ما يكون من عشر لفظات وما بين هذين متوسط كقوله تعالى « والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » . وقوله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر » . . . وأقصر الطوال ما يكون من أحد عشر لفظة وأطولها غير مضبوط وكلما طالت الفقر زاد بيانها وإفصاحها . وقد وقع في الفقر المطولة ما هو من عشرين لفظة فما حولها مثل قوله تعالى « اذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراهم كثيراً كفشتهم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سأم إنه عليم بذات الصدور » . . . واذ يريكهم الله في أعيُنكم قليلاً ويقللهم في أعيُنهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور » . . . ومثاله فيما دون ذلك قوله تعالى « ولئن أذقنا الإنسان منا رحمةً ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفوراً ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح نخور » . . . وقوله تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » . . . والفقرات المسجوعة إما أن تكون متساوية أو لا . . . أما المتساوية ففي الأكثر إنما توجد في الفقرات القصار كما في قوله تعالى « فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر » . . . وأما

المختلفة باختلافها إما أن يكون في فقرتين أو أكثر . . أما المختلفة في فقرتين فلا حسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى ولا تزيد بقدر كثير كقوله تعالى « وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً » اذا رأته من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً واذا ألقيوا منها مكاناً مقربين دعوا هنالك ثبوراً » . وكذلك قوله تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا إداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدأً » . . وأما المختلف في أكثر من فقرتين فأحسنه أن تكون الفقرة الثالثة زائدة والاوليتان متساويتان أو الثانية منه أزيد يسيراً . . وأقل السجع حسناً ما يكون المتأخر من الفقرات أقل مما قبلها (أما الثاني) فقد اختلف أرباب علم البيان فيه . فمنهم من قال باستحسان السجع وفضله على الاسترسال في الكلام ورجحه . . ومنهم من كره السجع واقبحه واحتج على ذلك بأمرين . أحدهما اشتغاله على الكلفة . والثاني قوله عليه الصلاة والسلام - أسجعاً كسجع الجاهلية - وكلا الحجتين فاسدة . . أما الاولى فلأنه لم يخل شيء من الكلام من تكلف ما . . وأما الثانية فلأن الإنكار انما كان لسجع مخصوص وهو ما قصد به ابطال حق أو تحقيق باطل ولو كان السجع قبيحاً لاستحال وروده في القرآن . . والتسجيع وعدمه أسلوبان جرت عليهما السنة فصحاء العرب وخطبائهم يأتون بذلك بغير تكلف ولا تعسف . . وورد في القرآن العظيم آيات كثيرة خالية من السجع وآيات كثيرة مشحونة بالسجع حتى أن بعض السور شملها السجع من أولها الى آخرها مثل اقتربت الساعة وسورة الضحى والكوثر فأعرفه (الثالث) قال علماء علم البيان الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفة عليها لان الغرض أن يجانس بين القرآن ويزاوج بينها ولا يتم ذلك الا بالوقف ألا ترى أنك لو وصلت قوله ما من عزّة الا وإلى جنبها عزّة وقولهم ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت لم يكن بدّ من اجراء كل الفقرات على ما يقتضيه حكم الاعراب فتكون قد عطلت عمل الساجع وقوة عزمه . . واذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها من الازدواج فيقولون أتيتك بالغدا يا والعشا يا . . وهنائي الطعام ومراني . . وأخذني ما حدث وما قدم . . وانصرفني

مأزورات غير مأجورات • وقال عليه الصلاة والسلام انفق بلان ولا نخش من ذي العرش
إقلال مع أن فيه ارتكاب ما يخالف اللغة فما ظنك بهم في ذلك

القسم الثاني عشر

(الترصيع)

وهو أن تكون ألفاظ الكلام مستوية الاوزان متفقة الاعجاز مثل قوله عز وجل
« إنَّ الأبرارَ لفي نعيم وإنَّ الفجارَ لفي جحيم » • وقوله تعالى « إنَّ الينا إياهم ثم
إن عاينا حسابهم » • وقوله تعالى « فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً » وهو في كتاب
الله كثير • ومنه في النثر كثير منه قول الحريري وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه
ويقرع الاسماع بزواجر وعظه • • وهو في الشعر كثير منه قول أبي فراس
وأفعاله للراغبين كريمة وأمواله للطلالين زهاب

• • وقول آخر

ثمانية لم تفرق مذجعتها فلا فترقت ما ذب عن ناظر شفر
يقينك والتقوى وجودك والغنى ولفظك والمعنى وحر بك والنهر

• • ومنه قول أبي الورد

روح اليهم عازب الحمد وافياً ويغدو اليهم طالب الرقد عافياً
• • وقد يحى مع التجنيس كقولهم اذا قلت الانصار كالت ابصار وما وراء الخلق
الذميم الا الخلق الذميم • • وقول المطرزي

وزند ندا فواضله ورى ورنده ربا فضائله نصير
ودر جلاله أبدأ ثمين ودرونا له أبدأ غزير

﴿ القسم الثالث عشر ﴾

(التسميط)

وهو على قسمين (الاول) أن يكون في صدر الكلام أو الرسالة أو البيت أبيات مشطورة أو منهوكة مقفاة ثم يجمعها قافية مخالفة لازمة للقصيدة حتى تنقضى أو رسالة حتى تنتهى قصير كالسمط الذى احتوى على جواهر متشاكله . ومنه قوله تعالى « اذا الشمس كورت » واذا النجوم انكدرت » الى قوله « عامت نفس ما أحضرت » وقوله تعالى « فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس » . وقوله تعالى « اذا السماء انفطرت » الى قوله « عامت نفس مقدمة وأخرت » وقوله تعالى « اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت » . وقوله تعالى « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان » . ومثله فى القرآن كثير . ومنه قول امرئ القيس

ومستام كشت بالروح ذيله أمت بعضب ذى شقاشق ميله

جفت به فى ملتقى الحرب خيله تركت عناق الطير يحجلن حوله

كان على سر باله نضح جريال

... وكقول الآخر

حلوه شمله تندى أمامه ان جاء سائله أغناه نائله

حتى يروح له ماشاء من مال

(القسم الثانى) أن يصير كل بيت أربعة أقسام كقول جنوب الهذلي

وجرد ورددت وقرى سددت وعالج سددت عليه الحالا

ومال احويت وخيل حيت وضيف قرئت بخاف الوكالا

.. وقد أبدع الحريرى فى التوشيح بقصيدته التى أولها
 خلّ أذكاراً الأربيع والمعهد المرتبِع والظاعن المودِع
 وعدّه عنه ودّع
 واندب زماناً سلفاً سوّدت فيه الصحف ولم تزل مُعتكفا
 على القبيح الشنيع
 .. ومن بديع التسميط أيضاً قوله فى قصيدته التى يقول فيها
 وانّ لاح لك النقش من الاصفر تهتشت وانّ مرّ بك النعش
 تقامت ولا غمّ
 ستذرى الدم لا الدمع اذا عاينت لا جمع بقى فى عرصة الجمع
 ولا خال ولا عمّ
 جعل قصيدته كلها على هذا المنوال

القسم الرابع عشر

(التجزى)

وهو أن يكون الكلام مجزأ ثلاثة أجزاء أو أربعة أجزاء . مثال الثلاثة أجزاء
 من الكتاب العزيز قوله تعالى « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنِّ شَانُكَ
 هُوَ الْابْتَر » .. ومثال الاربعة قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام يعظ
 أباه بقوله « يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ
 جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ
 الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابُهُ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ
 لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً » وفى القرآن منه كثير .. ومنه قول ابن المعتز فى الثلاثة

عجبا لمنصلك المقلد كيف لم تسل الدماء عايك منه سيولا
 لك حسنه متقلداً وبهاؤه متنكباً ومضساؤه مسلولا

•• ومثال الاربعة الاجزاء قول المتنبي
فمحن في جدلٍ والروم في وجلٍ والبحر في خجلٍ والبر في شغلٍ
•• ومنه قول ابن المقرئ

إذا صلدوا أوزري وان عجلوا ارتأى وان بخلوا أعطى وان غدرُوا ووفى
فللجود ما أبقي وللجد ما ابتنى وللناس ما أبدى ولله ما أخفى

— القسم الخامس عشر —

(في التوشيح)

التوشيح أن تكون ذيول الايات ذات قافيتين على بحرین أو ضربین من بحر واحد
فعلى أى القافيتين وقفت كان شعراً مستقيماً كقوله

اسلم ودُمت على الحوا دث ما رسا ركنائير أو هضاب حراء
وتل المراد منها ممكناً على رغم الدهور وفز بطول بقاء

قافيتهما على ثانی قافية من ثانی الكامل وعلى الاول من سادسه •• وأما ما هو من
بحر واحد وقد يسمى هذا النوع المتلون وذكره الزنجاني وأنشد فيه

أبني لا تنظم بمكة لا الصغير ولا الكبير ولا الفقير البائس

وقال ان قيده كان من سابع الكامل وان أطلقته كان من سادسه • وهذا النوع في
القرآن العظيم ما يشبهه وهو ما ورد في الآيات من الوقف الكافي والتمام إن وقفت
على الوقف الكافي كان حسناً وان وقفت على التمام كان أجود كقوله تعالى • والذين
يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبآخرة هم يوقنون • ان وقفت على
— من قبلك — كان وقفاً حسناً وان وقفت على — يوقنون — كان أحسن وهو تمام
وكذلك كل ما أشبهه

— القسم السادس عشر —

(براعة المطاب وحسن التوصل)

وهو أن تكون ألفاظ المطلب مهذبة مقترنة بتعظيم الممدوح كقوله تعالى « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم » . وكقوله تعالى في قصة نوح عليه الصلاة والسلام « إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين » . وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام « ربنا إني أسكنت » إلى قوله « لعاهم يشكرون » . وقول تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام « رب قد آتيتني من الملك » إلى قوله « وألحقني بالصالحين » . وقوله تعالى حكاية عن هارون عليه السلام « قال ابن أمي إن القوم استضعفوني » إلى قوله « الظالمين » . وقوله تعالى حكاية عن يونس عليه الصلاة والسلام « فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » . وقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » إلى قوله « فإني أنت العزيز الحكيم » . وقوله تعالى فيها حكاية رسوله عليه الصلاة والسلام عن عباده المؤمنين « إن في خلق السموات والأرض » إلى قوله « فاستجاب لهم ربهم » . . . وجاء من هذا النوع في الشعر كثير .

• منه قول المتنبي

وفي النفس حاجات وفيك فطانة
سكوتي بيان عندها وخطاب

— القسم السابع عشر —

(المخالفة)

اعلم أن المخالفة هو الخروج عن مذهب الشعراء وترك الاقتداء بآثارهم مثل

(٣٠ - فوائد)

قول نصيب

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتُ الزِّيَارَةِ فَارْجِي بِسَلَامٍ
وليس من المهود رد المحبوب على عقبه اذا زار .. ومثل قول ابن عتيق
'جَعَلَ النَّدَى وَالْأَلْوَةَ وَالْمَسْكَ أَصِيلاً لَهَا عَلَى الْكَافُورِ
.. ومعلوم أن الزنج على متن رانحهم لو تطيبوا ببعض هذا الطيب لطابت رانحهم وانما
الحسن الجيد قول امرئ القيس
أَلَمْ تَرَ أَنِي كَلَّمَا جِئْتُ نَحْوَهَا وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطِيبِ
.. ومن ذلك قول امرئ القيس

أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ تُجَبِّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ
وهذا مخالف للمعتاد لأن فيه توعداً للمحجوب والمحج لا يتوعد محبوبه .. وكذلك قوله
وَأَنْ تَكُ قَدَسَاءُ تَكُ مِنِّي خَلِيقَةً فَسَلَّى ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلِي
.. والقرآن العظيم كله مخالف لأساليب الشعر وقوانين النظم والنثر التي يستعملها
الناظمون والناثرون . ولهذا قال الغفاري لقد عرضته على اقراء الشعر فلم يلتئم فانه
ليس بالشعر

❖ القسم الثامن عشر ❖

(لزوم مالا يلزم)

ويسمى التضييق والتشديد والاعنات وهو التزام أن يكون ما قبل القافية حرفاً
معيناً كما في قوله تعالى « إقرأ باسم ربك الذي خلق » خلق الانسان من علق .
وقوله تعالى « والطور وكتاب مبسطور » . وقوله تعالى « فذكر فما أنت بنعمة ربك
بكاهن ولا مجنون » أم يقولون شاعر تتربص به ريب النون . وقوله تعالى « في

سيدرٍ مخضودٍ وطلحٍ منضودٍ « وهو في القرآن كثير .. وجاء في الحماسة
 ان التي زعمت فؤادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى إليها
 بيضاء باكرها النعيم قصاعها بلباقه فادقها وأجلها
 حبيبته تحيتها فقلت لصاحبي ما كان أكثرها لنا وأقلها
 واذا وجدت لها وسوس سلوة شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
 .. وكذلك قول كثير غزوة في أبيات له

خليلي هذا رسم غزوة فاعقلا قلوبكم كما تم انزلا حيث حلت
 فكانت لقطع الجبل بيني وبينها كنادرة نذرا فأوفت وحلت

.. وقول المعري

لا تطلبن بغير جد حاجة قلم البليغ بغير جد مغزل
 سكن السما كان السماء كلاها هذا له رُمح وهذا أعزل

• وفي هذا القرآن العظيم من هذا النوع كثير .. ومن ذلك قوله تعالى « وجاءت
 سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد «
 لزم الباء والدال في أكثر هذه السورة . وقوله تعالى « هل أتى على الانسان حين من
 الدهر لم يكن شيئا مذكورا » . الى قوله « يفجرونها تفجيرا » التزم قافية توافق
 قافية .. ومن ذلك قوله تعالى « أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلو لا
 أتى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقرئين » والقرآن مشحون بهذا
 .. وهذا النوع أتى في القرآن عفواً من غير قصد وربما وقع في أقوال فصحاء العرب
 من غير قصد والمتأخرون بقصدون ذلك ويتكلفون في استعماله

* ليس التكمل في العينين كالكمحل *

﴿ القسم التاسع عشر ﴾

(التفويف)

والمفوف عند أرباب هذه الصناعة فيه قولان . الاول أن تكون ألفاظه سهلة

المخارج عليها رونق الفصاحة وبهجة الطلاوة وعذوبة الحلاوة مع الخلو من البشاعة ملطفة عند الطلب والسؤال مفعمة عنه الفخار والنزال . . . وان كان شعراً فليكن شعره سهل العروض وقوافيه عذبة المخارج سهلة الحروف ومعانيه مواجهة للغرض المطلوب ظاهرة منه حيث لا يحتاج الى إعمال الفكر في استنباط معانيه فاذا كان كذلك سمي مفوقاً بمتنوع من ألفاظه ومعانيه فأشبه البرد المفوف الذي فيه ألوان مختلفة وألوان متقابلة . . . وأصل التفويف بياض يكون على الاظفار . . . الثاني المفوف من الكلام والشعر هو الذي يكون فيه التزامات لا تلزم تكلم بأصباغ مختلفة حتى يفتن للالتزامات التي جعلت عليه وعلى كلا القولين فالقرآن العزيز كله كذلك فان كان التفويف بأصباغ مختلفة الألوان فتفويف القرآن العظيم مقاطع آياته وفواتحها وتحزيبه وتعشيره وأرباعه وأجاسه وأسباعه فان العلماء رضى الله عنهم رخصوا بأن يكون ذلك بالحمرة أو الخضرة أو الصفرة أو بالألوان مخالفة للون الحبر والمداد حتى يعلم انها ليست من نفس القرآن فاستحبوا ذلك فاذا صار على هذه الصفة أشبه البرد المفوف بل أجل وأحسن وأبهى والطف وان كان التفويف القول الاول فالقرآن العظيم كله كذلك أيضاً فاعرف ذلك

❦ القسم الموفى عشرين ❦

(النظرية)

قال علماء البيان النظرية هو أن تأتي قبل القافية بسجعات متناسبة فيبقى في الأبيات أواخر الكلام كالطراز في الثوب . . . ومنه قول الشاعر

أُمسى وأصبحُ من هجرانكم دنفاً	يرثني لي المشفقانِ الأهلُ والولدُ
قد خددُ الدمعُ خدتي من تذكركم	وهدني المضنيانِ الشوقُ والكدُ
كأنما مُهيجتي شلوقُ بمسبعة	يتناها الضاريانِ الذئبُ والاسدُ
لم يبقَ غيرُ خفي الروح من جسدي	فدأ لك الفانيانِ الروحُ والجسدُ
اني لاجسدُ في العشاق مُضطرباً	وحسبك القاتلانِ الحبَّ والحسدُ

(قال المصنف عني الله عنه) هذا النوع استخرجه المتأخرون وليس في شعر القدماء شيء منه ولا في كلامهم وقد استقرية من الكتاب العزيز وأشعار المولدين فوجده على ثلاثة أقسام . الأول ماله علمان علم من أوله وعلم من آخره . الثاني ماله علم من أوله . الثالث ماله علم من آخره . فأما الذي له علمان فكقوله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خالق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » . . ومنه في الشعر قول بعضهم من أبيات

والمسعدان عليها الصبر والجلد
والعاذلان عليها ردة عذلهما
في حبها العاذران الحسن والجيد
والبقيان هواها والغرام بها
فداهما الزاهبان الروح والجسد
.. ومنه قوله تعالى « أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إليه مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض إله مع الله قليلاً ما تذكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح نشراً بين يدي رحمته إله مع الله تعالى غما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » . وأما الذي طرازه من أوله . فنه في القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « هو الله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح

له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم . . . وهذا النوع قد ورد فيه من أشعار
للتقسين والمتأخرين فمن ذلك قول البحري

تعلوا الوفود ثلاثة في أرضه إفضاله وجداه والانعام
وثلاثة تغشاك مهما زرتة إرفاده والمن والاكرام
وثلاثة قد جانبت أخلاقه قول البذا والزور والآثام
وثلاثة في الغر من أفعاله تديره والنقض والابرام

. . . وأما الذي علمه من آخره ففي القرآن منه كثير . فمن ذلك قوله تعالى « خلق الإنسان
من صلصال كالفخار وخلق الجن من نار فبأى آلاء ربكما تكذبان رب
المشرقين ورب المغربين فبأى آلاء ربكما تكذبان » الى آخر السورة . ومنه قوله
تعالى « فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا الى آخر
السورة . . . ومن ذلك في المرسلات قوله تعالى « ويل يومئذ للمكذبين » الى
آخر السورة

❦ القسم الحادي والعشرون ❦

(ما يقرأ من الجنتين)

مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « كل في فلك يسبحون » . وقوله تعالى « وربك
أكبر » وأرباب علم البيان يسمون هذا النوع العكس والتقليب وهو عندهم على أربعة
أنواع . الاول قلب البعض وهو أن قلب حروف الكلمة وهو كقوله عليه الصلاة
والسلام - اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا - . ومنه قول الحريري
أجنوب البلاد مع المترية أحب الي من المترية
• الثاني مقلوب السكل كقولهم - كفه بحر وجنابه رحب • الثالث المجمع وهو أن يقع
مقلوب السكل في جناح البيت أو جناحي المصراع كقوله

لاح أنوار الذي من كفه في كل حال
• الرابع المسوى وهو أن يقرأ طرداً وعكساً من الجهتين • ومنه الكلمتان على الآيتين
المتقدمتين • ومنه قول الحريري

أس أرملأ اذا عرا وارع اذا المرء أسا
الآيات • • ومنه قول الآخر

أراهن نادمنه ليل لهو وهل ليلهن مدان نهارا
• • ومن أنواع هذا الباب ما اذا انعكست الكلمات يخرج منها كلام صحيح كالرسالة المشتملة
على مائتي كلمة للحريري في المقامة القهقرية التي أولها الانسان صنيعه الاحسان الى
أن ختم بقوله الاحرار عند الاسرار • • ومن هذا النوع أيضاً ما قلب فيه الألفاظ
بطريق العكس لتفيد معنى آخر كقولهم كلام الملوك ملوك الكلام وعادات الاشراف
أشراف العادات

- القسم الثاني والعشرون -

(رد العجز على الصدر • ويسمى التصدير)

وهو أيضاً من ضروب البيان وفنون التلعب باللسان • ومنه قوله تعالى « فما كان
لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم » • • ومنه قولهم القتل
أنفى للقتل • • ومنه قول بعض البلغاء الحيلة ترك الحيلة • • ومنه قول الشاعر
تسيرُ النجومُ الداراتُ بحكمه وذاك اذا عدتُ عِلاهُ يسيرُ
• • وقول الآخر

لقد حاز أنواع الفضائل كلها وأمسى وحيداً في فنون الفضائل
• • وقول الآخر

سألتُ صروفَ الدهرِ حظَ تملكِ فشجّتْ وجادتُ لي بحفظِ أدبِ

﴿ فصل ﴾

ومن هذا الضرب التجنيس وهو عند أكثر علماء علم البيان على قسمين : تجنيس حقيقي . ومشبه بالتجنيس . . أما التجنيس الحقيقي فهو أن تأتي بكلمتين كل واحدة منهما موافقة للأخرى في الحروف مغايرة لها في المعنى ولم يرد ذلك في الكتاب العزيز إلا في آية واحدة وهي قوله تعالى « ويوم تقوم الساعة يُقسمُ المجرمون ما لبثوا غير ساعة » . . وأما المشبه بالتجنيس فكثير وقد احتوى الكتاب العزيز منها على الباب وأنى منها بالعجب العجيب وهو على ضربين (الأول) التجنيس المائل وهو أن يكون معنى اسمين أو فعلين مثل قوله تعالى « يا أَسْفَى على يوسف وابيضت عباءُ من الحزن فهو كظيم » . وقوله تعالى « الخبيثاتُ للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيباتُ للطيبين والطيبون للطيبات » . وقوله تعالى « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون » . وقوله تعالى « ما هذا إلا بشرٌ مثلكم يَأْكُلُ مما تَأْكُلُونَ منه ويشرب مما تشربون » (الثاني) التجنيس المغاير وهو يكون من لاسم وفعل . ومنه قوله تعالى « وأسأمتُ مع سليمان لله ربِّ العالمين » . وقوله تعالى « أَرَفَتِ الْآزِفَةُ » . وقوله تعالى « فطاف عليها طائفٌ من ربك » وفي القرآن منه كثير . . وقد جمع بعض الشعراء في أبيات نذكرها في آخر هذا الفصل فيها أجناس من التجنيس (الثالث) تجنيس التصحيف وهو أن يكون اللفظ فرقاً بين الكلمتين . ومنه قوله تعالى « وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا » . ومنه قول الشاعر

القابضون على العالما بكفهم والقابضون من الدنيا بأطرافِ

المحسبون إذا جدَّ الفخارُ بهم والمحسنون إذا سيلوا بالحافِ

(الرابع) تجنيس التحريف وهو أن يكون الحرف فرقاً بين الكلمتين . . ومنه قوله تعالى « وهم يهزون عنه ويأون عنه » . وقوله تعالى « فلا أقسمُ بالجنسِ الجوار الكنسِ » (الخامس) تجنيس التشكيل وهو أن يكون الشكل فرقاً بين الكلمتين . ومنه قوله تعالى « ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المذيرين » . وقوله

تعالى « ألم يك نطفة من منى يميني ثم كان علقة مخلوق فسوءى » .. ومنه قول بعضهم

أأنتم زعمتم أتي غير عاشق
وأني لا أعبابين مفارقي
فلم قرحت يوم الوداع مداامي
ولم شاب من هول الفراق مفارقي

(وهذه) أبيات جمعت فيها أجناس من التجنيس التي تقدم ذكرها وهي

رُبَّ خَوْذٍ عَرَفْتُ فِي عَرَاقٍ سَابَتْنِي بِحُسْنِهَا حَسَنَاتِي
وَرَمْتُ بِالْجَمَارِ حَبَّةَ قَابِي أَيْ قَابٍ يَقْوَى عَلَى الْجَمَرَاتِ
وَأَفَاضْتُ مَعَ الْحَجِيجِ فَفَاضَتْ مِنْ دُمُوعِي سَوَابِقُ الْعَبْرَاتِ
حَرَّمْتُ حِينَ أَحْرَمْتُ نَوْمَ عَيْنِي وَاسْتَبَاحْتُ حِمَايَ بِاللَّحْظَاتِ
لَمْ أُنَلْ فِي مَنِي مَنَى النَّفْسِ لَكِنْ خَفْتُ بِالْخَيْفِ أَنْ تَكُونَ وَفَاتِي

فقوله - عرفت في عرافات - تجنيس مغاير وقوله - سابتني بحسنها حسناتي - مماثل وكذلك - وأفاضت ففاضت - وكذلك - حرمت وأحرمت - وكذلك - بالجمار والجمرات - وقوله - ولم أنل في مني منى النفس - تجنيس التشكيل وقوله - خفت بالخيف - تجنيس مغاير (السادس) تجنيس العكس وهو أن تكون حروف الكلمتين غير مرتبة . مثاله من القرآن قوله تعالى « اني أخاف أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي » وقد جاء في الشعر أن يقدم حرفا في كلمة ويؤخره في أخرى .. ومنه قول حسان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

تَحْمَلُهُ الدَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبُدْرِ غَشَّى نَوْرُهُ الظُّلُمَا

(السابع) تجنيس التركيب وهو أن يجمع بين اسمين أو اسم وفعل ثم يجعلهما كالكلمة الواحدة مثال الاسم مع الاسم - بعل بك . ومعدى كرب - ومثال الفعل مع الاسم حضر موت . ورام هرامز . وقد جاء في القرآن العظيم « ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد » .. وفي الشعر كثير . من ذلك قول بعضهم

إِنْ أَسْيَافُنَا الْغَضَابُ الدَّوَامِي جَعَلَتْ مُلْكُنَا مَدِيدَ الدَّوَامِ
بِاقْتِسَامِ الْأَمْوَالِ مِنْ وَقْتِ سَامِ وَاقْتِحَامِ الْأَهْوَالِ مِنْ وَقْتِ حَامِ

.. ومنه

بأبي غزالٍ نام عن وصبي به وسجوم دمي في الهوى وصيبيه

.. ومنه قول المتنبي

وشادنٍ قلتُ له هل لك في المنادمة

فقال كم من عاشقٍ سفكتُ بالني دمة

ومنه في الشعر كثير (الثامن) تجنيس التصريف وهو أن تنفرد إحدى الكلمتين عن الأخرى بحرف مثل قوله تعالى « ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون » . ومثل قوله تعالى « وهم يبهزون عنه ويبأون عنه » . ومثل قوله « لا تكونن أهدى من إحدى الأمم » . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم - الخيل معقود في نواصيها الخير - .. ومنه قول الأعشى

ورأيتُ أن الشيبَ خا نته البشاشة والبشارة

(التاسع) تجنيس الترجيع وهو أن ترجع الكلمة بذاتها كما قال الله عز وجل « لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات » . ومنه قوله عز وجل « إن ربهم بهم يومئذٍ خبيرٌ » . وقوله تعالى « ولكننا كنا مرسلين » .. ومنه قول الشاعر

وما مُنعتُ دار ولا عزٌ أهلها من الناس إلا بالقنا والقنابل

.. وقال الخجل

فأنت عليه وماله من ماله مما أفا ولا أفاد عناقُ

.. وقال آخر

عذيري من دهرٍ مُوارٍ مُوارٍ له حسناتٌ كلهنَّ ذُنُوبُ

.. ولأبي تمام

يَمْدُون من أيدي عواصٍ عواصم تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضب



❦ القسم الثالث والعشرون ❦

(التسهيل)

وهو أن يكون في القافية ما يدل على الكلام أو في أول الكلام ما يدل على القافية كقول أبي حبة

إذا ما تقاضى المرء يومٌ و ليلةٌ * تقاضاه دهرٌ لا يملّ التقاضيا

.. ومثله

فليس الذي حالتهُ بمحالٍ وليس الذي حرّمتهُ بمحرّمٍ

.. ومثله

هي الدّرُ منشوراً إذا ما تكلمتْ وكالدّرُ منظوماً إذا لم تكلمْ

❦ القسم الرابع والعشرون ❦

(الاتفاق والاطراد)

وهو أن يوفق شيئاً لا يتفق عاجلاً مثل قول أبي تمام في الغزل

لَسَلَى سَلامانٍ وعمرّة عامرٍ وهند بنى هندٍ وسعد بنى سعدٍ .. وقوله أيضاً يصف حصاناً

بحوافٍ حفرٍ وُصلبٍ مُصلّبٍ ومشاعرٍ شعيرٍ وخلقٍ أخلقٍ .. ومن ذلك أيضاً

حمدان حمدونٍ وحمدان حارثٍ ولقمان لقمانٍ ولقمان راشدٍ وهذه كلها تمسفات ليس في القرآن العظيم منها شيء



﴿ فصل ﴾

وقد كان ينبغي أن يكون مقدماً في أول الكتاب ذكر ما اشتق منه القرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وبيان معانيها . . أما القرآن فاشتق منه قولان . أحدهما التبع والجمع من قولهم قرأت الماء في الحوض اذا تبعته وجهته فيه فهو جامع لما في كتب الاولين المنزلة على سائر المبدئين . والثاني أنه مشتق من الاظهار والبيان لأنه أظهر سائر العلوم المحتاج اليها أمر الدين والدنيا وجمع بينها وكلاهما حسن والاول أظهر وقد يأتي القرآن بمعنى الصلاة في مثل قوله تعالى « وقرآن الفجر » أى وصلاة الفجر وبمعنى القراءة . . وفي مرثية عثمان رضى الله عنه

فحَوَّأَ بِأَشْمَطِ عَنَوَانِ السُّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَ

. . وأما السورة ففيها أربعة أقوال . الاول أنها سميت بذلك لعظمها وعلو شأنها من قولهم فلان سورة من المجد . الثانى سميت بذلك لكرمها وتماها من قولهم لفلان سورة من الادل أى أقوام كرام . الثالث أنها قطعة من القرآن واشتقاقها من السور الذى يفضل من الشارب وعلى هذا يكون أصلها الهمز وانما ترك لانضمام ما قبله فأبدوا منه واوا . الرابع سميت سورة لأن قدرها ينتقل من منزلة فى الأجر الى منزلة أعلا منها . . قال الشاعر

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
كأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبٌ

ومعناه أعطاك منزلة فوق منازل الملوك وهو قول حسن . . وأما الآية ففيها أربعة أقوال . الاول أنها اشتقت من العلامة والآية علامة لانقطاع الكلام الذى قبلها . الثانى أنها سميت بذلك لأنها كلمات مجمعة من القرآن من قولهم خرج القوم بآيتهم أى بجماعنهم . الثالث الآية الرسالة والقصد . . قال الشاعر

ألا أبلاغاً هذا المنعروض آيةً أيقظان قال القول إذ قال أم حلمٌ

معناه بلغاه رسالة والآية رسالة من الله الى نبيه وخلقه . الرابع انما سميت بذلك لأنها

عجب لانها تشبه كلام البشر ولا يقدرّون على الاتيان بمثلها من قولهم فلان آية من الآيات أى عجب وهو قول حسن . . وأما السكّمة فهى اللفظة الدالة على المعنى المفرد أو على معنيين أحدهما حقيقة والآخر مجاز وهى فى كتاب الله تعالى تطلق ويراد بها معان سبعة . أحدها كلمة التوحيد وهى لا إله إلا الله . الثانى تطلق ويراد بها الشرك قال الله تعالى « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » يعنى الشرك « وكلمة الله هى العليا » يعنى كلمة الاخلاص والتوحيد . ومنه قوله تعالى « وجعلها كلمة باقية فى عقبه » قال مجاهد والسدى هى قول لا إله إلا الله . الثالث تطلق ويراد بها الوعد . ومنه قوله تعالى « ولولا كلمة سبقت من ربك » يعنى وعدهم الساعة . قال الله تعالى « بل الساعة موعدهم » . الرابع تطلق ويراد بها دعاء الله الخالق اليه . ومنه قوله تعالى « الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله » الآية . الخامس تطلق ويراد بها عيسى عليه الصلاة والسلام . ومنه قوله تعالى « وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » سماء كلمة لأنه أوجده بالكلمة وهى قوله « كن » . السادس تطلق ويراد بها القصة والقصيدة والعرب يقولون كلمة امرئ القيس يريدون قصيدته ويتولون خبرنا كلمة فلان يريدون قصته . وفى الحديث - واستحاثتم فروجهن بكلمة الله - يعنى النساء كأنه يشير الى قوله تعالى « فامسك بمعروف أو تسرخ بإحسان » . السابع تطلق ويراد بها الكلمة الواحدة المفردة التى جمعها كلمات . والكلمات فى كتاب الله تعالى تأتى على ستة معان . الاول تطلق ويراد بها علم الله سبحانه وتعالى . ومنه قوله تعالى « لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً » . الثانى يراد بها مواعيده سبحانه وتعالى . ومنه قوله تعالى « لا تبدّل لكلمات الله » أى لا تخاف لما وعد . الثالث تطلق ويراد بها الخصال . ومنه قوله تعالى « وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن » أى بعشر خصال من الطهارة معروفة . الرابع تطلق ويراد بها الاعتراف وطلب المغفرة . ومنه قوله تعالى « فتلقى آدم من ربه كلمات » وهى قوله تعالى « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . الخامس تطلق ويراد بها عيسى عليه الصلاة والسلام قاله الهروى فى قوله تعالى « وصدقت بكلمات ربها » . السادس تطلق ويراد

بها القرآن . ومنه الحديث - أعوذ بكلمات الله التامات - يعنى القرآن قاله الهروى أيضاً وغيره . . . وأما الحرف فله فى كتاب الله تعالى ولسان العرب محامل . أحدها اللغة يقال هذا حرف بنى فلان أى لغتهم . الثانى يطلق ويراد به معنى من المعانى . ومنه الحديث - نزل القرآن على سبعة أحرف - أى على سبعة معان . الثالث يطلق ويراد به أحد القراءات وعليه حمل بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف . الرابع يطلق ويراد به الآية . ومنه الحديث - لكل حرف ظهر وبطن وحد ومطلع - وفى رواية - ولكل آية منه ظهر وبطن وحد ومطلع . . الخامس يطلق ويراد به الشك . ومنه قوله تعالى « ومن الناس من يعبد الله على حرف » أى على شك . وقال ابن عرفة معناه على غير طمأنينة . السادس يطلق ويراد به الجانب . ومنه قول ابن عباس - أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف - أى جنب . ومنه حرف الجبل جانبه . السابع الحرف الذاقة . . ومنه قول كعب بن زهير

حرف أخوها أبوها من مُهَجَّةٍ وعمها خالها قوداه شمليلُ

. الثامن يطلق ويراد به أحد حروف الهجاء التى يجمعها أبجد

﴿ فصل ﴾

(فى ذكر اعجاز القرآن العظيم)

قد تكلم العلماء فى ذلك فقال قوم إعجازه من جهة إيجازه واحتواء لفظه القليل على المعانى الكثيرة مثل قوله تعالى « ولكم فى القصص حياء » الآية . وقوله تعالى « اذ فرعوا فلا فوت » الآية . وقوله تعالى « فكللاً أخذنا بذنبه » الآية . وقوله تعالى « فاصدع بما تؤمر » . وقوله تعالى « وإما نخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء » . وقوله تعالى « فلما استبأسوا منه خلصوا نجياً » . وقوله تعالى « ومن يقطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » . وقوله تعالى « لله الأمر من قبل ومن بعد » . وقوله تعالى « ألا له الخاق والأمر » الآية وأشباهاها كثير اذا تأملت

الكتاب العزيز وجدت فيه . من هذا كثير . . وقد اعترض على هذا القول بأنه قد وجد في السنة وكلام العرب ما لفظه قائل ومعناه كثير مثل قوله صلى الله عليه وسلم - الاعمال بالنيات والمجالس بالأمانات - . وأشباهه كثير . . وقال قوم إعجازه من جهة حسن تركيبه وبديع ترتيب ألفاظه وعدوبة مساقها وجزالتها ونخامتها وفصل خطابها . . وقال قوم إعجازه من غرابة أسلوبه العجيب واتساقه الغريب الذي خرج عن أعارض النظم وقوانين النثر وأساجيع الخطب وأنماط الأراجيز وضروب السجع . . وقد اعترض على هذا القول من وجوه . الأول لو كان الابتداء بالأسلوب معجزاً لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً . الثاني أن الابتداء بأسلوب لا يمنع الغير من الاتيان بمثله . الثالث أن الذي تعاطاه مسيلة من الحماسة في معارضة « أنا أعطيناك الكوثر » - والطاحنات طحناً - هو أسلوب في غاية الفظاعة والركاكة وكان مبتدئاً به ولم يعد ذلك معجزاً بل عُدَّ سُخْفاً ومُحَقّاً . الرابع لما فاضلنا بين قوله تعالى « ولكم في القصص حياة يا أولى الألباب » وبين قولهم - القتل أنفى للقتل - لم تكن المفاضلة بسبب الوزن وإنما تعاقب الإعجاز بما ظهرت به الفضيلة . الخامس أن وصف العرب القرآن بأن له حللوة وأن عليه لطلاوة لا يليق بالأسلوب . . وقال قوم إعجازه بمجموع هذه الوجوه الثلاثة وهذا الكلام يحتاج الى نظر لان مجموع هذه الأقسام الثلاثة إنما تكون معجزة في حق العرب خاصة لان الفصاحة والبلاغة فيهم جبلة وخلقة وهم فرسانها أصحاب قصبات السبق فيها الى الامد لا يباريهم فيها أحد ولا يجاريهم في مضمارها جواد ولا يماريهم في التفرد بها ممار ذو عناد قد ألفت الامم اليهم فيها مقاليد الاذعان وخفضوا لهم جناح الذل بما حصل لهم عندهم من العرفان فثبت لديهم أن أحداً لا يجاريهم في هذا المضمار ولا يداينهم في اظهار ولا إضمار فجاءهم هذا الكتاب العزيز بقاصمة الظهر وقادحة القهرو ودعوا الى المعارضة فلم يقدموا وندبوا الى المساجلة والمجارة فأمسكوا وأحجموا وقرعوا بقوارع التوبيخ والتقريع فركبوا خيول المعجز واستلأموا فقامت الحجة عليهم بذلك وصحت المعجزة لديهم لحصول التحدى والعجز عن الاتيان بمثله . . وأما الأعاجم ومن يجري مجراهم فلا تقوم عليهم بذلك حجة ولا تصح فيهم بذلك معجزة لانهم معترفون أن الفصاحة

ليست من شأنهم ولا مضمارها من حليبات ميدانهم والله سبحانه أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة احرمهم واسودهم قال الله تعالى « قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً » . وقال تعالى « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » ولا يثبت إعجازه على الكافة الا بما يعزب على الكافة الاثيان بمثله مع اعترافهم بان في مقدورهم من جنسه ولو جاء موسى لقومه بالفصاحة وعيسى لبني اسرائيل بالبراعة لما قامت لهما على قومهما بذلك حجة . . . وقال قوم انما وقع اعجازه بما فيه من المعاني الخفية والجلية وفنون العلوم النقية والعقاية . . . وأصحاب هذا القول لهم في ذلك خمسة مذاهب منهم من قال اعجازه فيما جاء فيه من أخبار القرون السالفة في الازمنة الخالية والأعصر الماضية في الاماكن القاصية والدالية وقصص الانبياء مع أممها مما التمسود منه مثل قصة أهل الكهف وقصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام . وحال ذي القرنين ومما لم يسألوه عنه من قصص بقية الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين مع تحقيرهم أنه أمي لا يحسن الكتابة ولا تقدمت منه دراسة ولا سبقت منه رحمة ولا انتهت اليه نخلة ولم يكن بأرضه من يعلم الاخبار ويقتفي الآثار سوى أهل الكتاب الذين صرح بسبهم وأطابق لسانه في ثابهم وضال عقولهم وحسن طريقتهم وأظهر معاشيهم ولو كان أحد منهم أطعمه على شيء ذلك أو اعلمه به لقا بلوه بالافصاح في الرد عليه وملؤا الأرض بالتشايع والتقريع وحيث لم ينقل ذلك علم أنه لم يعامه بشر وليس ذلك الا من جهة الاحد العمود الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد مع أنه قد تعرض جماعة من سافهم فقالوا ما أخبر الله عنهم « انما يعامه بشر » وكانوا يقولون انه سلمان الفارسي وغيره فرد الله سبحانه عليهم بقوله « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي » وهذا لسان عربي مبين » . وقد اعترض على هذا القول بأن بعض سور القرآن ليس فيها شيء من ذكر القرون الماضية والأعصر الخالية وتلك السورة معجزة قد تحداهم الله بالاثيان بمثلها فلم يقدروا . . . ومنهم من قال اعجازه بما فيه من الاخبار بما يكون وما كان مما وقع على حكم ما أخبر به مثل قوله تعالى « اذا جاء نصر الله » الى آخرها وقوله « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين » . وقوله تعالى « آ غلثت الروم » الآية وقوله « ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون » . وقوله

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات » الآية . وقوله « قل ان كانت لكم الدار الآخرة » الآية . وقوله « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا » . وقوله « انا نحن نزلنا الذكر » الآية . وقوله « سيمهزم الجمع ويولون الدبر » . وقوله « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » الآية . وقوله « هو الله الذي أرسل رسله بالهدى ودين الحق » . وقوله « لن يضروكم الا اذى » . وقوله « من الذين هادوا سماءون لا كذب » . وقوله « يخفون في أنفسهم » . وقوله « ويقولون في أنفسهم » . وقوله « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » . وقوله « بعدكم الله احدي الطائفتين » . وقوله « انا كفيناك المستهزئين » . وقوله « والله يعصمك من الناس » الى غير ذلك مما كشف به أخبار المارقين وأسرار المنافقين وكان جميعه كما أخبر وصدق الله ورسوله . وقد اعترض على هذا القول بأن بعض سور القرآن ليس فيها شيء من الاخبار بالمعجزات وتلك السور معجزة قد تحداهم الله بالاثبات بمثلها فلم يقدر واعي ذلك وضاعت عليهم مع فصاحتهم المسالك . . . ومنهم من قال اعجازه بما احتوى عليه من العلوم التي لم يسبق اليها أحد من البشر قبل نزوله ولا اهدت اليها فطن العرب ولا غيرهم من الامم . . . وقد اعترض على هذا القول بأنه قد وجد في السنة وكلام العرب مثل هذا ولم يعد معجزة . . . ومنهم من قال اعجازه حصل بما فيه من نشاط القلوب الواعية وغير الواعية اليه واقبالها بوجه المودة عليه واستحلاء طعم عذوبة ألفاظه ومعانيه وهشاشتها بما يتردد عليها من مبشرات المبهجة ومخدراته المزعجة وآياته المقلقة وأخباره الموقنة مع كثرة قرعه للاسماع وصدعه بما يخالف الطباع ومع ذلك فالقلوب مقبلة على اذكاره راغبة في تكراره شجيرة عند سماع مزماره يجد ذلك منهم البر والفاجر والمؤمن والكافر قال الله تبارك وتعالى « الله نزل أحسن الحديث » الآية . . . وروى أن نصرانياً مرَّ بقارى فوقف يبكي ف قيل له مم بكائك قال الشجاء والنظم . . . وفي الحديث الذي وصف به النبي صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخفى على كثرة الرد ولا تنقضى عبره ولا تنفى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به اللسنة وهو الذي لم تلبث الجن حين سمعته أن قالوا « انا سمعنا قرآناً عجيباً » الآيات . . . وقد اعترض على هذا

القول بأنه قد يوجد في السنة وكلام فصحاء العرب وأشعار فحول الشعراء ما يحسن موقعه وتشرّب النفوس الى سماعه ولا تمله على تكراره . ومنهم من قال اعجزه بما يقع في النفوس منه عند تلاوته من الروعة وما يملأ القلوب عند سماعه من الهيبة وما ياحقها من الخشية سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة أو علامة بما يحتويه أو غير علامة كافرة بما جاء به أو مؤمنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فهذه الغيبة لم تزل تعترى من سمعه وقد اعترت جماعة من الصحابة قبل الاسلام وبعده فمات منهم خلق كثير من المؤمنين وسابت به عقول كثير من الموقنين وتدهأت به ألباب جماعة من المحسنين . وقد صح أن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِفُونَ » . الى قوله تعالى المسيطرون كاد قابي أن يطير . وفي رواية أول ما وقر الايمان في قابي . . وروى أن عتبة بن ربيعة كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ما جاء به من خلاف قومه فنلا عابهم « حَمُ فِصَّات » . الى قوله صَاعِقَةٌ مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَنَمُودٍ ، فأمسك عتبة على في رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف . وفي رواية جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مُصْغٍ مُلقٍ بيده خلف ظهره معتمداً عليها حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدرى بما يراجعه ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه فاعتذرو اليهم وقال لقد كلفني كلاماً ما سمعت أذنأى بمثله قط فما دريت ما أقول له ومثل هذا كثير . . وأما من مات عند سماع تلاوة القرآن من المؤمنين وزال عقله وتدله من المحبين وراجع الامر من المذنبين العاصين فكثير لا يمكن حصره ولا يسعنا هاهنا ذكره فليكتب الرقائق فيها من ذلك كثير . . وقد اعترض هذا القول بأن جماعة من أرباب القلوب وذوى الاستغراق في بديع أوصاف المحبوب حصل له من سماع بعض الاشعار ما أخرجه عن طوره وربما مات على فوره . . وقال قوم اعجزه حفظ آياته من التبديل وصون كلماته من النقل والتحويل ولا يستطيع أحد أن يتحيف منه سمطاً ولا يزيد شكلاً ولا نقطاً ولا يدخل فيه كلمة من غيره ولا يخرج منه أخرى ولا يبدل حرفاً بحرف وذلك من آياته

الكبرى وكم جهد أهل العناد فى ذلك فما قدروا له وما استطاعوا وكم قصدوا تحريفه فأبى الله ذلك فأذعنوا له وأطاعوا . . . روى أن يهودياً تكلم فى مجلس المتوكل فأحسن الكلام وناظر فعلم أنه من جملة الاعلام وناضل فتحققوا أنه مسدد السهام فدعاه المتوكل الى الاسلام فأبى وأقام لفرط الالباء على مذهب الآباء بعد أن بذل له المتوكل ضروباً من الانعام وصنوفاً من الرفعة والاكرام وراجعته فى ذلك مرة بعد أخرى فلم يزد ذلك الا طغياناً وكفراً فغاب عنه مدة ثم دخل الى مجلسه وهو يعلن الاسلام ويدين دينه فقال له المتوكل أسلمت قال نعم قال ما سبب اسلامك فقال لما قطعت من عنقى قلادة التقايد وصرت من رتبة الاجتهاد الى مرتقى ما عليه مزيد نظرت فى الاديان وطابت الحق حيث كان فأخذت التوراة فنظرت فيها وتدبرت معانيها وكتبتها بخطى وزدت فيها ونقصت ودخلت بها السوق وبعته فلم ينكر أحد من اليهود منها شيئاً وأخذت الانجيل وزدت فيه ونقصت ودخلت به السوق وبعته فلم ينكر أحد من النصارى منه شيئاً وأخذت القرآن وقرأته وتأملته فاذا « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » فكسبت وزدت فيه ونقصت ودخلت به السوق وبعته فنظر فيه المسلمون فعرفوا المواضع التى زدت فيها ونقصت وردوا كل كلمة الى موضعها وكل حرف الى مكانه فعلمت أنه الحق لتحقيق وصفه بأنه كلام الله الذى لا يأتى به الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فأمنت به وصدقت ما جاء به

﴿ فصل ﴾

اختار القاضى عياض وجماعة أن الاعجاز الظاهر المتحقق انما هو فى الاربعة الاول حسن تأليفه والنظام كله وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادات العرب . الثانى صورة نظمه العجيب الاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب . الثالث ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما أخبره الرابع ما أتى به من اخبار القرون السالفة والأئم البائدة والشرائع الدائرة وما عدى هذه الاربعة ومادلت عليه خصائص تفرّد بها وما أثر يستأثر بحصولها . . . وقال قوم وجوه اعجازه ثمانية وقد

قدّمناها في الفصل الذي قبل هذا الفصل وزاد بعضهم على هذا ونقص آخرون . . وقال قوم اعجازه في خروج الاتيان بمثله عن مقدور البشر . . وقال قوم اعجازه صرف الله خلقه عن القدرة على الاتيان بمثله ولولا ذلك لدخل تحت مقدورهم . . وقد اعترض على هذا القول بوجوه ثلاثة . الاول أن عجز العرب عن المعارضة لو كان من أجل أن الله تعالى عجزهم عنها بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحته بل يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم بعد أن كان مقدوراً لهم كما أن نبياً لو قال معجزتي أني أضع يدي على رأسى هذه الساعة ويكون ذلك متعذراً عليكم ويكون الامر كما زعم لم يكن تعجب القوم من وضعه يده على رأسه بل من تعذر ذلك عليهم ولما علمنا بالضرورة أن تعجب العرب كان من فصاحة القرآن نفسه بطل القول بالصرف . الثاني لو كان كلامهم مقاربا في الفصاحة قبل التحدى لفصاحة القرآن لوجب أن يعارضوه بذلك ولما كان الفرق بين كلامهم بعد التحدى وكلامهم قبله كالفرق بين كلامهم بعد التحدى وبين القرآن ولما لم يكن كذلك بطل ذلك . الثالث أن نسيان الصبيغ المعلومة في مدة يسيرة يدل على زوال العقل ومعلوم أن العرب ما زالت عقولهم بعد التحدى فبطل أن يكون الاعجاز بالصرف بل الاعجاز ليس بالصرف . . وكل واحد من هذه الافواه يحتمل أن يكون معجزة اذا تحدى بها الرسول صلى الله عليه وسلم وعجزوا عن الاتيان بمثل ما تحدى به وسمى هذا القول معجزة لتعجزه من رام معارضته والاتيان بمثله لانها اسم فاعل من أعجزت يقال أعجزت هذه القصة فهي معجزة . . والذي يتعين اعتقاده أن القرآن بجملة ألفاظه ومعانيه وبعضه وكلامه معجزة اما لسلب قدرتهم عن الاتيان بمثله واما لصرفهم عنه لأن النبي صلى الله عليه وسلم تحدى به وعرض عليهم الاتيان بمثله فعجزوا عن ذلك ولأن الله سبحانه أخبر انهم لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً أو عشر سور من مثله فعجزوا عن ذلك أو سورة منه أو آية لتحديه صلى الله عليه وسلم بها وعجزهم عن الاتيان بمثلها هذا الذي وقع عليه تصريح الكتاب وصريح الخطاب ولا مرية في ذلك ولا خلاف (فان قال قائل) ان سورة من القرآن معجزة ومع هذا انها لم تحتو على جميع ما أودع القرآن من الاعجاز وضروب

البيان وعذوبة المساق وغرابة الأسلوب والاخبار عن القرون السالفة في الأعصر الماضية الى غير ذلك مما تقدم ذكره (فالجواب عنه) أن السورة من القرآن جامعة لجميع ما ذكرناه اما منطوق به أو مشار اليه ولهذا قال سبحانه وتعالى « فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله » فما وقع التحدى الا بسورة منكرة أى سورة كانت فهذا دليل على أن القرآن العظيم قد احتوت أقصر سورة فيه من المعاني البديعة والفصاحة التي تسد بها عن معارضته الذريعة ونضرب لك مثالا ليتحقق عندك ما ذكرناه فنقول سورة الكوثر أقصر سورة وفيها من الالفاظ البديعة الرائقة التي اقتضت بها أن تكون مبهجة والمعاني المنيرة الفاتقة التي اقتضت بها أن تكون معجزة أحد وعشرون ثمانية في قوله « انا أعطيناك الكوثر » وثمانية في قوله « فصل لربك وانحر » وخمسة في قوله « إن شئت لك هو الأثر » أما الثمانية التي في قوله « انا أعطيناك الكوثر » فالاول ان قوله « انا أعطيناك الكوثر » دلّ على عطية كثيرة مسندة الى معط كبير ومن كان كذلك كانت النعمة عظيمة عنده وأراد بالكوثر الخير الكثير ومن ذلك الخير الكثير ينال أولاده الى يوم القيامة من أمته . جاء في قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم - ومن الخير الذي وعد به ما أعطاه الله في الدارين من مزايا التعظيم والتقديم والثواب ما لم يعرفه الا الله . وقيل ان الكوثر ما اختص به من النهر الذي مؤه أحلى من كل شئ وعلى حافظاته أواني الذهب والفضة كالنجوم أو كعدد النجوم . . الثانية أنه جمع ضمير المتكلم وهو يشعر بعظم الربوبية . . الثالثة انه بنى الفعل على المبتدأ فدل على خصوصية وتحقيق على ما بينا في باب التقديم والتأخير . . الرابعة انه صدر الجملة بحرف التوكيد الجارى مجرى القسم . . الخامسة انه أورد الفعل بلفظ الماضى دلالة على أن الكوثر لم يتناول عطاء العاجلة دون عطاء الآجلة ودلالة على أن المتوقع من سيب الكريم فى حكم الواقع . . السادسة جاء بالكوثر محذوف الموصوف لأن المثبت ليس فيه ما فى المحذوف من فرط الايهام والشياع والتناول على طريق الاتساع . . السابعة اختيار الصفة المؤذنة بالكثرة . . الثامنة أتى بهذه الصفة مصدرة باللام المعروف

بالاستغراق لتكون لما يوصف بها شاملة وفي اعطاء معنى الكثرة كاملة . . وأما الثمانية
التي في قوله « فصل لربك وانحر » فالاول فاه التعقيب هاهنا مستفادة من معنى التسبب
لمعنيين . أحدهما جعل الأنعام الكثيرة سبباً للقيام بشكر المنعم وعبادته . الثانية جعله
لترك المبالاة بقول العدو فان سبب نزول هذه السورة أن العاص بن وائل قال ان محمداً
صنبوراً - والصنبور - الذي لا عقب له فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله تعالى هذه السورة . الثالثة قصده بالأمر التمريض بذكر العاص وأشباهه
ممن كانت عبادته ونحره لغير الله وتثبيت قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصراط
المستقيم واخلاصه العبادة لوجهه الكريم . الرابعة أشار بهاتين العبادتين الى نوعي
العبادات أعنى الاعمال البدنية التي الصلاة قوامها والمالية التي نحر الابل سنامها للتنبيه على
ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاختصاص في الصلاة التي جمعات فيها قرة عينه
ونحر الابل التي همته فيه قوية . روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه أهدى مائة بدنة
فيها حمل في أنفه بُرّة من ذهب . الخامسة حذف اللام الأخرى لدلالة الاولى عليها
السادسة مراعاة حق السجع الذي هو من جملة صنعة البديع اذا ساقه قائله مساقاً
مطبوعاً ولم يكن متكلفاً . السابعة قوله - لربك - فيه حسنان . وروده على طريق
الالتفات التي هي أم من الامهات . وصرف الكلام عن لفظ المضمر الى لفظ المظهر
وفيه اظهار لكبرياء شأنه واثباته لعز سلطانه ومنه أخذ الخلفاء - يأمرك أمير المؤمنين
بكذا - وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين خطب الازدية الى أهلها فقال خطب
اليكم سيد شباب قريش مروان بن الحكم . الثامنة علم بهذا أن من حقوق الله التي
تعبد العباد بها انه ربهم ومالكهم وعرض بترك التماس العطاء من عبد مريبوب ترك
عبادة ربه . . وأما قوله جل جلاله - ان شئتُك هو الابتر - ففيه خمس فوائد .
الأولى انه علل الامر بالاقبال على شأنه وترك الاحتفال بشأنه على سبيل الاستئناف
الذي هو حسنٌ حسنٌ الموقع وقد كثرت في التنزيل مواضعه . الثانية ويتجه أن يجعلها
جملة الاعتراض مرسلة ارسال الحكمة الخاتمة الاغراض كقوله تعالى « إن خير من
استأجرت القوى الأمين » وعنى بالشأن العاص بن وائل . الثالثة انما لم يسمه باسمه

ليتناول كل من كان في مثل حاله . الرابعة صدر الجملة بحرف التوكيد الجارى مجرى القسم وعبر عنه بالاسم الذى فيه دلالة على انه لم يتوجه بقلبه الى الصدق ولم يقصد بلسانه الافصاح عن الحق بل نطق بالشئ الذى هو قرين البنى والحسد وعين البغضاء والحرد ولذلك وسمه بما ينبئ عن الحقد . الخامسة جعل الخبر معرفة وهو الاثر والشأن حتى كأنه الجمهور الذى يقال له الصنبور . ثم هذه السورة مع علو مطامعها وتها مقطاعها واتصافها بما هو طراز الامر كله من حيثها مشحونة بالنكت الجلائل مكتنزة بالمحاسن غير الفلائل فهى خالية عن تصنع من يتناول التسيكيت ويعمل بعمل من يتعاطى بمحاجته التبيكيت (قال المصنف عفا الله عنه) والا قرب من هذه الاقاويل الى الصواب قول من قال ان اعجازه بحراسته من التبديل والتغيير والتصحيح والتحريف والزيادة والنقصان فانه ليس عليه ايراد ولا مطعن (وقال بعض العلماء) ان اعجازه انها وقع بكون المتكلم به عالماً بمراده من كل كلمة وما يابق بها وما ينبئ أن يلائمها من الكلام وما يناسبها فى المعنى لا يخفى عنه ما دق من ذلك وما جل ولا مصرف كل كلمة ولا مآلها وغير الله تعالى لا يقدر على ذلك لأنه أحاط بكل شئ علماً وأحصى كل شئ عدداً وهذا القول من الاقوال التى لا مطعن عليها . وقد عدد العلماء وجوهاً من اعجازه غير ما ذكرناه الاولى أن تعد من خصائصه (وقال قوم) اعجازه من جهة أن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة قائمة بالذات وان العرب اذا تحدوا بالتماس معارضتهم له والانيان بمثله أو بمثل بعضه كلفوا ما لا يطاق . ومن هذه الجهة وقع عجزهم . وهذا القول أيضاً حسن والله أعلم

﴿ فصل ﴾

فما احتوى عليه هذا الكتاب العزيز من تلوين الخطاب ومعدوله وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس التجنيس وبدائع البديع ومحاسن الحكم والأمثال مفصلاً ومجلاً خاطب العرب بلسانهم اتقنوم به الحججة عليهم والخطاب

الوارد عليهم ينقسم الى قسمين باق على أصل مدلوله وموضوعه ومعدول به عن حقيقته الى مسدوعه والمجموع ما عدل وما لم يعدل مائة وعشرون قسماً (الاول) خطاب عام وهو ما أريد به جميع من يعقل مثل قوله تعالى « واتقوا الذي خلقكم والجلالة الأولين » وقوله « والله خلقكم وما تعملون » . (الثاني) خطاب خاص بلفظ عام كقوله تعالى « أ كفرتم بعد ايمانكم » وقوله تعالى « هذا ما كنزتم لانفسكم » . (الثالث) خطاب الجنس مثل قوله تعالى « يا أيها الناس » . (الرابع) خطاب النوع مثل قوله تعالى « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » ويريد بنى آدم من صلبه خاصة وقوله تعالى « يا بنى اسرائيل » . (الخامس) خطاب العين كقوله تعالى « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » . يانوح اهبط بسلام منا . يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . (السادس) خطاب المدح مثل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا » . (السابع) خطاب الذم كقوله « يا أيها الذين كفروا » . (الثامن) خطاب الكرامة كقوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ » . (التاسع) خطاب الالهانة كقوله تعالى « انك رجيم » . (العاشر) خطاب الجمع بلفظ الواحد كقوله تعالى « يا أيها الانسان ما غرك ربك الكريم » . (الحادى عشر) خطاب الواحد بلفظ الجمع كقوله تعالى « وان عاقبة فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » خاطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله « واصبر وما صبرك الا بالله » . ومنه قوله تعالى « ولا تأتوا أولو الفضل منكم والسمة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفووا وليصنعوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » خاطب بذلك أبا بكر رضى الله عنه حين حرم مسطحاً رِفْدَده حين تكلم فى حديث الافك (الثانى عشر) خطاب الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى « القيا فى جهنم كل كفار غبيد » والخطاب لملك خازن النار تقديره ألقى ألقى وقد سمع عن بعض العرب يا حرسى اضربا عنقه - وقده حمل بعض الاثمة قول امرئ القيس

* فقائبك من ذكرى حبيب ومنزل *

على هذا الحمل (الثالث عشر) خطاب العين والمراد به الغير كقوله تعالى يخاطب :

لنبي صلى الله عليه وسلم « لئن أشركت ليحبطن عملك » والمراد به أمنه . الرابع
مشر الخروج بخطاب الحضرة الى الغيبة مثل قوله تعالى « حتى اذا كنتم في الفلك
يجرين بهم » . الخامس عشر الخروج من الغيبة الى الحضور كقوله تعالى « فاما
الذين اسودت وجوههم ا كثرتم بعد ايمانكم » . وقوله تعالى « وسقام ربهم
شراباً طهوراً ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً » . السادس عشر
خطاب التحنن مثل قوله تعالى « يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله » الى قوله « تشعرون » . السابع عشر اطلاق اسم العلم على المعلوم . الثامن
عشر اطلاق المعلوم على العلم . التاسع عشر اطلاق القدرة على المقدور . العشرون
اطلاق اسم الارادة على المراد . الحادى والعشرون اطلاق اسم المراد على الارادة
 . الثانى والعشرون اطلاق اسم الفعل على أول جزء منه وعلى آخر جزء منه . الثالث
والعشرون اطلاق اسم الأمل على المأمول . الرابع والعشرون اطلاق اسم الوعد
والوعيد على الموعود . الخامس والعشرون اطلاق اسم العقد والعهد على الملتزم بهما
 . السادس والعشرون اطلاق اسم البشرى على الم بشر به . السابع والعشرون اطلاق
اسم القول على المقول . الثامن والعشرون اطلاق اسم النبأ على المنبأ به . التاسع والعشرون
اطلاق الاسم على المسمى . الثلاثون اطلاق اسم الكلمة على المتكلم . الحادى والثلاثون
اطلاق اسم اليمين على المحلوف عليه . الثانى والثلاثون اطلاق اسم الحكم على المحكوم
به . الثالث والثلاثون اطلاق العزم على المعزوم عليه . الرابع والثلاثون اطلاق اسم
الهوى على المهوى . الخامس والثلاثون اطلاق اسم الخشية على الخشى . السادس
والثلاثون اطلاق الحب على المحبوب . السابع والثلاثون اطلاق اسم الظن على المظنون
 . الثامن والثلاثون اليقين على المتيقن . التاسع والثلاثون اطلاق اسم الشهوة على
المشتهى . الاربعون اطلاق اسم الحاجة على المحتاج . الحادى والاربعون اطلاق اسم
السبب على المسبب . الثانى والاربعون اطلاق اسم الكتابة على الحفظ . الثالث والاربعون
اطلاق اسم السمع على القبول . الرابع والاربعون اطلاق اسم الايمان على ما نشأ
عنه . الخامس والاربعون اطلاق اسم المسبب على السبب . السادس والاربعون اطلاق

اسم العقوبة على الاساءة . السابع والاربعون اطلاق اسم الأكل على الأخذ . الثامن والاربعون اطلاق اسم الغابة على المقاتلة التي هي سبب عنها . التاسع والاربعون اطلاق اسم الرجز والرجس على عبادة الاصنام . الخمسون اطلاق اسم المغفرة على التوبة . الحادى والخمسون اطلاق اسم الكبرياء على الملك . الثانى والخمسون اطلاق اسم القوة على السلاح . الثالث والخمسون اطلاق اسم الاعطاء والايثاء على الالتزام . الرابع والخمسون اطلاق اسم الفعل على غير فاعله . الخامس والخمسون اطلاق اسم الفعل على سببه . السادس والخمسون اطلاق اسم الفعل على الامر به . السابع والخمسون اطلاق اسم البعض على الكل . الثامن والخمسون اطلاق اسم الكل على البعض . التاسع والخمسون اطلاق اسم القيام على الصلاة . الستون اطلاق اسم الركوع عليها . الحادى والستون اطلاق اسم السجود عليها . الثانى والستون اطلاق اسم القراءة عليها . الثالث والستون اطلاق اسم التسبيح عليها . الرابع والستون اطلاق اسم الذكر عليها . الخامس والستون اطلاق اسم الاستغفار عليها . السادس والستون اطلاق اسم الذن على الوجه . السابع والستون اطلاق اسم الانف على الوجه . الثامن والستون اطلاق اسم الرقبة على الجملة . التاسع والستون اطلاق اسم اليدين على الجملة . السبعون اطلاق اسم اليدين على الجملة . الحادى والسبعون اطلاق اسم المضد على الجملة . الثانى والسبعون اطلاق اسم الاصابع على الارجل . الثالث والسبعون اطلاق اسم الوجه على الجملة . الرابع والسبعون اطلاق اسم بعض الرأس على الرأس . الخامس والسبعون اطلاق اسم بعض الاذن على الاذن . السادس والسبعون وصف الوجه بالخشوع والخشوع انما يكون فى القلوب . السابع والسبعون وصفها بالرضى . الثامن والسبعون وصف الجميع بمنا هو وصف البعض . التاسع والسبعون اطلاق اسم الفعل على مقاربه ومساوقه . الثمانون اطلاق اسم الفعل على ما كان عليه . الحادى والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما يؤل اليه . الثانى والثمانون اطلاق اسم المتوهم على المتحقق . الثالث والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما يظنه الناظر وهو على خلافه . الرابع والثمانون التعبير بالاذن عن الشبهة . الخامس والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما لازمه . السادس والثمانون اطلاق

سم الحال على المحل • السابع والثمانون اطلاق اسم الافواه على الألسن • الثامن
 الثمانون التعبير بالألسنة عن اللغات التاسع والثمانون اطلاق ترك الكلام على الغضب
 التسعون التعبير بالاياس عن العلم • الحادى والتسعون التعبير بالدخول عن الوطء •
 لثانى والتسعون اطلاق اسم الاسد على الشجاع • الثالث والتسعون اطلاق اسم الفوز
 الحياة على الايمان • الرابع والتسعون اطلاق اسم الظلمة والموت على الجهل •
 لخماس والتسعون اطلاق اسم السراج والنور على الهادى • السادس والتسعون
 طلاق اسم الخطب على النخبة • السابع والتسعون اطلاق اسم الانسان على تمثاله •
 لثامن والتسعون التجوز بالماضى عن المستقبل • التاسع والتسعون التجوز عن الماضى
 بالمستقبل • المائة اطلاق اسم الخبر عن النهى • الحادى بعد المائة اطلاق لفظ الخبر عن
 الدعاء • الثانى بعد المائة اطلاق الامر على الخبر • الثالث بعد المائة توكيد الخبر •
 الرابع بعد المائة التجوز بجواب الشرط عن الامر • الخماس بعد المائة التجوز بلفظ
 النهى عن أشياء ليست مرادة بالنهى وانما يراد بها ما يقاربها ويلازمها • السادس بعد
 المائة التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيه وانما المراد به من يصح نهيه • السابع بعد المائة
 التجوز بنهى من يصح نهيه والمنهى فى الحقيقة غيره • الثامن بعد المائة التجوز بهل عن
 الأمر والنهى والتقرير • التاسع بعد المائة التجوز بهمزة الاستفهام عن الامر والايجاب
 التقرير والتوبيخ • العاشر بعد المائة التجوز بنى ويتجوز بها فى مواضع قد تقدم
 ذكرها فى فصل المجاز • الحادى عشر بعد المائة التجوز بعلى ويتجوز بها فى مواضع
 نعى ذكرها فى باب المجاز عن وعن وهى حقيقة مجاوزة جرم عن جرم ويتجوز بها فى
 المعانى وقد تقدم ذكره • الثانى عشر بعد المائة التجوز بمن وهى حقيقة فى ابتداء الغاية
 فى الامكنة ويتجوز بها عن ابتداء الغاية فى الازمنة • الثالث عشر بعد المائة حرف ثم
 وتعمل حقيقة فى التراخى المعنوى ومجازاً فى التراخى الزمانى • الرابع عشر بعد المائة
 حرف - ما - قال سيديويه هى للاصناف والاخلاط وهى حقيقة فى الاجرام وتجاوز
 فى المعانى • الخامس عشر بعد المائة حرفا - لعل وعسى - وحقيقتهما الترجى والتوقع
 ويتجاوز بهما فى الايجاب

فهذه مائة وخمسة عشر قسما اذا حررت بتفاصيلها جاوزت المائة وعشرين نوعا بل
أكثر من ذلك وقد ذكرناها مفصلة معينة بشواهدا من الكتاب العزيز والكلام
الفصيح وأشعار العرب والمحضرين والمتأخرين ونسأل الله العون والمعون والتوفيق الى
ما يقربنا اليه ويثقلنا لديه والله الموفق لا رب غيره ولا يستعان بسواه ..

﴿ يقول مصححه عفا الله عنه ﴾

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى (وبعد) فقد تم بعون
الله وحسن توفيقه طبع كتاب (الفوائد المشوق الى علوم القرآن
وعلم البيان) لمؤلفه شيخ الاسلام على التحقيق ناصر
السنة قانع للبدع شمس الدين أبي عبد الله محمد
المعروف بابن قسيم الجوزية وهو كما ترى لم يؤلف في
بلاغة القرآن مؤلف على مثاله ولم تنسج
بد ناسج على منواله . وكان طبعه
الزاهي الزاهر بمطبعة (السعادة)
بمصر والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وآله
ومحبته ماتة اقبلت
الاولقات

فهرست كتاب الفوائد المشوق الي علوم القرآن وعلم البيان

محنة

- ٢ خطبة الكتاب وفيها الكلام على بلاغة القرآن
- ٩ للقسم الاول في الكلام على الفصاحة والبلاغة وفيه أقسام
- القسم الاول في حد الفصاحة والبلاغة واشتقاقهما والفرق بينهما
- ١٠ الكلام في الحقيقة وأقسامها
- « في المجاز وأقسامه
- ١٦ القسم الثاني اطلاق اسم السبب على المسبب
- ١٨ « ٣ « المسبب على السبب
- ٢٠ « ٤ « الفعل على غير فاعله
- ٢١ « ٥ « الاخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم
- ٢٢ « ٦ « اطلاق اسم البعض على الكل
- ٢٣ « ٧ « الكل على البعض
- ٢٤ « ٨ « وصف الكل بصفة البعض
- ٢٥ « ٩ « اطلاق اسم الفعل على مقاربه
- « ١٠ « الشيء على ما كان عليه
- « ١١ « على ما يؤل اليه
- ٢٦ « ١٢ « المتوهم على المحقق
- « ١٣ « الشيء على الشيء الذي يطلبه
- ٢٧ « ١٤ « التضمن
- ٢٨ « ١٥ « في مجاز الزوم
- ٣١ « ١٦ « التجوز بالمجاز عن المجاز
- « ١٧ « في الاسماء
- ٣٢ « ١٨ « الافعال
- ٣٦ « ١٩ « بالحروف بعضها عن بعض
- ٤٣ « ٢٠ « في الاستعارة

صحيفة

٤٦	فصل وهذه جملة مما احتوى عليه القرآن من أقسام الاستعارة
٥١	القسم الحادى والعشرون فى التشبيه
٦٦	فصل فى التخييل
٦٨	القسم الثانى والعشرون فى الإيجاز والاختصار
٨٢	« ١٣ فى التقديم والتأخير
٨٦	« ٢٤ فى الجمع بين الحقيقة والحجاز

﴿ الكلام على ما يختص بالمعاني وينقسم الى أقسام ﴾

صحيفة

٨٧	القسم الاول	التاسع ويسمى التشابه أيضاً
٨٩	« ٢	التكميل
٩٠	« ٣	التقديم
٩٠	« ٤	التقسيم
٩٣	« ٥	المؤاخذة
٩٤	« ٦	الاعتراض والحشو
٩٨	« ٧	الالتفات
١٠٤	« ٨	الحمل على المعنى
١٠٦	« ٩	الزيادة فى البناء
١٠٦	« ١٠	الاطالة والاسهاب • ويسمى الاطناب
١١١	« ١١	التكرار
١١٦	« ١٢	القسم
١١٧	« ١٣	الاقنباس ويسمى التضمين
١٢١	« ١٤	التذييل
١٢٢	« ١٥	المغالطة
١٢٥	« ١٦	الاشارة • وتسمى الوحي
١٣٦	« ١٧	الكنانة

صفحة	القسم الثامن عشر	التعريض
١٣٣	«	الاستطراد
١٣٥	«	التورية
١٣٦	«	الاحتجاج النظرى
١٣٧	«	حسن المطالع والمبادئ • ويسمى حسن الاقتراح
١٣٨	«	حسن المقطع
٣٩	«	براعة الاستهلال
١٤٠	«	التخلص • ويسمى الانتقال من فن الى فن
١٤١	«	الاقتضاب
١٤٥	«	التطبيق ويسمى المطابقة والطباق والتكافؤ والنضاد
١٤٧	«	المقابلة
١٥٢	«	الاحتراس
١٥٢	«	الاختصاص
١٥٦	«	الاختراع
١٥٧	«	الهدم
١٥٨	«	الاستفهام
١٦٠	«	المرزل
١٦١	«	التعجب
١٦١	«	السلب والايجاب
١٦٢	«	الهزل الذى يراد به الجد
١٦٢	«	التلميح
١٦٣	«	النسخ والسسخ والمسوخ
١٦٤	«	التعديد • ويسمى سباق الاعداد
١٦٥	«	الموجه
١٦٥	«	المحمل الضدين
١٦٧	«	التجريد
١٦٨	«	الرجوع والاستدراك

محتبة

السؤال والجواب	٤٥	القسم	١٦٩
التوهم • ويسمى الابهام	٤٦	«	١٧٠
التشبيب	٤٧	«	١٧١
الاستثناء	٤٨	«	
الغربة • والظرافة • والسهولة	٤٩	«	١٧٢
مايوهم فساداً وليس بفساد	٥٠	«	١٧٥
النادر والبارد	٥١	«	١٧٨
المساواة والتقصير	٥٢	«	
التصريح بعد الابهام • ويسمى التفسير	٥٣	«	١٧٩
التعقيب المصدرى	٥٤	«	١٨١
النفي والاثبات	٥٥	«	١٨٢
فى الضمائر وما يتعلق بها	٥٦	«	١٨٤
الفصل والوصل	٥٧	«	١٨٥
فصل يشتمل على ذكر جل عطف بعضها على بعض			١٨٨
فى الوصف	٥٨	«	١٨٩
تنسيق الصفات بغير حرف نسق	٥٩	«	١٩٠
حسن النسق	٦٠	«	١٩١
المدح والذم	٦١	«	١٩٢
الحمد والشكر	٦٢	«	١٩٤
تأكيذ المدح بما يشبه الذم	٦٣	«	١٩٥
المبالغة • وتسمى الافراط والغلو والايغال	٦٤	«	
الرثاء والتعزية	٦٥	«	١٩٧
الشكاية	٦٦	«	١٩٨
الحكاية	٦٧	«	١٩٩
الاقتضاء	٦٨	«	٢٠٠
التذكير	٦٩	«	٢٠١
الوعد والوعيد	٧٠	«	

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائے گا۔

[illegible]

